سايكولوجية المخالفة

سايكولوجية المخالفة

الفريق الدكتور
ســعد العبيـدي

اسم الكتاب : سايكولوجية المخالفة
المؤلف : سعد العبيدي
الناشر : دار الجواهري

E-mail: daraljwahere@yahoo.com
موبايل 07702910090
4163386
بغداد - شارع المتنبي
بيروت - لبنان
دمشق - سوريا

حقوق الطبع محفوظة
2013

لايجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع ، أونقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت (الكترونية) أو (ميكانيكية) أوبالتصوير أو بالتسجيل أو بخلاف ذالك الا بموافقة كتابية من المؤلف أو الناشر

All righs reserved. Not part of this publication may be reproduced stored in a retrieval system.or transmitted in any formor by any means.Electronics. mechanical photocopying. recording of otherwise. without prior permission in writing of the publisher.

الفهرست

الموضوع **الصفحة**

تقديم
نظرة عامة الى الموضوع
المقدمة
الفصل الاول: ماهية المخالفة
المخالفة من الناحية القانونية
المخالفة من الناحية العسكرية
الفصل الثاني: عوامل أرتكاب المخالفة
العوامل النفسية
العوامل البيئية
الاسرة
الوسط الاجتماعي
الموقف الظرفي
القدرات الفردية
الصنف والمهنة
مستوى العيش
التحصيل الدراسي
الفصل الثالث: مجتمع الوحدة العسكرية
بيئة الوحدة
الشخصية العسكرية
محددات السلوك القيادي
المجتمع المهني للوحدة العسكرية
الفصل الرابع: المخالفة القيمية
القيم
المخالفة القيمية
التجاوز على القيم العسكرية
الفصل الخامس: المخالفة التعبوية
المخالفة ومعطيات القدرة
الخاصية المهنية الغالبة
الاجهاد القتالي تعبويا
أسباب الاجهاد
الاجهاد والطاقة النفسية
نواتج العمل دون اجهاد

الفصل السادس: الثواب والعقاب في التعامل مع المخالفة
المبادئ العامة
العقاب
الثواب
أسس الاستخدام
الفصل السابع: اجراءات الحد من المخالفة
الأهداف الخاصة
تطويع السلوك المخالف
الوقاية
التقليل من وقع الاجهاد
الخاتمة
المصادر

الاهداء

الى كل العسكريين العراقيين الذين يقاتلون في جبهة البناء الجديد، لجيش دمرته حروب السياسة وتدخلاتها. أهدي مؤلفي هـــذا، مســاهمة بســيطة فـــي هـذا الجهـد الجبـــار.

تقديم

حين بدأ الإنسان يعي وجوده وما حوله في الطبيعة، بدأت تساؤلاته في ثلاث قضايا رئيسية تتعلق بالكون والإنسان والقوة الخالقة. فالكون وكل ما فيه من نظام وتناسق وإبداع، وكل ما في الإنسان، من عقل وجسم ونفس وجد إجابات كثيرة، يصل معظمها الى حد الإقتناع، وبقيت الثالثة معلقة، يتأملها الفلاسفة من الأدنى الى الأعلى أي من الطبيعة الى الخالق، فإستراح بعضهم وظل بعضهم يجدد تساؤلاته مع كل تعمق في آبار المعرفة. وكان علم النفس وسطهم، قد غنم عديد من الاجابات التي تتعلق بالانسان شاركته علوم أخرى طبية وإنثروبولوجية، حددوا أبعاد شخصيته وقدموا في مجالها ملايين الدراسات، اتفقت في غالبيتها على بعدها العقلي حيث التفكير، الذكاء، الإدراك، الذاكرة.... وبعدها الوجداني، ذو الصلة بالحب وما يندرج تحته من رغبة وتواد ورضا، وما له علاقة بالكره وما يتضمنه من حقد وإشمئزاز وحسد... وبعدها الإنفعالي حيث الخوف، الغضب، السرور، الحزن، البهجة، والكدر... ثم بعدها الجسمي ذو الصلة بسلامة الجسم من الأمراض العضوية والعوق وصورته "الجسم" عند الفرد وتأثيرات هرمونات الغدد. يليها البعد البيئي بجوانبه الاجتماعية حيث القيم والإتجاهات والعادات من الأسرة والهيئات الإجتماعية والسياسية والدينية، والجغرافية من حرارة وضوضاء وثروات طبيعية، وكثافة السكان والعمران. وأتفقت في غالبيتها أيضا على أن السلوك الإنساني هو محصلة لتفاعل هذه الأبعاد تحت تأثير دوافعه الموروثة والمتعلمة وأهدافه في الحياة المؤقتة وبعيدة المدى.

ان دور علماء النفس كان وما زال توظيف مفاهيم هذا العلم لدراسة تلك الأبعاد فجاءت مجالات له مثل التربوي، الإجتماعي، العسكري، الصناعي، التجاري، الجنائي والسياسي...الخ. وجاءت محاور توظيف الدراسات النفسية محورا أولا، لدراسة مستوى الأبعاد النفسية عند كل فرد والفروق العقلية والنفسية والجسمية بين الأفراد في هذه الأبعاد، بهدف تصنيفهم على وفق النشاط المناسب للفرد. ومحورا ثانيا لدراسة مستويات هذه الأبعاد والفروق بين المجموعات والفئات مثل الفئة العسكرية المنضبطة مقابل الفئة غير المنضبطة، بهدف تنمية الفرد

والمؤسسة والمجتمع، من خلال تشخيص أسباب الحالات أو الظواهر السلبية. والعمل على أساليب تنمية العوامل الإيجابية. ومن ثم الوقاية من سلبيات الحالة أو الظاهرة أو التخفيف منها أو معالجتها.

لقد درس علماء النفس كل المجالات، بينها المجال العسكري، فوجدوا في دراسته ميزات من حيث الطبيعة والزمن والموقف، كان أغلبها دراسات سرية، لا يتاح المجال لأي باحث وفي أي وقت الاطلاع على مادتها، وكانت بعض الجهات العسكرية أحيانا تتدخل في تحديد مشكلة الدراسة المطلوب تنفيذها في مجالهم. بالاضافة الى أن المجال العسكري مجال فني مهني يجعل الدراسات النفسية في محيطه لا تخضع غالباً الى تصورات باحث واحد وإنما الى مجموعة خبراء عسكريين، نفسيين، إجتماعيين، وهنا نستطيع الجزم الى أن ما قدمه الدكتور سعد في مؤلفه هذا "سيكولوجية المخالفة"، يخرج عن هذه القاعدة لانه كاتب يجمع بين الجانبين، المهني ضابط تدرج في العسكرية وخبرها جيدا، وعالم نفس متمكن عمل في مجالها والتدريس والبحث فجاء انتاجه هذا اضافة علمية متميزة، للمجال العسكري ولعلم النفس في آن معاً.

ان التكلم عن المخالفة يسحب الكاتب الى الكلام عن الشخصية العسكرية، وعن شخصية الآمر التي تختلف متطلباتها "ابعادها" عن غيرها من عناصر المسؤولية الإجتماعية والصناعية والسياسية والتربوية، لأن لها ما يميزها عن غيرها، فالآمر على إختلاف رتبته هو (الموسوعية في المعلومات) لأن لديه مهمة كبرى تتمثل بالحفاظ على سلامة المقاتلين نفسياً وأمنياً، وله مهام في التدريب واكساب المهارات، وقيادة الرجال وهو القدوة في التضحية.... موسوعية تتمثل بالجوانب الآتية:

1. معرفة نفسية مناسبة، تعينه معنيا بالتحصين النفسي، ورفع الروح المعنوية لمنتسبيه.

2. معرفة مهنية جغرافية تساعده على التقيد بشروط التعبية وفهم ساحة الحرب وتوظيف معطيات الطبيعة وحدود الجغرافية، لاغراض النجاح في تنفيذ خطط الحرب وقيادة الرجال.

3. معلومات إجتماعية وإنثروبولوجية عن العدو يفيده استيعابها في التعامل مع مواطن القوة والضعف لعدو يتطلب التفوق عليه معرفة تامة بها وكيفية استثمارها.

ان من يقرأ هذا المؤلف يتحسس شخصية الآمر ويعي أثر المخالفة على قيادته لجنوده في ظروف صعبة يمثل فيها أي الآمر سلطة الدولة والأب في آن معا.

اذا كان الآمر بسماته والتزامه وتقيده بالضوابط والقوانين التي عرضها الدكتور سعد عامل مهم لفهم طبيعة المخالفة، فتأتي الشخصية العسكرية عاملا آخر لانها تختلف عن باقي الشخصيات، ومتطلباتها تختلف عن غيرها من سمات الشخصية، فالشجاعة التي تعني الاتزان والاقدام في المواقف القتالية متطلب في الحياة العسكرية، وسمة من السمات العسكرية الأساسية، وقيمة إجتماعية، في حين لا نجدها في مجالات أخرى ولا نجد أنها لازمة مثل وجودها في البيئة العسكرية.

والحزم والانضباط وسرعة إتخاذ القرار والتحمل والإتزان الإنفعالي، سمات أخرى وان كانت من بين أساسيات السمات في الشخصية الإنسانية يمكن أن تكون لازمة هنا بدرجة كبيرة ولازمة بدرجة أقل هناك، إلا أنها في المجال العسكري، مطلوبة جداً حتى عدت من أولويات الشخصية العسكرية، التي عرض الدكتور سعد بعض أوجهها بشكل غير مباشر عند عرضه موضوع المخالفة بشكل مفصل.

والسلامة من إضطرابات الشخصية، ضرورية ليس للآمرين بل ولعموم المقاتلين، لان الاضطراب وخاصة القلق، يعيق اتخاذ القرار الذي قد يحتاجه الآمر في وقت سريع ومواقف صعبة، ويضعف الروح المعنوية التي يحتاجها المقاتل لاتمام المهام التي ينفذها باقتدار.

من هذا يمكننا التأكيد على أن خصائص المجال العسكري تختلف عن المجالات الأخرى في الحياة وتطبيقات علم النفس فيها مختلفة أيضا، تتطلب لمن يعمل في اطارها أن يجمع بين الجانبين الاكاديمي والمهني.

حقيقية ملموسة في هذا المؤلف، ظهرت واضحة في مساعي تطبيق المفاهيم الاساسية لعلم النفس في المجال العسكري، أجاد بها الفريق الدكتور سعد العبيدي عندما أعدّ (سلّة أساليب ومناهج) لدراسة الموضوع وتناول العوامل البيئية الإجتماعية والنفسية الدقيقة التي تدفع

العسكري الى المخالفة، يمكن الاخذ بها اسلوبا ومنهجا في دراسة باقي الظواهر السلبية في المجتمع العسكري، اللازم دراستها أساسا لبناء قوات مسلحة مقتدرة ومنتسب كفوء يعلي من شأنها والوطن.
ان مادة هذا المؤلف تعدت في الواقع موضوع المخالفة ومرتكبها الانسان العسكري، الى البيئة العسكرية، وسبل العيش فيها بأقل ما يمكن من المخالفة.... جهد يستحق الأخذ به دليلا للقادة والآمرين، ومادة علمية تدرس في الاكاديميات العسكرية بكل فخر واعتزاز.

الدكتور باسم فارس الغانمي
أُستاذ علم النفس المساعد

نظرة عامة الى الموضوع

ان الخوض في موضوع المخالفة، يُدخل الباحث، والقارئ معا في متاهات لم يحسمها العلم بشكل واضح حتى وقتنا الراهن، وان وضعت المفاهيم والنظريات النفسية، تعاريف متعددة للسلوك المخالف. وعمل العسكريون على التعامل معها سلوكا منحرفا عن السواء، لان جزءا من دوافع ارتكابها يتعلق بطبيعة الانسان وخصائصه النفسية التي مازالت بحاجة الى المزيد من التفسير، ولأن أرتكابها في البيئة العسكرية يتم في ظروف ضاغطة، ستكون الحاجة أكثر الى القاء الضوء على دوافع المخالفة، واسباب حصولها، وتأثيرات حصولها على الاداء القتالي، ومديات تأثيرها وتأثرها بضغوط المعركة وآثارها ونتائج القتال فيها.
اذا ما تم الاخذ بالاعتبار أن في البيئة العسكرية الضاغطة كثير من المتغيرات التي تؤثر على سلوك المقاتل واتجاهاته نحو المخالفة والالتزام، والتي تلزم المختصين والمهتمين متابعتها على الرغم من النظرة اليها من قبل البعض نظرة، عابرة أو بسيطة في غالب لاحيان.
فلو أفترضنا وجود رشاشة متوسطة بوزن محدد، قد سُلمت الى عسكري ضعيف البنية فسيحسبها أثقل من قدرته على الحمل والاستخدام، عندها سيكون هذا العسكري عرضة للانفعال، لان الوزن الزائد على قدرته في الحمل، جعله في زاوية الصراع الحرج، فهو:
غير قادر على الاستمرار بحملها واستخدامها كما يجب.
وغير قادر على رفض الاوامر الصادرة اليه بحملها.
فكان الانفعال لهذا الجندي محتمل، كتعبير عن حالة نفسية قل فيها التركيز، وضعفت فيها القدرة على التحكم بالسلوك، تقربه من المخالفة "عند وجود الاستعداد النفسي لها في داخله" وبدرجات تفوق زميله الذي يحمل رشاشا أخف، وتفوق آخر قدرته البدنية تساعده على الحمل باقتدار يجنبه الانفعال المستثار من ضغط الوزن الزائد، وان تشابهت الظروف القتالية، وتقاربت الاستعدادات النفسية.
تفسير قد لا يأخذه البعض من الآمرين بالاعتبار عند ارغامهم أحد الجنود على حمل الرشاشة، وان كان وزنها يفوق قدراته البدنية، لكن أخذ أو وضع معطيات هذا التفسير بالاعتبار من قبل الآمر قد يجنب

بعض المنتسبين مواجهة مخالافات عابرة تؤثر سلبا على مستوى الاداء. وعلى نفس المنوال فان التواجد لاغراض التدريب او القتال الفعلي في ناقلة اشخاص مدرعة او دبابة مغلقة الاحكام دون تكييف لهوائها في الداخل "تبريد" بصيف الصحراء العراقية في هذا الزمن على سبيل المثال، وضعٌ يمكن عَدّ حصوله عاملا مساعدا لانتقال الميل او الاستعداد النفسي الموجود اصلا عند السائق او احد افراد الطاقم، من مجرد ميل مدفون الى ارتكاب فعلي لبعض انواع السلوك المخالف، للتعامل مع المعدات واجهزة القيادة او التجاوز على معطيات التنفيذ الحرفي للاوامر تعبويا.

تفسير لم تأخذه القيادات في الاعتبار على الرغم من تكرار حصوله، وبصدده كانت قد حدثت واقعة بسيطة يدعم ذكرها هنا هذا التفسير، بداية الحرب العراقية الايرانية، وقريبا من آب 1980، كانت القوات العراقية تطوق القوات الايرانية في منطقة عبادان من جميع الاتجاهات، الا من منفذ بسيط يحاذي ترعة بهمشير، وتصادفَ أن حضر خبير عسكري سياسي فرنسي في رئاسة الجمهورية الفرنسية لزيارة الجبهة، ودخل في نقاش مع آمر اللواء المعني بالتطويق، وطلب اثر انتهاء النقاش تأكيد وجهة النظر العراقية القائلة بالتطويق، مما دفع آمر اللواء الى الحصول على موافقة مرجعه لارسال الفرنسي في ناقلة اشخاص مدرعة، روسية الصنع، نوع (BMB1) الى آخر نقطة عراقية تحاذي ترعة بهمشير من جهة الشرق، وفعلا تمت الموافقة، وعندما ركب الناقلة، انطلق السائق بسرعة غير اعتيادية وطريقة سياقة هي الاخرى غير اعتيادية، لاحظ من خلالهما الخبير:

عنفا مخالفا لقواعد التعامل الفنية مع اجهزة القيادة.

دخولا متعرجا في بعض الحفر وخروجا منها، بطريقة مخالفة لقواعد العمل التعبوية.

انحرافا مخالفا للتحذيرات بعدم السير على الطريق النيسمي الذي تزرع عليه الالغام أحيانا.

عدم الامتثال الى تعليمات التقرب من آخر مكان دفاعي يبعد بحدود خمسمائة متر عن الحافات الدفاعية الايرانية، والخاصة بتحديدات السرعة للآليات لكي لا تثير غبار يُدل الايرانيين على خط السير.

لقد تأكد الخبير من صحة المعلومات "التطويق المحدود"، وبعد تأكده والعودة على نفس الطريق، وعند الوصول الى مقر اللواء والترجل من الناقلة علق، بالقول (الآن تأكدت من أن الروس اذكياء جدا في صناعتهم لهذا النوع من الناقلات المدرعة وبيعها الى العراق، وأكمل لانهم يفهمون طبيعة الجندي العراقي وردود افعاله العنيفة ومخالفته التحديدات الميكانيكية والتعبوية، وأضاف، لو كانت هذه الناقلة فرنسية أو امريكية لما صمدت ازاء هذا العنف والتجاوز.

لقد كان الخبير محقا في وجهة نظره التي تدعم مسألة التأثير المتبادل بين الآلة والانسان الذي يستخدمها، والظروف المحيطة في انتاج السلوك، بينه السلوك المخالف، وقد كان محقا أيضا في اصراره على التأكد من صحة الادعاءات بشكل شخصي، اذ أن الاعلام العسكري والرسمي للدولة آنذاك اشتهر بكثر الادعاءات التي لم يكن بعضها صحيحا، وبعضها الآخر مبالغ فيه.

ففي جانب الخسائر مثلا، كان اجمالي الخسائر في معركة ما لا يزيد عددها عن عشرة جنود للعدو مثلا، يقوم آمر السرية بزيادة العدد، ثم آمر الفوج يضيف من عنده عددا، وهكذا الحال بالنسبة الى آمر اللواء وقائد الفرقة لتصل الى مقر الفيلق عشرات الاضعاف، ومن جانبه يضاعف الفيلق العدد لتكون عشرات الآلاف من جنود العدو، والدبابة المحترقة، عشرات الدبابات المدمرة، وخزان الوقود الاحتياطي للطائرة المقذوف من قبل الطيار، طائرة مقاتلة أحرقتها الدفاعات الجوية، وهكذا مبالغات لجأ اليها البعض من القادة والآمرين "مخالفة قيمية" تلقفها الاعلام الرسمي، لترضية القائد العام وأكبار عظمته القيادية، ولضمان مكارمه، والى المستوى الذي فقد البيان والاعلام الخاص بالمعركة قيمته في التأثير كما يفترض أن يكون.

الطبيعة الانسانية وشكل التعامل

ان الحالات المذكورة وما يشبهها من حالات أخرى كثيرة في المؤسسة العسكرية، تبقى مرهونة بطبيعة الانسان أي خصائصه النفسية، وشكل التعامل معه من قبل المؤسسة جهة اصدار للقوانين والتعليمات، والآمرين المباشرين وسيلة التصريف المباشرة لها:

فسائق الدبابة الموزون المنضبط الذي يمتلك من الاتزان النفسي ما يكفي على سبيل المثال يستطيع على وفق طبيعته وانضباطه التعامل مع ارتفاع درجة الحرارة داخل هذا الصندوق الحديدي، بشكل اعتيادي لا يخالف فيه الضوابط والقيم العسكرية.

ومثله سائق ناقلة الاشخاص المدرعة المنضبط، الراضي عن نفسه وعمله، سيلتزم بالاوامر والتعليمات الصادرة اليه، مع ضعف استجابة اجهزة القيادة وشدة صخبها.

كذلك بالنسبة الى حامل الرشاشة، سيحملها ويستخدمها بكفاءة اذا ما أختير جيدا من قبل الآمرين وتدرب جيدا حسب نشرات التدريب. على هذا الاساس الوارد تتجه الجيوش، جل الجيوش الى اختيار الاشخاص المناسبين للادوار المناسبة:

فضيق المكان داخل الدبابة، ومحدودية الفتحة الرئيسية في البرج تحدد المعنيين باختيار طواقمها من بين العسكريين النحيفين، الذين لا تزيد أوزانهم عن حدود النفاذ بسرعة من تلك الفتحة الموجودة.

كذلك الحال بالنسبة الى القوات الخاصة التي تتطلب جسما رياضيا، قادرا على المطاولة وتحمل المشاق. من هذا يمكن التأكيد على بقاء:

الانسان بقدراته البدنية والنفسية، العمود الفقري للقوات المسلحة في خوض غمار العمل الامني والقتال الفعلي.

أعمال المخالفة والهدم والتخريب مرتبطة جميعها بخصائصه والظروف المحيطة به.

الاختيار الصحيح والتدريب المناسب والتعامل اللازم، هو الاساس في الحصول على اداء جيد بوقت قياسي جيد، وبأقل ما يمكن من التجاوز والمخالفة والخرق الفاضح للضبط والنظام.

اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ان الواجب الأساسي للقوات المسلحة هو الدفاع الوطني عن الحدود ضد التهديدات المعادية، وضد خروقات الامن الداخلي، والارهاب.

أبعاد الاداء العسكري

لهذا يسعى المعنيون فيها من الضباط والمختصين، وبكافة السبل المتاحة إلى تحسين مستوى الأداء الفاعل للفرد والجماعة، وزيادة القدرة القتالية للقوات من جوانب أهمها:

البعد المادي[1]. تدريب، تسليح، تجهيز، شؤون ادارية، استخبارات.....الخ.

البعد النفسي. معنويات، علاقات، مشاعر وطنية، روح الجماعة .....الخ.

البعد الموقفي. ما يحيط بالمؤسسة من اجواء عمل وأساليب تعامل، وغيرها.

انها جوانب تقتضي الضرورة المهنية أن يكون العمل بها متسايرا أو متزامنا لتأمين غاية التهيئة المناسبة لعمل بأداء مهني جيد:

يقل فيه وقع السلوك النافذ للمخالفة.

تتماسك فيه الجماعة انضباطيا، وبما يقلل الميل الى المخالفة.

تزيد فيه احتمالات التنفيذ السليم للأوامر الصادرة في أكثر المواقف صعوبة، وبأقل ما يمكن من المخالفة.

وبهذا الصدد تجدر الاشارة الى ان المشكلة الاعقد، والتي لم تدرك طبيعتها غالبية المؤسسات العسكرية العربية، وبينها العراقية هي التي تتعلق بالجانبين النفسي والظرفي، اذ لا توجد مؤسسات تعنى بشؤونهما، وتعطي مشورة علمية لذوي الشأن من القادة والآمرين والمدراء لتفادي الوقوع في الاخطاء الناجمة عن التعامل غير الصحيح مع حالاتهما. حتى ان البعض من ذوي الشأن من القادة العسكريين ينظرون الى الجهد النفسي ترف لا مبرر له.

---

[1]. البعد المادي مصطلح لا يستخدم في الادبيات العسكرية، وقد استعير من الادبيات النفسية، جاء هنا لوصف الاجراءت العسكرية ذات الطابع غير النفسي، أو تلك التي لها صلة بالتعامل مع المواد.

وينظرون الى الانسان "العسكري" كائن آلي يفترض أن ينفذ أوامرهم. وتجدر الاشارة ايضا الى أن اقصر الطرق للتعامل مع تعديل السلوك القيمي وما له علاقة بالمخالفة والتجاوز والخرق لدى غالبية القوات المسلحة العربية هي اللجوء الى استخدام الشدة عقابا آنيا سريعا، لعجزهم عن الالتزام بوسائل "تعليمية" اخرى او لظنهم انه الوسيلة المتاحة او المثلى لتعديل السلوك المخالف، وابداله بالسلوك القويم.

عوامل تعزيز السلوك المناسب

ان النظر الى الانسان العسكري اي المنتسب، نظرة آلية مجردة، والى استخدام الشدة وسيلة عقاب سريعة أو وحيدة، غير صحيح من وجهة النظر العلمية، لان تعزيز[2] السلوك الايجابي المطلوب مهنيا، للتقويم او التعديل لا يعتمد فقط على الشدة وان كانت مطلوبة، بل ويتعلق بالاضافة اليها، بجوانب أخرى مهمة مثل:

1. التهيئة اللازمة للسلوك المطلوب في الموقف الانفعالي أثناء القتال على وجه الخصوص، فلو أن سرية قوات خاصة طُلب منها عمل كمين خلف خطوط العدو مثلا، فتُعد تهيئة المنتسبين نفسيا لهكذا نوع من العمل الذي يتسم بقدر عال من المجازفة والخطر، ضروري لتقليل القلق المنتج للمخالفة.
2. أن يتم التعزيز للسلوك الصحيح "المطلوب" حال حدوثه، وبدون تأخير، ماديا بهدايا مادية أو عينية، ومعنويا بالاشادة والمباركة التي قد تكون كافية في كثير من الاحيان.
3. الممارسة على الفعل المطلوب تأديته، تدريبا متكررا على الأداء، ليكون في نتيجته أداءاً يقترب من الاداء المطلوب في المعركة، فتهيئة منتسبي السرية لتنفيذ مهام الكمين خلف خطوط العدو المذكور

---

[2]. مصطلح التعزيز في علم النفس يعبر عن العملية التي يثاب فيها السلوك المرغوب، بعد القيام به لزيادة احتمال تكراره في المواقف اللاحقة، طبق مفهومه لضبط السلوك باساليب جذابة، بدلا من الاساليب القهرية. هناك أبحاث حديثة في علم الاحياء كشفت عن أثر هرمون الدوبامين، **dopamine** الذي يفرزه الدماغ، عند الحصول على المتعة واللذة أثناء التعزيز، الامر الذي يزيد من فرص تكرار السلوك الذي جرى تعزيزه، (عبد المنعم الحفني 1978).

في (1) أعلاه عضويا "تعبويا" من خلال ممارسة أعمال الكمين بكل التفاصيل، ولعدة مرات قبل التنفيذ، ضروري لتقليل الاخطاء التي تجر الى المخالفة.

4. التشجيع والحث، "الاقناع المعنوي" على القيام بالسلوك المطلوب، خاصة في بعض القتالات الخاصة، ذات الطبيعة الخطرة، والتي يتم التجاوز فيها على ضوابط السلامة المهنية، ضروري للتحسب المسبق عند المقاتل، وبما يجنب الانزلاق صوب المخالفة.

انها عوامل تسهم جميعها في تكوين استعدادات نفسية وبدنية "عضوية" مناسبة الى:

تقبل الاوامر برحابة صدر، وتنفيذها باقتناع.

تفادي الانصياع الى دوافع ارتكاب المخالفة.

الابتعاد عن ما يخل بالضبط العسكري.

تجنب الخرق العمدي للقيم والتقاليد العسكرية.

كما تجدر الاشارة هنا أيضا الى أن المهم في موضوع التعديل الخاص بالسلوك غير الصحيح ماديا ونفسيا، هو رصد كل ما يتعلق بوقوع الخطأ او التجاوز على الدوافع والاسباب ونسب التكرار، ليتم منها الانتقال الى مسألة التعامل معها بطريقة تقلل من وقوعها الى الحد الادنى المسموح به، لكون هدف الانهاء التام للمخالفة في البيئة العسكرية، هدف غير منطقي، لا يمكن تأمينه في أي قوات مسلحة، ومهما كانت متطورة بسبب طبيعة الانسان الذي، وجد التجاوز والمخالفة خصائص في داخله منذ الوجود الاول له على الكرة الارضية، واستمرت باستمراره حتى وقتنا الحاضر، وستستمر الى نهاية الوجود.

ان دوافع حصول المخالفة على وفق ما مذكور أعلاه نفسية ترتبط بطبيعة الانسان وخصائصه الشخصية، والظروف المحيطة به، والخصائص حالة يصعب التحكم بها من قبل جهة الضبط العسكرية، وبدلا من التحكم يعمل العسكر على تطويع بعض الخصائص للتقليل من الميل الى ارتكاب المخالفة.

أي عدم التفكير بانهاء سلوك المخالفة، لانها غاية لا تدرك.

وبـدلا منهـا يـتم السـعي الـى السـيطرة علـى السـلوك غيـر الصـحيح "التطويع" وتعديله، ليكون غير مخل بالضوابط والقيم العسكرية. وغيـر معرقل لتنفيذ المهام والاوامر العسكرية.

ان النظرة الى طبيعة الانسـان وخصـائصـه تؤشـر الـى أن هنـاك بعـض الاشخاص مخالفين أو ميالين لارتكاب المخالفة بطبيعتهم، وهم في حالة عيشهم في بيئة مستقرة، بدون توتر ولا مثيرات عيش مؤلمة، يمكـن أن يعيشوا لفترة طويلة دون أن يرتكبوا المخالفة. وبمـا أن البيئـة العسـكرية في السلم وخلال مراحل التدريب ضـاغطة بـدنيا ونفسـيا، وفـي الحـرب وأعمال القتال ضاغطة في تهديدها الحياة، فهي بالتالي بيئة تساعد علـى حصول المخالفة، الامر الذي يدفع الجهات المعنية التوجـه الـى الاكثـار من التدريب الذي يجعـل العسـكري يتصـرف فـي الموقـف التـدريبي أو القتالي بشكل آلي، دون الاستسلام الى مثيرات التعب أو الالم أو التهديـد وبما يعيق الاداء السليم.

الفصل الاول
ماهية المخالفة

المخالفة من الناحية القانونية
المخالفة في البيئة العسكرية

المخالفة من الناحية القانونية

السلوك المخالف

خُلق الانسان، وعرفَ عنه السلوك المخالف وعدم الالتزام، فكان آدم عليه السلام نبياً، تجاوز على تحذيرات الخالق سبحانه وتعالى، ليسجل أول مخالفة عرفت في التاريخ، أعقبتها أول عقوبة نص في القرآن الكريم، وهي الخروج من الجنة. كما في الآية الكريمة: بسم الله الرحمن الرحيم (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (سورة البقرة).

وتكررت الحالة مع وجود البشرية عندما قام قابيل بن النبي آدم عليه السلام، بقتل أخيه هابيل، ليعطي صورة واضحة عن سلوك المخالفة، ووجوده متأصلا في الذات البشرية، حتى أضحى هذا النوع من السلوك المسألة الأكثر إهتماماً لكافة الاديان السماوية.

فالشريعة الإسلامية مثلاً حذرت من إرتكاب المحرمات "مخالفة" على وجه العموم، منذرة بعقوبة النار في الآخرة، وسعت الى أن تدفع في الوقت نفسه عن المجتمع كثيراً من شرورها، ثم وضعت لبعض الجنايات عقوبات دنيوية إلى جانب العقوبات الاخروية، حتى تمنع حدوثها أو تقلل من حدوثها كأضعف الايمان.

من هذا تعد الجرائم المعاقب عليها في الاصل مخالفة لضوابط الشريعة الإسلامية، وهي محضورات شرعية نهى الله تعالى عن ارتكابها لمستوى الزجر.

ان السلوك المخالف، سلوك مخل بالحياة الانسانية، خطر على ديمومتها واستقرارها، لذا أصبح موضوعه بالاضافة الى ما ورد في الاديان السماوية مثار أهتمام المصلحين والفلاسفة ورجال القانون عبر التاريخ، اذ لم يكتفوا بالدعوه إلى العمل الصحيح ونبذ الخطأ، بل حاولوا وضع النظريات والتفسيرات العديدة عن اسباب قيام الانسان بارتكاب الجرائم والمخالفات. وكانت الخطوة الأولى لسن القوانين ووضع التشريعات بهدف السيطرة على الجانب السلبي من السلوك "المخالف" ومحاولة تقويمه، فوضعوا عندها القوانين التي تنظم السلوك "التطويع" والتي هي

عبارة عن مجموعة من القواعد الملزمة، تحكم سلوك الافراد في المجتمع، وهي بهذا المعنى تتحدد بظروف الزمان والمكان، وفي قوانين حمورابي أحد الامثلة على ذلك، وهي على هذا الاساس تختلف من بلد إلى آخر ومن عصر لآخر، وفي البيئة العسكرية من السلم عنها في الحرب.

ان القانون والضوابط التي وجدت لتطويع السلوك الانساني، جاءت في الاصل لتنظيم العلاقات الاجتماعية، فعقوبتها على هذا الاساس، لا توجه الى انسانية الانسان وشخصه الاعتباري، وانما الى الفعل المخالف الذي يرتكبه الانسان، أي السلوك الظاهر، حتى ان المشرعين في تحديدهم العقوبات الخاصة بالمخالفات المرتكبة، لم يلتفتوا الى الاحاسيس والمشاعر الداخلية ولا الى النوايا العاطفية أيا كانت طبيعتها، إلا في حدود صلتها بالسلوك الظاهر، الذي توجه له العقوبة باي حال من الاحوال (رمضان أبو السعود 1985).

المخالفة من الناحية العسكرية

التعريف القانوني

إن إلقاء الضوء على دوافع ارتكاب المخالفة بكافة صيغها، بينها التي ترقى الى مستوى تصنيفها جريمة، وعلى ماهية السلوك غير السوي في المجتمع العسكري لابد وان يمر من خلال إيضاح موجز لبعض الامور المتعلقة بالمفهوم العام للمخالفة والجريمة، لوجود ذات الدوافع النفسية لارتكابهما، لان الفرق الوحيد ببين مفهوميهما هو الشدة.

فالجريمة عادة ما يكون السلوك الناتج عنها أشد خطورة، وتأثيرا على الانسان والمجتمع، بينما المخالفة سلوك يتنافى والضوابط والقوانين، تأثيره أقل وعقوبته كذلك أخف، وعلى وفق هذا المفهوم للدوافع يمكن التأسيس على القانون في ذكر التعاريف.

وهنا تجدر الاشارة الى أن الفقهاء والمشرعين، لم يختلفوا في تعريف الجريمة رغم تعدد أساليبهم، في الشرح والتوضيح، ومن بين أكثر التعاريف وضوحاً ماورد في قانون العقوبات، حيث اعتبرها المشرع:

كل فعل أو إمتناع عن فعل يقرر له القانون عقاباً (عباس الحسني، وعامر جواد علي 1968). وهي بذلك اما ان تتكون من:

1. فعل، مثل سلوك الهروب من الخدمة العسكرية او ترك ساحة المعركة أو اهانة المافوق او سرقة معدات عسكرية..... الخ.
2. امتناع عن القيام بفعل ما، مثل سلوك عدم تنفيذ الأوامر الصادرة من المافوق لتنظيف وتهيئة ساحة العرضات.
   أو الامتناع عن المشاركة في أستعراض عسكري.
   أو رفض تنفيذ أمر الهجوم على نقطة حصينة للعدو ... الخ.

علما ان الامتناع عن القيام بفعل أو سلوك ايجابي يعد مخالفة من وجهة النظر النفسية. وهو أي الامتناع سواء كان سلوكا مدفوعا "سلوك دافعي" أو متجها نحو هدف "سلوك غرضي" أو كلاهما معا، فهو يخضع الى جملة من العوامل العقلية أو الانفعالية أو

الجسمية، ولذا فهو حصيلة لتفاعل هذه العوامل مع الدوافع والأهداف.

ان الباحثين في علم النفس درجوا على دراسة ما يقوم به الفرد من سلوك "قولا وفعلا" في موقف معين، ولذلك شاع الاعتقاد أن السلوك هو ما يقوم به الفرد، وانحصرت سايكولوجية الامتناع عن السلوك إلى الحد الذي جعلها أقرب إلى الإهمال، إلا أننا نجد أن الامتناع عن سلوك ما، هو نوع من السلوك أيضا، وله من الأهمية على مستوى أهمية القيام بالسلوك، عليه حددت أبعاد آلية السلوك الإنساني بأربعة محاور وهي:

القيام بسلوك إيجابي "السلوك الخير".

الامتناع عن سلوك إيجابي "عدوان مقنع".

القيام بسلوك سلبي "عدوان صريح".

الامتناع عن سلوك سلبي "امتناع عن عدوان".

ان الامتناع عن السلوك الإيجابي، لم تغفله الشرائع الوضعية فقد وردت عقوبات عديدة عن الممتنعين عن هكذا نوع من السلوك الذي يلحق الضرر بالآخرين أو الأشياء فضلا عن اهتمام الشرائع السماوية وغيرها من شرائع العراق القديم والشرائع الفرعونية بهذا الامر، وعدت هذا النوع من السلوك، سلوك عدواني "مُقنع" (باسم فارس 1999).

هذا وقد اشترط المشرّع حديثا، كون الفعل أو الامتناع عن القيام بفعل منصوصاً عليه، وعلى عقابه في القانون وحسب القاعدة المعروفة لاجريمة بلا قانون ولا عقوبة بلا نص.

أقسام الجريمة

لقد قسمت الجريمة عدة اقسام تبعاً إلى.

1. جسامتها أي شدة وقوعها وتأثيرها على الوسط الذي أرتكبت فيه، فتصبح أقسامها:

آ. جنايات.

ب. جنح.

ج. مخالفات.

2. من حيث كيفية وقوعها، زمنيا وتراتبيا، تقسم الى:
   آ. جرائم إيجابيه وجرائم سلبية.
   ب. جرائم وقتية وأخرى مستمرة.
   ج. جرائم بسيطة وجرائم أعتيادية.
3. من حيث طبيعة استهدافها تقسم الى:
   آ. جرائم سياسية وجرائم عادية.
   ب. جرائم مضرة بالمصلحة العامة وجرائم تضر آحاد الناس.
4. من حيث القصد تكون:
   آ. جرائم عمدية.
   ب. جرائم غير عمدية.
5. من حيث الكشف عن وقوعها تصبح:
   آ. جرائم متلبس بها.
   ب. جرائم غير متلبس بها.

ان الجريمة وبضمنها المخالفة في الحياة العسكرية، من خلال ما تقدم من تعريف:
سلوك يؤديه المنتسب فردا أو بعض المنتسبين جماعة، أو يمتنع أو يمتنعون عن تأديته، ويعاقب عليه القانون.
والمخالفة في القانون العراقي النافذ، هي الجرائم التي يعاقب عليها بالحبس لمدة تقل عن ستة أشهر، وبغرامة مالية بسيطة، حدد مقدار سقفها الاعلى سابقا بما لا يزيد عن عشرة دنانير(تعادل 30 دولار في حينها).

المخالفة العسكرية

ان مقدار العقوبة للجرائم والمخالفات العسكرية يتعلق بتقسيم الجرائم، وكما ورد في قانون العقوبات، إلا ان الأحكام العسكرية تتضمن النص على جرائم من نوعين:

1. الجرائم العسكرية البحتة

تلك الجرائم التي تقع لمن له صفة عسكرية وفي البيئة العسكرية، وتتسبب في إخلال بالواجبات والنظم العسكرية، التي تفرضها عليه هذه الصفة، مثالها: الهروب من الخدمة العسكرية.
الغياب بدون إذن معين.
عدم تنفيذ المهام . . . إلخ.

2. الجرائم المختلطة

هي الجرائم العادية التي نص عليها، لصفتها هذه في قانون العقوبات، غير إنها تكتسب الصفة العسكرية لوقوعها من شخص له هذه الصفة أو ممن كان في حكمه، مثالها:
جرائم القتل العمد.
جرائم القتل عن طريق الإهمال.
السرقة وغير ذلك (عباس الحسني، وعامر جواد علي، مصدر سابق).
إن الجريمة وفق هذا المنظور وبكافة اشكالها أو مستوياتها مخالفة للقوانين المرعية، تحدث في البيئة المدنية كما تكون في الحياة العسكرية. وهي لانها سلوك فقد لاتختلف دوافعه ان كانت تلك الجريمة، جناية أو جنحه أو مخالفة من وجهة النظر النفسية، إذا ان وجود استعداد للسلوك المخالف لدى شخص ما على سبيل المثال، يحتم توقف مقدار إستجابته الخارجية "سلوكه" على طبيعة الضغط الخارجي المتسلط على الشخصية في الزمان والمكان المعينين، لتكون النتيجة سلوكا مخالفا أو العكس منه. وعلى وجه العموم، وبصدد تأثيرات البيئة المحيطة على شدة وطبيعة السلوك المخالف، يمكن الاشارة الى الآتي:

1. إذا كان الضغط الخارجي شديدا، وانتج فعلا من قبل الشخص المعني شديد التأثير، تكون الجريمة جناية.
2. ان الفعل الاقل شدة في موقف الضغط الذي تكون فيه الشدة أقل، تكون الجريمة جنحة.
3. وفي حال كون الضغط الخارجي بسيطا، يمكن ان يؤدي الى أن تكون الجريمة هي الاخرى بسيطة فتصنف مخالفة.

ان النقاط الثلاثة المذكورة، تحتم تناول موضوع المخالفة، إصلاح نفسي مرادف للاضطراب أو عدم السواء سلوكيا، وهو يعبّر عن كافة أنواع الإنحرافات أو الجرائم من حيث الدوافع والاسباب على أقل تقدير، وإستناداً الى الاعتبارات التالية:

1. ان دوافع إرتكاب الجريمة واحدة من حيث النوع، لذا تصبح مناقشة دوافع كل نوع من أنواعها مسألة غير مجدية علمياً.
2. إن الضباط كآمرين وهيئات ركن غالباً مايتعاملون مع المخالفة، وليس مع الجنحة والجناية التي تكون عادةً من إختصاص المحاكم العسكرية، ورجال القانون.
3. إن المخالفة وبسبب كثرة تكرارها في البيئة العسكرية مقارنة بالأنواع الأخرى من الجرائم المرتكبة، هي الأكثر تأثيراً على القدرة القتالية.
4. إن مرتكبي المخالفة أقرب إلى السواء منهم إلى مرتكبي الجناية والجنحة، لكون الفعل الناتج بسيط في شدته، قليل في تأثيراته على المصلحة العسكرية العامة، لذا فأن امكانات تعديل السلوك مسؤولية تقع على عاتق الضباط والآمرين والجهات القانونية العسكرية، وهي في متناول أيديهم في احيان ليست قليلة.
5. ان عرض الموضوع باتجاه واحد وبالطريقة المشار إليها يتفق والتعريف الشامل للجريمة من وجهة نظر علم الاجرام، حيث أشار المعنيون به إلى ان الجريمة بمعناها الواسع هي كل مخالفة لقاعدة من القواعد التي تنظم سلوك الانسان في الجماعة، وهي:
سلوك فردي يتمثل في عمل أو تصرف مخالف لأمر ما.
أو امتناع عن القيام بعمل فرضته القاعدة القانونية، ويباشر في وسط إجتماعي معين. (جلال ثروت ومحمد زكي عامر1983)

الفصل الثاني
عوامل ارتكاب المخالفة

العوامل النفسية
العوامل البيئية

العوامل النفسية

عوامل التأثير

يشار في بعض الادبيات، ومن خلال التعامل اليومي أو الوظيفي مع الآخرين في البيئة المحيطة بينها البيئة العسكرية، إلى مخالفات تأتي في الغالب من أسباب بيئية "أقتصادية، سياسية، أسرية، وضغوط عسكرية" . . . الخ من الأسباب والعوامل التي توضع تحت عنوان عوامل البيئية الخارجية التي سيتم تناولها بقدر من التفصيبل في عنوان لاحق، وهناك في المقابل عوامل البيئة الداخلية أي النفسية.

ان العوامل النفسية هي تلك العوامل ذات الصلة بطبيعة الانسان وخصائصه، وعاداته وتقاليده، وما مخزون في داخله من مكبوتات وأفكار وانفعالات، تسهم في التأثير على طبيعة السلوك ومساراته.

ان النظرة الكلية الى السلوك أي سلوك "بضمنه السلوك المخالف" في موقف ما، تأتي من النظرة الشاملة إلى الانسان الذي لا يمكن اغفال نواياه ومقاصده، اذ نلمس هنا أن عموم السلوك المخالف أو ان عموم المخالفات اما ان تكون:

1. عمدية.

أي أن المخالف فكر بها مليا وأقتنع بارتكابها، وقد يكون برر مع نفسه أحقيته بارتكابها، فالهروب من موقف قتالي على سبيل المثال يبرر البعض توجههم لارتكابه لشدة النار المعادية، أو لكثافة القصف المعادي، اي أنه يتلمس الحجة ويؤولها مع نفسه، ليعطيها الحق في القيام بالسلوك المخالف.

ان المدركات والتبريرات والحجج التي يقدمها الانسان بشكل عام مخالفا كان أو غير مخالف، عمليات تجري في العقل، من خلال ما يرد اليه من مثيرات بيئية خارجية، تفاعلت مع ما مخزون في داخله من معلومات ومفاهيم "نفسية" أدت الى الفعل "السلوك المخالف" وعلى هذا الاساس أو مادامت كذلك فان العامل النفسي فيها هو الاساس الذي ينبغي التركيز عليه.

2. آنية.

أي تلك التي تقع بالصدفة ودون تخطيط مسبق، وهي عادة ماتحدث نتيجة للغضب والميل للعدوان والنوبات الهستيرية وفقدان الاتزان، أو بسبب خلل في الشخصية عندما يتوهم المعني، حدوث مظالم وإعتداءات على شخصه، وفي جميعها يحصل نوع من الإنفعال الشديد يدفع باتجاه السلوك المخالف.

كأن يأمر آمر الوحدة بعض جنوده باعادة تنفيذ كمين خلف خطوط العدو، سبق وأن نفذوا مثله قبل عدة أيام مضت، فيدركون وعلى ضوء خبرتهم في تقدير خطورته الشديدة أنه واجب انتحاري، في حين يعتقد هو أنهم شجعان، ولا يمكنه الاعتماد على غيرهم، مما يكون خللا في ادراك الموقف، يتسبب في توجه البعض الى ارتكاب مخالفة الهروب، مخالفة لم يكن المعنيون قد خططوا لها.

هنا تجدر الاشارة أن الانفعال الشديد يربك عمل الوظائف العقلية، فيعوق التفكير السليم والاستدلال الصائب. ومن ثم يلجأ الفرد "المنفعل" مساقاً بهذا الخلل إلى إرتكاب المخالفة. وهنا أيضاً يكون العامل النفسي أساساً في حدوث الاضطرابات السلوكية.

المخالفة من وجهة النظر النفسية

ان التطورات الحاصلة في مجال العلوم المعنية بدراسة السلوك الإنساني، إنعكست خطواتها على تحديد دوافع إرتكاب المخالفة على مستوى الأفراد في كافة البيئات والمجتمعات البشرية وكما يلي:

كانت الخطورة الأولى هي الابتعاد عن ربط سلوك إرتكاب المخالفة بالأفكار الغيبية والأرواح الشريرة وأعمال السحر بعد أن حاول المهتمون إيجاد تفسير واضح أو سبب واحد يلقي الضوء على سلوك الفرد غير المرغوب إجتماعياً أو الذي يشكل مخالفة للقوانين والتشريعات السائدة، فبرزت عندها الوراثة أولا كسبب إدعى البعض انه العامل الوحيد وراء ذلك السلوك. ومن بعد هذا جاء البيئيون ليعلنوا ان الأسرة أو الجماعة أو الطقس أو الظروف المحيطة هي الدافع الوحيد لارتكاب المخالفة(سكنر ب ف)

ان إلقاء المزيد من الأضواء على ماهية الإنسان وحاجته وانفعالاته ودوافعه جعل الرأي الذي جاء به المفسرين الأوائل من ذوي الإتجاه الواحد غير مقبولا، ودفع الى أن تنشأ بدلاً عنه، عدة نظريات تأخذ بتعدد الأسباب، وكانت من بين أولى النظريات النفسية ذات التأثير الواسع هي نظرية التحليل النفسي التي طرحت مفهوم غريزتي الحياة والموت والعدوان، اللتان تلعبان دوراً كبيراً في توجيه سلوك الفرد وتحديده في مختلف مناحي الحياة للمحافظة على الذات، وتأكيد الوجود. علما أن أصحاب هذا الإتجاه يركزون على البيئة كعلة حافزة عن طريق الإثارة والاحباط. (فرويد، سيجموند 1966).

ان المشكلة حسب رأي اصحاب هذا الاتجاه تكمن في إشباع الفرد حاجاته ضمن البيئة التي يعيش فيها. والسلوك من وجهة نظرها، أي سلوك بضمنه المنحرف "المخالف" هو محصلة قوى مختلفة في الحقل بعضها ذاتي وبعضها الآخر بيئي، لذا فأن من لم تكن لديه القدرة أو الاستعداد على تحمل إحباطات هذه البيئة، ويسلك بشكل متكيف مع قيمها وضوابطها، فأنه سيتجه إلى موضوع آخر بغية الإنحراف "المخالفة".

هذا ويؤكد المؤيدون لهذه النظرية ومريدوها على ان البعض من المخالفات أو الإنحرافات تأتي لتأكيد الذات، وتصريف العدوان، ويرجع قسم منها إلى رغبة عميقة في إستثارة العقاب تهدئة لمشاعر اثم عميقة، كما يمكن أن يتعلق الأمر برغبة مكبوتة في معارضة قيم معينة أو علاقات بمشاعر الإحساس بالاختلاف عن الجماعة في أي صورة من صور عدم تقبل الجماعة للشخص المعني "المخالف"، وعدم التقبل من وجهة نظرهم يمكن أن يدفع إلى ارتكاب سلوك المخالفة أو السلوك المنحرف كعدوان على الجماعة غير المتقبلة.

كما يمكن ان يحدث ذلك وببساطة نتيجة للتطابق مع شخصية إجرامية في الواقع أو الروايات والأفلام أو بسبب إضطراب العلاقة مع السلطة الضابطة. (صلاح مخيمر 1975).

ان هذه المدرسة لم تكتفي بالتفسيرات العامة الشاملة فقط، بل حددت بعض الدوافع والاسباب تبعاً للتحليل النفسي لكل حالة من الحالات

المعروضة. وعلى وجه العموم فان خلاصة وجهة نظر التحليل النفسي تركز على ان هناك دوافع ينبغي إشباعها، وبشكل متوافق مع القيم والظروف البيئية، والفشل في ذلك يؤدي إلى الاضطراب أو المرض النفسي أو الى السلوك غير المتوافق "المخالف".

ان وجهة النظر الأخرى الخاصة بدوافع ارتكاب المخالفة، وكيفية ارتكابها جاءت من المدرسة السلوكية التي تختلف كثيراً ، وتفسيرات التحليل النفسي، وهي مدرسة تركز على قوانين التشريط والتعلم[3]، والمثيرات البيئية أساسا في عملية إكساب الناس السلوك السوي أو غير السوي "المخالف" وفي رأيهم، فإن السلوك المنحرف مكتسب عن طريق مخالطة الآخرين والإتصال بهم وعلى الأخص في نطاق الجماعات ذات الإرتباط كالأسرة، المدرسة، الوحدة العسكربية . . . . إلخ.

ان هذه المدرسة كسابقتها تعطي فترة الطفولة الأولوية في تعلم السلوك المخالف من خلال عمليات التعزيز التي تجري عادة لبعض التصرفات، وعلى سبيل المثال قيام طفل بالإعتداء على جار لعائلته يمكن أن يكتسب هذا السلوك المخالف، ويصبح اسلوباً مميزاً لتعامل هذا الفرد مع المواقف المماثلة حتى بعد وصوله إلى مراحل متقدمة من

---

3. قوانين التشريط في المدرسة السلوكية تعني ارتباط شرطي بين مثيرين "طبيعي" وآخر محايد، يؤدي الى استثارة السلوك المطلوب لمجرد حصول المثير المحايد، وتعود الاراء بهذا الصدد الى تجارب العالم الروسي، بافلوف، عندما عمل تجربة على كلب قدم له طعاما كمثير بطبيعي، فلاحظ ان الكلب يفرز لعابا كاستجابة طبيعية، وقام فيما بعد باحداث صوت جرس كمثير محايد، قبل أن يقدم الطعام "المثير الطبيعي" وبعد تكرار التجربة وجد أن الكلب يفرز اللعاب فور سماعه صوت الجرس، فسرهُ بحدوث التشريط بين المثيرين: تقديم مثير محايد يليه مثير طبيعي، وتكرار هذا التسلسل يجعل المثير المحايد قادرا على استجرار الاستجابة الطبيعية التي كانت تتأتى للمثير الطبيعي فقط.

وهي على هذا الاساس ترى ان السلوك، بينه المخالف يتكون اساسا من المثيرات والاستجابات، وان التعلم هو عملية الربط "التشريط" بين المثيرات والاستجابات، بحيث اذا ظهر المثير الذي أرتبط باستجابة معينة، مرة أخرى فان الاستجابة التي أرتبطت به، سوف تظهر هي الاخرى.(ميكاركي، آيدن وهوكانس جاك 1986).

العمر، إذا لاقى استحساناً من الأبوين أو تشجيعاً أو تغاضياً عن اللوم والتأنيب "تعزيز".
هذا ويمكن أن يتعلم الإنسان خلال مسيرة حياته الكثير من الاساليب أو التصرفات التي تنسجم ورغبة المجتمع من خلال النمذجة وتقليد سلوك الوالدين والأخوة والأصدقاء أو بمشاهدة الأفلام وقراءة الروايات وغيرها.

المخالفة من وجهة النظر الاجتماعية

اما في علم الاجتماع الذي تناول أصحابه المخالفة، بعدها سلوك منحرف، فقد طُرحت أكثر من نظرية لتفسيره سلوكا مخالفا، من بينها:

نظرية الضغط.

التي ترى ان السلوك المخالف يحدث نتيجة لضغطٍ، مصدره الرغبات الموجودة لدى الانسان، فعندما يريد أحد على سبيل المثال تحقيق النجاح كما ينتظر منه الجميع أو كما يحثونه عليه، فانه سيصل إلى ذلك وفي حالة الفشل أو عدم القدرة على الوصول إلى الرغبة إمتثالاً للقوانين الموجودة، فانه والحالة هذه سيفقد الأمل، وسيتحول سلوكه الى سلوك مخالف، لتحقيق مايعتقد بأن لديه الحق في إمتلاكه، هذا وتعتبر هذه النظرية، الاحباط الشديد والسخط والحرمان وخبرات الفشل إضافة إلى التعارض بين الطموحات والتوقعات والرغبات التي لايسمح بتحقيقها من العوامل أو الدوافع القوية لحصول الانحراف والسلوك المخالف. (كولمان جيمس 1978).

ان الاحباط هنا، حالة نفسية انفعالية غير سارة، قوامها الشعور بالفشل وخيبة الأمل، تأتي من تيقن الانسان بوجود عقبات أو عوائق تحول دون إشباعه لحاجات مادية أو نفسية يسعى لاشباعها، ودون تمكنه من بلوغ اهداف له في الحياة، لذا فهو يشير، بالدرجة الأولى إلى "المشاعر، التي يشعر بها الفرد، نتيجة حتمية للإعاقة أو الإرجاء. وهي مشاعر سلبية، تتضمن الضيق والتوتر والقلق وخيبة الأمل، والمشاعر الاكتئابية أحيانا.

ان الاحباط في العادة يفضي الى مشاعر عداون تصوب أو توجه نحو الذات أو الى الآخرين، أشخاص أو مؤسسات أو الدولة بذاتها. (نوتان جوزيف 1978).

نظرية الضبط.

ان هذه النظرية طرحت المسألة بشكل مغاير من خلال سؤال جعلته محور تفسيراتها للسلوك المخالف مفاده: لماذا يطيع الناس قوانين المجتمع؟.

ان الاجابة على هذا السؤال من قبل مريدي هذه النظرية، جاءت من خلال أدبياتها الدارجة، التي تعتبر المخالفة "الانحراف" هو السلوك الغالب، لذا فالحاجة من وجهة نظرها تتمثل في البحث عن تفسير مقبول لسلوك الإمتثال وليس المخالف.

كما انهم أي المريدين يؤكدون على أن وصف السلوك بأنه جانح أو إجرامي أو مخالف ينبغي أن لا يكون وصفاً قاطعاً، لأن سلوك مثله غالباً ما يسفر عن تحقيق الاهداف بطريقة أسهل وأسرع من السلوك الاخلاقي، أي إن الغاية كما يعتقدون تبرر الوسيلة.

أن النظريتين المذكورتين، وغالبية النظريات التي تناولت السلوك المخالف، أشارت في مجملها إلى جملة أمور بينها:

1. أهمية القيم الأخلاقية في ضبط السلوك.
2. أن الإمتثال لتلك القيم سيكون نابعاً من داخل الانسان بعد أن يكسبه ويستدمجه ذاتياً في داخله من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، التي جاءت مصطلحا في علم النفس والاجتماع، يعبر عن عملية تعلم إجتماعي تدريجي "نمو"، بشكل مستمر، ديناميكي متداخل، وهي من جانب آخر عملية قائمة لتشكيل السلوك الإجتماعي للفرد ضمن الجماعة، واستدخال ثقافة المجتمع في بناء شخصيته، وتطبيع المادة الخام للطبيعة البشرية، وتحويل الكائن البيولوجي إلى كائن إجتماعي، فيكتسب من خلالها الإنسان صفة الإنسانية.

   انها عملية يقابلها في البيئة العسكرية التطبيع الى الحياة العسكرية، حيث التدريب على بعض المفردات والحركات والاساليب، والتعرض الى نوع من الحياة، فيها قدر من الضغوط والقسوة،

يكتسب من خلالها الملتحق الى الخدمة صفة العسكرية أو المهنية العسكرية.

3. ان الفرد وبعد حصول الامتثال يستمر في الإلتزام بالقيم حتى إذا لم يكن هناك من يراقب ويرى مايحدث.
4. عندما يتم تقبل "إستدماج" المعايير الإجتماعية بنجاح، فإن الفرد سيتراجع عن ارتكاب المخالفة.

فالامتناع عن سرقة أموال الغير، كمخالفة بعد حدوث الاستدماج مثلا، سلوك يحدث ليس بدافع الخوف من إلقاء القبض والإيداع في السجن، بل بسبب إعتقاد المعني إن السرقة بحد ذاتها شئ غير محبب وعمل خاطيء، وهنا يتصرف الضمير كميكانزم "آلية نفسية" داخلي للضبط الإجتماعي.

نظريات الانحراف الثقافي.

لقد جرى التركيز في علم الإجتماع بالاضافة الى ما ورد على تصور ثالث في هذا المجال تحت تسمية نظريات الإنحراف الثقافي، والتي تفسر السلوك المنحرف أو المخالف على إنه نوع من الإمتثال لمجموعة من المقاييس لايقبلها المجتمع في معظمه، فقد يقوم شخص ما بإرتكاب أفعال تعد إنحرافاً إذا ماقيست بمقاييس طبقة أو شريحة إجتماعية معينة، وقد لا تعتبر كذلك وفق مقاسات أخرى، علما لا يوجد أي أثر في كتابات أصحاب هذا الاتجاه للجوانب الإنفعالية في تسبيب الإنحراف، وان الفرد حسب رأيهم يتعلم كيف يعزف على آله موسيقية، وليس كيف يزدري المافوق أو يسرق المال العام. (ترافس هير سجي1987).

العوامل البيئية والمخالفة

تداخل العوامل

إن العرض الموجز لوجهات نظر مختلفة، لبعض علماء النفس والإجتماع والنظريات النفسية، والاجتماعية كما ورد في أعلاه جاء تأكيدا لحقيقة مفادها صعوبة رد المخالفة الى عامل واحد أو الإلتزام بنظرية معينة لتفسير حصولها بشكل مطلق، لإن المتتبع لا يجد أن هناك سبباً واحداً لارتكابها أو على الأقل لا يستطيع أحد أن يجزم بذلك، ولا أحد يمكنه القول بان حاجة مالية أو تشوهاً بدنياً أو إنفعالاً محدداً أو تخلفاً عقلياً أو مستوى معيناً من الجهل أو إتجاهاً لاحدى وسائل الإعلام، قد أدى لوحده إلى إرتكاب مخالفة ما في وقت محدد، لان أي عامل من هذه العوامل لا يعمل في فراغ، وانما يتم عمله من خلال منظومة أي شبكة علاقات بيئية متداخلة.

فالجندي (أ) مثلاً داخل شبكة علاقات (منظومة) للمفرزة الاولى التي فيها (ب، جـ، د، هـ) سيكون غير الجندي (أ) نفسه أي من حيث السلوك، عندما يعمل في شبكة أخرى من العلاقات للمفرزة الثانية التي فيها منتسبين هم (و، ز، ح، ط) وهكذا.

ان النظر الى المخالفة كظاهرة إنسانية، في المجتمعات البشرية، والنظر اليها حالة تصدر عن فرد له وضعه الخاص وتركيبة نفسية تختلف من شخص الى آخر، تدفع الى القول:

ان سلوك المخالفة الصادر عن هذا الانسان صاحب الوضع الخاص والتركيبة النفسية الخاصة، مختلف من حيث الدوافع والاسباب "العوامل". التي أنتجت السلوك المخالف في الزمان الذي حصلت خلاله والمكان الذي وقعت فيه.

ان درجة تأثير التكوين الداخلي لكل إنسان على تصرفاته، ودرجة تأثره بمختلف العوامل الخارجية تختلف أيضاً من شخص لآخر، على نحو يكون فيه من الخطأ الاشارة الى أن هذا العامل أو ذاك يعد سبباً كافياً ولازماً أو وحيدا لوقوع المخالفة.

المتغيرات البيئية المؤثرة

ان حقيقة تعدد العوامل المذكورة آنفا، تحتم مناقشة موضوع التأثير في إنتاج وتكوين السلوك المخالف تحت إطار أوسع، يتعلق بجملة العوامل التي يكون إحتمال تأثيرها أكثر من غيرها باتجاه هذا التكوين للسلوك غير التوافقيى أي المخالف، وستتم مناقشتها هنا تحت العناوين الآتية:

1. الاسرة.
2. الوسط الاجتماعي.
3. العوامل الموقفية.
4. القدرات الفردية.
5. الصنف والمهنة.
6. مستوى العيش.
7. التحصيل الدراسي.

الأسرة

إن تشكيل السلوك الانساني بشقيه السوي وغير السوي، ترده غالبية التفسيرات النفسية إلى الطفولة كأساس لبناء الشخصية وصياغة السلوك. فيولد الطفل ويخضع إلى عوامل النهي من إرتكاب بعض الاعمال والسماح بممارسة أخرى ثم إلى الكثير من التفسيرات والضوابط الاجتماعية فيها:

العيب من الاقتراب الى أمر غير مرغوب.

التأكيد على الحرام من إرتكاب سلوك ما غير مناسب.

وفيها بنفس الوقت التعزيز، من خلال التشجيع على الاقتراب من المسموح والتأكيد على الدارج، والأخذ بالسلوك المطلوب.

ان الطفل ينمو في أسرته تدريجياً بين أبوين قد يستخدم أحدهما أو كلاهما القسر والشدة، أو العقاب الصارم في التعامل اليومي أو العكس من ذلك، حيث اللجوء إلى التسيب والتدليل الزائد وعدم المحاسبة، أو قد يكون وسطاً بين الاتجاهين، وعلى العموم فان غالبية الاطفال ينشأون بين واحدة أو أكثر من الاسر المبينة اتجاهاتها في أدناه:

1. أسرٌ اتجاهاتها في التعامل مع الضوابط والقوانين والاعراف غير سوية، فليس في قاموس الاب كلمة ممنوع أن تعمل هذا، أو ممنوع أن تعمل ذاك، كذلك لا توجد في معتقدات الأم اسس عن ماهو عيب أو تفسيراتها لإرتكاب المعاصي.
2. أسرٌ يعيش أفرادها بانتظام، كل شئ في حساب، إعتباراً من الوقت إلى طريقة الأكل، ومن ثم الى أسلوب التواصل مع الأهل والأصدقاء، والتعامل مع الاعراف والتقاليد.
3. أخرى تفعل العكس تماماً حيث لا دراية للوالدين بمواعيد عودة الأبناء إلى البيت، عندما يكون الشارع مجالاً لإحتوائهم معظم الوقت.
4. اسر تغالي في تدليل أطفالها، حيث القيام بتلبية رغبات الطفل دون تردد، مع خفض عدد ومستوى النواهي والتوجيهات، مما يقلل من

الثقة بالنفس، وينمي التردد والعناد والمخالفة، أو التوجه الى سلوك يكون فيه تابعا متوجسا.

هذا مجال فيه العديد من الأمثلة التي يتذكرها الآباء، ويعيها الأبناء لاحقاً والتي تشير إلى إختلاف أسلوب العوائل في العيش والتعامل مع بعضها البعض، كواجهة أمام الأطفال أو في إدارتها لشؤونهم.

اننا هنا لسنا في إطار تحديد تأثيرات كل أسلوب تنتهجه الأسرة في تعاملها مع الأبناء وإنعكاساته على سلوكهم المخالف لاحقاً، لكننا لا يمكن أن نغفل تأثيرات مسألتين مهمتين:

1. دور الأب كمثال أو نموذج للأبناء، يحاولون تقليده في كل الاعمال التي يقوم بها أو المسالك التي يسلكها، حيث السعي الحثيث من جانبهم لاكتسابها، وتعلمها بإستمرار. من هذا يكون تأثيره على العسكري الملتحق الى الخدمة حديثا، وكذلك المستمر بها، كبيرا، وتكون علاقات المنتسب السابقة مع الاب ابان الطفولة وما بعدها علاقة تشريط مع الآمر، تنعكس على أنتاج سلوك المخالفة، او الالتزام بالتعاليم التي ترسخت في الذاكرة، على أنها تعاليم الاب، وان الوحدة بمفهومها العام هي الاسرة. لهذا تؤكد الأدبيات العسكرية في مجالها على ضرورة أن يكون الآمر قدوة لمنتسبيه، ينظر اليهم بمنظار الأب العادل، وأن تكون الوحدة وعاءا يجمع المنتسبين، في اطار علاقات عامة ايجابية، وكانها تمثل أسرة على المستوى النفسي.
2. إمكانات الوالدين في وضع حدود لسلوك الأطفال في بداية حياتهم، بإتجاه:
   ماهو صح أو خطأ.
   ممنوع أو غير ممنوع.
   حرام أو حلال.... التي تؤثر جميعها في تكوين الضمير والرقابة الذاتية لمنع الخطأ، ومقاومة الميل لإرتكاب الإنحراف مستقبلاً.

إن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع أشارت إلى ان للأسرة دوراً كبيراً في تحديد مصير أبنائها، وعند تتبع حالة البعض من أسر تنقصها الروابط الإجتماعية الصحية كالمحبة والإحترام، وتمثّل القيم السائدة مثل الأمانة وتحمل المسؤولية. . . إلخ، يتبين أن افرادها أكثر ميلا

لارتكاب المخالفة من غيرهم، أو بالمقارنة مع أولئك الذين يعيشون حياة مستقرة في عوائل منسجمة.
كذلك أوضحت بأن موقع الفرد من أسرته هو الآخر، متغير مؤثر على السلوك، فإذا كان هو الوحيد لأبويه قد يتعرض إلى القلق والخوف والأنانية أكثر من غيره، وبنفس الوقت فإن الإبن الأكبر يختلف في سلوكه عن الأوسط أو الأصغر في معظم الأحيان، إضافة إلى ذلك، إكتظاظ المسكن بأهله غالباً ما يؤدي ألى إصابة أطفالهم بالعصبية وعدم الإتزان ويدفع العديد منهم إلى ترك المنزل، وقضاء معظم الوقت خارجه (محمد زكي 1982).

دور الاسرة في التأثير على الأبناء العسكريين

إن تأثيرات الأسرة في المجتمعات الشرقية لا تقتصر على مرحلة الطفولة فقط، إذ أن العلاقات الإجتماعية تمتد في أحيان ليست قليلة لتشمل الأبناء بعد إكتمال رجولتهم بحيث يعطيها هذا الامتداد، دوراً أكبر في التأثير على الشباب بعد إلتحاقهم الى الخدمة العسكرية، مقارنة بالمجتمعات الغربية التي تضعف فيها سلطة الوالدين بعد إجتياز الأبناء مرحلة عمرية معنية "18 سنة في غالب الاحيان".

إن العديد من الأباء العراقيين يستمرون في متابعة أبنائهم العسكريين الشباب، وبمستوى يتعاظم تأثيره في ظروف التوتر والقتال الفعلي، عندما يأخذون على عاتقهم القيام بدور المعالجين للاخطاء والانحرافات، والمقومين للإتجاهات غير السوية، فيتدخلون بشكل مباشر في شؤون الابناء، بديلا عن الامرين الذين يقتضي الموقف ومعالم الحياة العسكرية أن يقوموا هم بهذه الادوار.
اذ نرى وفي الظروف الصعبة عادة ما يتعرض الابناء الى ضغوط نفسية وبدنية قاسية خاصة في فترات القتال يكونون فيها أو بعضهم على أقل تقدير في مواقف صراع نفسي متعددة الاتجاهات بينها:
صراع بين الإستجابة لمقتضيات المصلحة العامة والواجب الوطني والالتزام بتأدية المهام في الوحدة مهما كانت الأسباب، وبين العودة الى حضن العائلة ودفئها، والابتعاد عن التهديد في العيش تحت الخطر.

صراع بين الرغبة في الإلتحاق بعد إنتهاء الإجازة مباشرة، وبين الميل للغياب يوم أو يومان لحضور مناسبة عائلية.
صراع بين التمتع بسهرة مع الاصدقاء، وبين الالتحاق التزاما بتنفيذ التعليمات.
.... الخ من أنواع الصراع التي لابد ان تحسم، أي أن تنتهي بالتوجه إلى أحد الخيارين، وإلا يحل الاضطراب أو المرض النفسي كأسلوب غير سوي لفض الصراع.
هذا وتولي جميع المدارس النفسية، الصراع النفسي أهتماما واسعا، وغالبيتها تفسر الاضطراب والمرض النفسي، بالحال الذي ينتج عن عدم قدرة المعني بفض الصراع الحاصل في داخله، وهذه مسألة صحيحة اذ ان جميعنا قد مر بتجربة البقاء دون نوم لليلة واحدة مثلا اثر التفكير بموضوع يتطلب منه قرار يختار فيه أحد أمرين، وعندما لم يتمكن من اتخاذه يبقى مستمرا في يقضته غير قادر على الاستسلام للنوم، واذا ما استمر الحال على نفس المنوال لايام متتالية، قد يتحول الارهاق والتعب وعدم النوم الناجم عن الفشل في حسم الصراع واختيار احد الامرين، الى اضطراب نفسي.
ان دور الاسرة العراقية يأتي من فاعليتها في دائرة الصراعات المذكورة على وجه الخصوص، عندما تسعى للمساهمة في حل المشكلة، اي إنهاء حالة الصراع بإضافتها ثقلاً لأحد كفتي الميزان بعد ترجيحها الإلتحاق مثلا، دون تأخير أو الإلتزام دون تقصير، وقد يكون العكس ترجيح لكفة عدم الالتحاق، الذي يعزز السلوك المخالف، دون الاخذ بالاعتبار التبعات القانونية، وهنا أو في هذه الحالة تصرفت الاسرة بدافع الحماية الذاتية للابناء، حماية غير سوية أي مخالفة. مثال عنها هو العريف (سلمان) من الفوج الثالث لواء الخامس عشر، الذي يشهد له آمره في حينه، أنه ضابط صف ملتزم، متفان، منضبط، ينفذ جميع المهام التي توكل اليه بنفس طوعي، لا يتأخر يوم عن موعد الالتحاق من اجازته الدورية التي كانت الفرقة الاولى تمنحها لمنتسبيها سبعة أيام لكل شهر عام 1967، وفجأة بدأ سلوكه يتغير الى التأخير في كل مرة، والى تسجيل العيادات المرضية سعيا للحصول على اجازة مرضية يحاول قضائها في بيت أهله بمدينة البصرة.

حاول آمر سريته، تقديم مساعدة له يومين اضافيتين على الاجازة الدورية الممنوحة اصلا، الا ان وقع المخالفة لم يتغير. وعند متابعة موضوعه من قبل آمر فصيله، تبين أن والدته قد أصيبت بمرض مفاجئ، وبسببه باتت تعتقد ان نهايتها في الحياة قريبة، وبذا تضغط على أولادها جميعا بينهم العريف سلمان لكي يكونون قريبين منها كل الوقت لتجنيبهم أي مكروه قد يحصل لهم. وأخيرا استسلم الى رغباتها في البقاء قريبا حتى دخل الهروب الرسمي، لستة أشهر، عاد بعدها الى الفوج، معترفا بذنبه، مستعدا لتقبل العقوبة، وعند الاستفسار منه تبين أن والدته قد شفيت من مرضها، واستطاع اقناعها بضرورة الالتحاق بوحدته، ونظرا الى خدمته الحسنة وصدقه في الموضوع بادر آمر الفوج باستحصال عفو خاص عنه. وتم له ذلك.

التواصل بين الآمر والوحدة العسكرية

أن الجيوش الحديثة ولغرض الحد من تدخل الاسر في غير صالح المهام الوطنية للوحدة العسكرية، ولتحييد الاباء وابعادهم عن الولوج في مواقف الصراع التي تحصل للابناء العسكريين، تتجه الى توثيق علاقاتها مع اسر المنتسبين من خلال اشراكهم في بعض الفعاليات، ودعوتهم لحضور بعض المناسبات، والاحتفالات، وزيارتهم عند اكتشاف توجه الابن نحو السلوك المخالف.

علما ان دور الاسرة في التدخل لا يتوقف الى هذه الحدود المذكورة، خاصة في حالات الحرب وعدم الاستقرار، إذ تُدفع العائلة من الجهات الحكومية والعسكرية لان تقدم دعماً معنوياً وإسناداً نفسياً إلى أبنائها، للتخفيف عن معاناتهم، وتشجيعهم للاستمرار في العمل بجد ونشاط خدمة للجيش، وأهداف الوطن النبيلة.

الوسط الاجتماعي

ينمو الإنسان مؤثراً ومتأثراً بالآخرين، وبالطريقة التي يجد فيها أنه غير قادر على العيش بعيداً عن الجماعة بكافة أشكالها.

فهناك الأقران والأصدقاء، وجماعات اللعب ورفاق السلاح التي يتصل بها، وينفعل معها في علاقات حتمية. اذ تمثل هذه الجماعات في حقيقة الأمر الفرصة الأولى له في الإتصال الإجتماعي مع غيره، إضافة إلى

إعتبارها المجال الأساس لتدريب الفرد وتعليمه أسلوب التعامل مع الآخرين والبيئة المحيطة.
انه وسط اجتماعي يمكن أن يكون مجالاً إيجابياً لإكتساب السلوك الحالي والمستقبلي.
فنرى على سبيل المثال وفي وسط البيئة الاجتماعية العسكرية، بعد إلتحاق المتطوعين إلى وحداتهم أبان فترة التدريب الاساسي، وجود استجابات سلوكية "ردود أفعال" مختلفة لهم في هذا الوسط الاجتماعي الجديد بينها:

1. اللجوء في الغالب الى تآلف المتطوعين مع بعضهم البعض، تبعاً الى السن ونوع الإهتمامات ومستوى الثقافة، وغيرها من المتغيرات الأخرى.
2. تظهر على البعض سريعا علامات مخالفة بدءاً من عدم إطاعة الأوامر أو عدم إحترام النظام، وضعف الضبط، ومحاولة النزول بدون أمر.
3. يظهر على البعض الآخر عكس ما ورد في ثانيا أعلاه، حيث الميل الى التفاعل جدياً مع الحقائق القائمة، والالتزام بالضوابط والقوانين السائدة.

الا أن الامر في البيئة العسكرية، لا يجعل الاستجابات الثلاثة المذكورة، تحدث تلقائيا أو في فراغ، اذ أن ظروف الوسط الاجتماعي السائدة في مراكز التدريب ومن ثم الوحدات، والتقاليد العسكرية والبرامج التدريبية أو الترويجية ستكون من العوامل الرئيسية لضبط وتشكيل السلوك المهني العسكري فرديا وجماعيا لدى الغالبية، أو انها ستكون دافعاً لإرتكاب المخالفات التي تختلف أشكالها تبعاً لما يجري فيها من إستعدادات، وإستناداً إلى الظروف النفسية السائدة لدى البعض "الاقلية".
ان الظروف السائدة في الوسط الاجتماعي العسكري ذات التأثير الفاعل في الضبط أو الدافعة الى ارتكاب المخالفة هي في واقع الحال كثيرة ومتنوعة:
فإن عدم إشباع حاجات المنتسبين العضوية، كالمأكل والملبس والمنام أو النفسية مثل تكوين العلاقات وتقدير الذات والشعور بالأمن. . . إلخ،

سواء مع بداية الالتحاق إلى مراكز التدريب أو بعد التنسيب الى الوحدات الفعالة والمؤسسات أو الدوائر الأخرى، سيؤدي بمن لديه إستعداد نفسي للمخالفة بأن يتبع طرق ملتوية أو غير شرعية للاشباع، أو تتسبب هذه الحالة في ضعف مقدرته " المنتسب" للإلتزام بالأوامر والضوابط، فيلجأ إلى المخالفة تعويضاً عن تلك المعاناة وتفادياً لضغوطها.

ان الحاجات، مجموعة الدوافع والغرائز الموجودة عند الانسان منذ ولادته، التي تحتاج الى اشباع بقدر مقبول باستمرار، وهي في تسلسل أهميتها للحياة تشبه شكل الهرم، الذي تتدرج فيه من الاسفل الى الاعلى، ففي قاعدته تكون الحاجات البيولوجية الاهم في ديمومة الحياة، تليها باتجاه الاعلى، الحاجات النفسية التي تأتي في أولوياتها الحاجة الى الامن، ومن بعدها الحاجة الى الانتماء، ومن ثم الحاجة الى التقدير والاحترام، ثم الحاجة الى التفوق والنجاح، وهكذا حتى الوصول الى قمة الهرم الذي تتربع في أعلاها الحاجة الى تحقيق الذات. واشباع هذه الحاجات يكون كذلك بالتتابع، اذ وعندما يشبع الانسان حاجته البيولوجية الجسمية الى الاكل والنوم والراحة، يبدأ بالتفتيش عن اشباع حاجته الى الشعور بالامن والاستقرار، وعندما تشبع هذه الحاجة، يتجه الى التي تلي وهكذا، يعيش الانسان بقدر من الرضا والارتياح حسب درجة الاشباع الحاصلة واحساسه بحصولها، وبعكسه اي في حالة عدم حصول الاشباع المقبول لاي منها سيكون عندها التوتر وعدم الارتياح.

مساعي تكوين وسط اجتماعي سليم

ان الرجوع الى التصور المذكور عن الوسط الاجتماعي، يبين لنا ان الوحدات أو المؤسسات العسكرية، تواجه في المعتاد بعض الأمور التي تفرض على القادة والامرين ومدراء الدوائر والمديريات تكوين وسط اجتماعي عسكري، يساعد على تأمين زيادة في القدرة الميسورة على التطبع والالتزام "تعزيز السلوك الايجابي" من ناحية، والتقليل من احتمالات حصول السلوك المخالف "اطفاء السلوك السلبي"، من ناحية ثانية، وأهم ما تواجهه الوحدة في تكوين وسط اجتماعي عسكري ملائم، ما يتأتى من التجانس في الإعمار والإهتمامات، اذ يلتحق إلى الخدمة العسكرية، وبإستثناء فترات الحرب والنفير العام أعداد كبيرة من

المراتب ومن مواليد واحدة "18 سنة أو قريب منها في أغلب جيوش العالم" وهذا يعني إنهم متقاربين في الميول والاهتمامات والرغبات المطلوبة، ومثل هذه الاعمار الشابة عادة ما يتصف أصحابها بالحماس، وغزارة الطاقة والميل إلى التحدي والرغبة في تكوين العلاقات والإعتداد بالنفس، وهذا تجانس في الأعمار والميول والاتجاهات ينعكس على طبيعة السلوك الجماعي والفردي لهم، إذ ان التواجد بهذه الصورة يكّون مناخاً صالحاً للمخالفة التي يتفاوت تأثيرها بين السلب والإيجاب تبعاً لإستعدادات تلك المراكز والوحدات وأساليبها في التدريب والإدارة.

ان التجانس وعلى الرغم من أهميته لتوافق الاداء بمستوى متقارب، وتلبية بعض الاهتمامات المتقاربة أيضا، الا أنه يضيف أعباء على الوسط الاجتماعي للوحدة وعلى العلاقة مع الآمرين، فيما اذا اتجه المتجانسون صوب السلوك المخالف، عندها ستجد الوحدة صعوبة في التعامل مع بعض المواقف التي يقف منها بعض المتجانسين"المنتسبين" بالضد، لان موقفهم في هذه الحالة، سيكون موقفا جماعيا، ثم ان عدوى المخالفة ستكون بمستوى أكبر في مثل هكذا تجانس خاصة في العمر.

العوامل الموقفية

إن طبيعة العمل العسكري وإجراءات إعداد القوات للحرب، وزيادة قدرتها القتالية، وتعدد الصنوف وكثرة الأسلحة والإختصاصات، عوامل تساعد على إستمرار التغير، وعدم الرتابة في القوات المسلحة التي تؤثر في جوانب المخالفة.

فالوحدة العسكرية ليست دائرة تسجيل عقاري، يتسم عملها بالاتساق الروتيني، والتشابه طيلة أيام السنة:

إذ أن عامها التدريبي أو دورتها التدريبية في ظروف السلمٍ على سبيل المثال مجزأة أو مقسمة لفترات يتعلق قسم منها بالتدريب الفردي وآخر بالتدريب الإجمالي، ومن ثم إعادة التنظيم وكل مرحلة أو فترة لا تشبه الأخرى في ظروفها أو طبيعة العمل فيها، والضغوط النفسية خلالها، وهي بالتالي مختلفة بنوع الإنحرافات المرتكبة أو التجاوزات والمخالفات التي يلجأ إليها المقاتلون أبان تلك الفترة.

وحالة الحرب هي الأخرى لا تتوافق وظروف السلم، من حيث النوع الخاص بالمخالفات وشدة تأثيرها، فبالوقت الذي تزيد فيه النسب بشكل عام في حالات الحرب، فإن شدتها وإحتمالات تأثيرها على الوحدة والقوات المسلحة سيكون أكثر خطورة أيضاً، ويعود كل ذلك إلى كثرة المتغيرات المؤثرة على حالة المنتسبين النفسية، وتعدد الضغوط المسلطة عليهم.

فالميل الى التحدث بالأمور العسكرية " مثل طبيعة الواجبات، وأماكن تواجد الوحدات، والأهداف المستقبلية لها، وماهية الخسائر، وطبيعة القرارات المتخذة" تزداد في الحرب وأثناء الأزمات، بسبب كثرة التحديات وشدة الإجهاد.

وجسامة تأثير المخالفات ومقدار خطورتها على الوحدات، والقوات المسلحة والأمن العسكري في تلك الظروف الحرجة، تكون أكثر بالمقارنة مع حالة الإستقرار، لذلك تتحدد العقوبات من قبل المشرّع العسكري لنفس المخالفة بمستويات أشد في ظروف القتال عنها في ظروف السلم.

بالاضافة إلى ذلك فإن إنشغال الوحدات والتشكيلات بالمعارك الدائرة والتهيؤ المستمر للمواقف الطارئة، وتغير برامج التدريب خلالها يمكن

أن يزيد من تكرار بعض المخالفات المتعلقة بالجوانب الضبطية، هذا وقد تسبب النتائج الفاشلة لبعض المعارك في الحرب، وكرَدْ فعل للإحباط في ظهور بعض المخالفات وبشكل مفاجئ مثل:

1. التجاوز على المافوق في ظروف صعبة.
2. عدم تنفيذ الأوامر الصادرة من الاعلى في أكثر المواقف حراجة.
3. الغياب من الوحدة على الرغم من الحاجة الى التواجد كعامل من عوامل تعزيز القدرة القتالية.
4. ترك المواقع القتالية الى الخلف، وترك الوحدة الى جهات مجهولة بدون إذن.
5. الانحياز الى المنطقة أو العشيرة في القتالات الداخلية التي تجري معها أو قريبا منها.

كما ان للحرب في بعض الاحيان أثر في خفض نوع معين من المخالفات منها المتعلقة بالسلامة الوطنية والكرامة العسكرية أو التي لها صلة بالعنف والتحدي نتيجة لعاملين رئيسين:

الاول: شدة العقوبات المفروضة على المخالفة، تكّون ردعا نفسيا يقلل من حصولها.

الثاني: الجهود المبذولة في الحرب بشكل استثنائي لاغراض التعبئة العامة، وشحذ الهمم، ورفع المعنويات وزيادة الدافعية وتعزيز روح المواطنة، تقلل أفتراضيا من المخالفة التي يقترن أرتكابها بالتجاوز على الوطن في محنته.

كما أن في الحرب، وعندما ينفعل خلالها المقاتل قد يوجه سلاحه باتجاه العدو، كمصدر شرعي مقبول لتنفيس مشاعر العدوان، مما يقلل من حصول المخالفات المتأتية من تراكم الانفعالات.

دور الآمرين في التعامل مع العوامل الموقفية

يتمثل دور الآمر في الوحدة بالدور الذي يلعبه الاب في الاسرة من جانب، ودور السلطة التنفيذية للدولة من جانب آخر، مما يتطلب تسليط الضوء وبشكل بسيط على موقف الابن من الاب أو طبيعة العلاقة النفسية بينهما.

ان أكثر من نظر في هذا الجانب هم اصحاب التحليل النفسي، المؤمنين بعقدة أوديب[4] الذي يشعر على أساسها الابن بسطوة الاب، فيحاول التخلص منه لا شعوريا، أما عن طريق الابدال حيث الاحترام المطلق للاب والافراط في حبه، لأنه لا يتحمل في الاصل فكرة الكره الشديد له اي للاب بسبب سطوته. (جورارد سدني، وتيد لندزمن 1988)

أو من خلال البقاء في اطار العقدة، ساعيا الى تفريغ شحناتها الانفعالية على من يمثل الاب لاحقا، مثل المعلم في المدرسة، والآمر في الوحدة العسكرية، من خلال مخالفتهما على طول الخط.

ان علاقات الابناء بالآباء كونت خصائص في الشخصية الوالدية التي تنتقل بطبيعة الحال الى الشخصة القيادية، أي شخصية الامر/القائد، فنرى في الواقع هناك آباء تسلطيون، وهناك في نفس الوقت آباء ديمقراطيون، وآخرين مهملون لا ابالیون يميلون الى النبذ، وآخرين متساهلين، ميالين الى التدليل.

انها صور لشخصية الاباء نجدها واضحة في شخصيات الآمرين، وفي أساليب تعاملهم مع منتسبيهم الذين يكونون في موقع الابناء من الناحية النفسية.

صورة الآمر والأب

ان الإختلاف، والتغير المستمر في طبيعة الواجبات والأعمال ونوع المخالفات في الوحدات جعل الآمرين بوضع لا يتوقف عند حدود الاب في التربية والتوجيه والمتابعة، بل ومنها جميعا وتحمل المسؤولية الخاصة باعداد المنتسبين لنوع من الاداء المميز يقبلون في محصلته التضحية بالنفس من أجل تحقيق الهدف أو تنفيذ الاوامر التي يصدرها الآمر "الأب"، وهنا، وفي الحروب على وجه الخصوص قرأنا قصصا، وتلمسنا حالات كثيرة تعبر عن انعكاس نفسي للعلاقة الأبوية بين

---

[4]. عقدة أوديب، مفهوم في علم النفس التحليلي، أفترضه سيجموند فرويد. استوحاه في أثناء صياغته لنظرية التحليل النفسي، من أسطورة أوديب الإغريقية، وهي عقدة نفسية تطلق على الذكر الذي يحب والدته، ويتعلق بها، ويغير عليها من أبيه، الى الحد الذي يكرهه بسببها، وهي تقابل عقدة اليكترا عند الأنثى. وعموما فان المصطلح في هذه النظرية يدل على المشاعر والأفكار والاحاسيس الجنسية التي تبقى مكبوتة في العقل الباطن للطفل تجاه امه.

الآمرين والمنتسبين، تمثلَ بعض منها في قيام جنود أو ضباط صف بالتضحية بأنفسهم أثناء الاشتباك بالعدو، واذا ما بقيَّ بعضهم على قيد الحياة جريحا أو سليما بعد أنقاذه باللحظات الاخيرة، وسؤل عن سبب قيامه بهذا العمل الخطر، أو لماذا ألقى بجسده على الآمر عند تعرضهم لاطلاق نار قريب؟، يجيب:
هذا آمري، اني احترمه ومستعد أن أضحي بحياتي من أجله: اجابة تمثل علاقة قبول وحب أبوي.
وتلمسنا في الحروب أيضا أن جنوداً تركوا آمريهم في ساحة المعركة محصورين من قبل العدو أو يتعرضون الى نيران شديدة وأنسحبوا بحجج معينة، واذا ما سؤلوا من أصدقاء لهم مؤتمنين، يجيبون على العكس من الاجابة أعلاه، مالي ومال الآمر، دعه يتلقى مصيره، وقد يضيف البعض تمنيات بالتخلص منه: وهي قد تكون علاقة رفض وكره أبوي أيضا. من هذا نرى الآمر في عمله اليومي، يتحرك باستمرار لأغراض:

1. التعرف وبشكل دقيق على كافة المتغيرات ذات الصلة بالظروف الحاصلة، وبنفس الوقت يحاول اشراك الآخرين في جهوده هذه ليكونوا قريبين منه ويكون هو قريب منهم نفسيا.
2. دراسة كيفية موائمة الظروف ومتغيراتها للمقاتلين وظروف عملهم، لانه الادرى بطبيعتهم، أي المنتسبين وقدراتهم، والادرى بالظروف المحيطة بهم.
3. التقرب أكثر للمنتسبين، بمسافة نفسية معقولة بينه وبينهم، بغية التعرف المعقول بطبيعة المنتسبين وقدراتهم وخصائصهم، وبما يساعد على دفعهم باتجاه التصرف الصحيح في الوقت المناسب. والمقصود بالمسافة النفسية هي تلك المسافة الافتراضية بين الاب وابنه أو الصديق وصديقه، وكذلك بين الآمر ومنتسبيه، والتي في الحالة الاخيرة أي الآمر ومنتسبيه، تكون حساسة وتحسب بحسابات دقيقة، بحيث لا تكون بعيدة بالحدود التي لا يفهم فيها الامر منتسبية، ولا يحب المنتسب آمريه.

كذلك لا تكون قريبة جدا بالمستوى الذي يتدخل فيه الآمر بكل تفاصيل منتسبيه، ويقترب المنتسب كثيرا "رفع الحدود الادبية" على آمريه.

انها مسافة موزونه يكّونها التدريب والضبط وأسلوب الآمرين، كانت في الجيش العراقي منذ تاسيسه عام 1921 والى نهاية ثمانينات القرن الماضي مسافة معقولة يفهما الآمرون ويلتزم بها المنتسبون، مسافة تعبر عن نوع من العلاقة تأثر بها الجيش العراقي آنذاك بالعسكرية العثمانية حيث الامتداد النشئوي للضباط المؤسسين الاوائل الى تلك العسكرية، لكن هذا الجيش العريق وبعد دخول السياسية الى صفوفه بعد عام 1968 وعمليات التبعيث "التخريب" التي جرت لصفوفه، وبعد خوضه حروب طويلة الامد، تغيرت تلك العلاقة، وأقترب البعض من الآمرين الى منتسبيهم، وأقترب البعض من المنتسبين الى آمريهم، بمسافة نفسية قريبة جدا تحت دوافع الحزبية، والنفع، والتورية، والتحسب، فتاثر الضبط وتدنى مستوى الاداء، وساءت السمعة بحدود كبيرة. كما ان ظروف الحرب وادارة المؤسسة العسكرية سياسيا جعل الامرين على وجه العموم يتحسبون للمراتب كون بعضهم عناصر أمن وبعضهم وكلاء للاستخبارات وبعضهم الاخر وشاة وكتبة تقارير، يمكن وببساطة ان يلفقوا تهما ضدهم "الآمرون" فكان التحسب يكون تقربا غير صحيحا لهم أو أبتعادا غير مناسبا عنهم، أتقاءاً لشر يمكن أن يأتي من طرفهم.

ان الآمرين بالواقع، هم المسؤولون أولا عن عملية تكييف الظروف السائدة لطبائع المنتسبين الموجودة، وهم المعنيون بتحدد نوع العقاب الذي يلائم المخالفة "بالتأسيس على القانون"، بالمستوى الذي يسهم في اطفائها ان حصلت، ويحول دون حدوث مثيلاتها في المستقبل.

القدرات الفردية

إن كافة المدارس والنظريات النفسية والإجتماعية التي تناولت المخالفة أو السلوك المنحرف بشكل عام، لم تستثنِ الفرد بخصائصه وإمكاناته وقدراته من عوامل حدوثها، حتى إن البعض يعتقد أن لها الأرجحية في

ذلك، مستندين على طبيعة الإستجابات التي يبديها الانسان في مواقف بيئية عامة.
فعند تعريض منتسبي أحد السرايا في فوج مشاة آلي لضغوط "مثيرات" متشابهة نسبياً على سبيل المثال، فأن ردود افعالهم "استجاباتهم" إتجاه تلك المثيرات لم تكن متشابهة، وتختلف من واحد الى آخر، وكما في الامثلة الاتية:

1. منهم من يتصرف بإتزان ومرونة، ومسؤولية اعتبارية، وانضباط عال.
2. آخرون "قلة" يسلكون سلوكاً عدائيا غير مقبولا بالضد من الآمر أو الوحدة.
3. يلجأ البعض "قلة" إلى إرتكاب مخالفة ما، للخروج من الموقف الضاغط. وهذا يعني ان حالة الانسان النفسية والعقلية، ومستوى ذكائه، ودرجة تعليمه، وكيفية إدراكه للأمور "قدرات" أثر في تحديد نوع السلوك في الموقف المحدد. (فخري الدباغ 1983).

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فأن الأصابة ببعض أنواع الاضطرابات النفسية قد تكون دافعاً لإرتكاب بعض المخالفات، خاصة في الظروف الصعبة:
فالمنتسب الذي يعاني من حالة رهاب من المناطق المغلقة "خوف مرضي كاحد أنواع العصاب" سيكون غير قادرا على البقاء فترة طويلة داخل ناقلة الاشخاص المدرعة أو داخل الدبابة والملجأ الضيق، أو نقطة السيطرة المغلقة شتاءاً، وان أقحم في هذا الموقف لأي سبب كان وان كان سببا تعبويا، فإنه سيحاول تجنبه بشتى السبل، مثل:

1. ترك موضعه الحصين والخروج منه، باسرع وقت ممكن وبحجج واهية.
2. الترجل من الناقلة قبل أن يستوجب الموقف ذلك.
3. فتح باب الملجأ تجاوزاً على التعليمات.
4. تشتت الانتباه، والاكثار من الحركة.

هذا واذا ما فشل في اتمام واحدة من المخالفات المذكورة، قد يتحول سلوكه إلى سلوك عدواني باتجاه الزملاء أو الآمر المباشر، وقد يصل به الحال في الحالات العصابية الشديدة الى ارتكاب جريمة.

ان المصاب بالحصر القهري في مجال النظافة كأحد أنواع العصاب، على سبيل المثال، لاتردعه كل التعليمات أو التوجيهات الخاصة بعدم إستخدام المياه القليلة المخصصة للشرب فقط، اذ انه وتحت ضغط الشعور الحصري بعدم النظافة، سيضطر الى إفراغ المقطورة أو الذهاب إلى أقرب مصدر للمياه حتى وإن عرض حياته وحياة مجموعته الى الخطر.

ان المقصود بالعصاب، مجموعة اضطرابات نفسية، تنشأ عن الصراعات النفسية التي يمر بها الانسان، والتي تشترك جميعها في صفات عامة، وتتألف الاعراض العامة للعصاب من اضطرابات جسمية نفسية المنشأ، وقلق وشعور بالاكتئاب وشعور بعدم الاستقرار مع حساسية متزايدة، وشكوك غير معقولة، وحصر قهري ومخاوف تصل حدود الرعب أحيانا، واستثارات انفعالية سريعة، مصحوبة جميعها باضطرابات في النوم والشهية، وتذبذب او اضطراب في الكفاءة الانتاجية للمصاب. (الخولي، وليم 1976).

إن سلوك المقاتل في الزمان والمكان المحددين لايتأثر بالجانب المرضي فقط، بل بالعديد من المتغيرات أو الظروف المحيطة به، مما دفع المختصين إلى متابعة أثرها على إرتكاب المخالفة من خلال الكثير من البحوث والدراسات التي وجدت إرتباطاً بين هذا السلوك المنحرف وبين:

1. العمر. من المعروف إن لكل مرحلة عمرية خصائصها الوظيفية والنفسية، وقد بينت الدراسات بصددها، ان عدد المخالفات وطبيعتها ودوافعها تتفاوت حسب مراحل العمر.

اذ وفي إحصاء جرى عام 1972 في فرنسا أوضح إن أعلى نسبة للجريمة ومن ثم المخالفة تكون بين الشباب من سن 18- 25. وأن أكثر سن ترتكب فيه الجرائم هو19سنة، وتبدأ النسبة بالإنخفاض عن

معدلاتها بعد سن35 سنة، إلا أن هذا لايعني بأن العمر دافعاً بحد ذاته لإرتكاب المخالفة، وإنما عامل مساعد لحدوث أنواع معينة من المخالفات والجرائم. (عمر السيد رمضان). وفي دراسة لجريمة الهروب من الخدمة العسكرية قامت بها مديرية البحوث والخدمات النفسية أيدت تلك الاستنتاجات، إذ أشارت إلى إرتكاب هذه الجريمة يقل مع تقادم العمر. (مديرية البحوث والخدمات النفسية).

2. الحالة الزوجية. يبدو من خلال البحوث التي درست هذا المتغير، وعلاقته بإرتكاب المخالفات والجرائم توصلت إلى الآتي:

آ. ان نسبة المخالفة بين العزاب أعلى من مثيلاتها لدى المتزوجين.

ب. ان النسبة بمجملها تقل مع كثرة عدد الاطفال.

انها نتيجة تكاد أن تكون طبيعية إذ ان المتزوج، رب الاسرة والاب يحس بالمسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه الزوجة والاطفال، فيخشى القيام بارتكاب مخالفة لما سيتبعها من عقوبة قد تؤدي إلى خصم جزء من راتبه، أو إهتزاز مكانته بين أطفاله وزوجته. . . إلخ من عوامل إجتماعية محكومة بالثقافة السائدة.

الصنف والمهنة

إن طبيعة البحوث التي أجريت حول هذا المتغير، كانت قد غطت في معظمها المهن الدارجة خارج إطار العسكرية، عندما أعتبرت وجود المهنة أساساً في إستقرار الفرد، خاصة إذا ما كانت متفقة وامكاناته أو رغباته وما يتناسب والإطار العام للمهن في الحياة المدنية الشاملة.

حقيقة علمية يمكن تعميمها على بعض جوانب الخدمة العسكرية ولكافة الجيوش في دول العالم، وبالتأسيس عليها يمكن القول ان الصنف يمكن أن يكون بحد ذاته عاملاً غير مباشرا في حدوث بعض المخالفات تبعاً لطبيعة العمل فيه ومقدار الجهد المبذول وشدة المجازفة والخطر الآتي من تنفيذ مهامه، كما في الامثلة المبينة في أدناه:

1. ان صنف المشاة في الجيش العراقي، قد يكون منتسبوه عرضة لتكرار المخالفات بنسب أكثر من منتسبي المعدات الفنية أو المساحة

العسكرية. والقوات الخاصة، تفوق نسب المخالفة بين منتسبيها، النسب الموجودة بين منتسبي صنف المخابرة، لان صنفي المشاة والقوات الخاصة يتعرض منتسبيهما إلى ظروف تدريبية، وأعمال قتال فيها شد وتوتر وتعرض للخطر تفوق غالبية الصنوف الاخر، كما أن الواجبات المكلفين بها تفوق ضغوطها، تلك الضغوط المتأتية من ظروف العمل لباقي الصنوف. كذلك في حالة الحرب، يتحمل منتسبي صنف المشاة في أكثر الأحيان مسؤولية الدفاع عن الارض بالقدر الذي يتحملون فيه عبئ إستعادة نقطة حاكمة في الموضع الدفاعي، سقطت بيد العدو أو إحتلال أرض مشرفة في الحروب الجبلية، إضافة إلى ذلك فإن تعاملهم مع ظروف الطبيعة يختلف عن تعامل صنف المخابرة مثلاً، إذ أن تنقلهم من قاطع إلى آخر غالباً مايكون في العجلات شبه المكشوفة سواء في الصيف أو الشتاء ولمئات الكيلومترات لينفذوا واجباً مصيرياً في ظروف صعبة، بينما تحتم طبيعة عمل المخابرة أو الطبابة التنقل بعجلات إختصاصية. ان مثل هكذا عوامل، تشكل ضغطاً على المقاتل وفي حالة توفر الإستعدادات النفسية في داخله يحدث السلوك المخالف.

2. ان للمهنة ضمن الصنف أثر في إرتكاب المخالفة أيضاً، لأن التزام المقاتل في العمل على آلة أو سلاح أو في تخصص ما، يعتمد على ميوله ورغباته واستعداداته بالدرجة الأساس، اذ أن الجندي الذي لم يكن مقتنعا ولا راغبا بأن يكون عدد قاذفة أو هاون خفيف، فإنه يقترب منطقيا عند الزامه بالعمل على احدهما، من ارتكاب مخالفة أكثر من غيره الذي اندفع للعمل عليهما برغبة ودافعية عالية. كذلك الحال بالنسبة الى الجندي الذي يكون مهتما بالعمل كسائق دبابة، بما يفوق اهتمامه في العمل كمخابر ضمن طائفتها، فأن أخطاؤه أو تجاوزاته، وحتى مخالفاته ستقل عند تنسيبه إلى ذلك العمل مقارنة بآخر لم يرغب في ذلك. إذ أن الرغبة تشكل أساس الدافعية في العمل والميل للإنجاز.

كما يشكل التآزر الحسي الحركي أساسا آخرا، فسائق الدبابة يحتاج الى مستوى عال من التآزر بين البصر وحركة القدمين للضغط على أحدى الدواسات، والمخابر يحتاج الى مستوى معقول من التآزر بين

السمع وحركة اليد، وهكذا يصبح الخلل في موضوع التآزر عاملا قيد يفضي الى المخالفة.

محصلة القول هي أن طبيعة المهنة أو ظروف ونوع العمل فيها يضعف الميل عند الفرد إلى إرتكاب المخالفة أو يعجل من إرتكابها في بعض الاحيان، فالبحارة مثلا،، يتعرضون الى ضغوط متعددة يتمثل بعضها بالآتي:

الابتعاد عن الحياة الاجتماعية التقليدية.

تغير الطقس، وتقلباته المتعددة.

البقاء في حالات اليقضة المستمرة لوقت طويل.

بذل جهد بدني في حالات الاضطراب البحري.

وغيرها ضغوط، جعلتهم أكثر ميلا لارتكاب المخالفة خاصة بعد النزول الى اليابسة، وحتمت سبل التعامل معهم الى:

جعل القوانين التي تضبط سلوكهم أكثر قساوة.

منح آمريهم وقادتهم صلاحيات أوسع للتعامل مع السلوك المخالف.

تنظيم اجازات نزول قصيرة الى اليابسة بعيدا عن الوطن أو أخرى دورية الى داخل الوطن.

عمل حفلات ترفيهية خاصة على متن القطعة البحرية في حال ملائمتها.

التسامح النسبي مع بعض انواع السلوك المخالف الذي لا صلة له بالمهام والواجبات البحرية، ولا يؤثر عليها.

ان في هذا المجال المهني البحري كثير من القصص والرويات التي نشرت عالميا، وكثير من الأفلام السينمائية التي أنتجت، أشرت بعضها تلك التجاوزات والمخالفات التي يرتكبها البحارة في الحانات وأماكن الدعارة، حال مغادرتهم البحر والنزول منه الى اليابسة، وكيف تتدخل بعض الجهات العسكرية لتخليصهم من مآزقها على الرغم من تيقنهم بالتجاوز على القانون، مما يعبر عن وجود سبل تعامل مع الضغوط التي يعيشها البحارة، فيها القصد التسامحي واضح المعالم.

مستوى العيش

يقصد بمستوى العيش في مجالنا هذا، الوضع الاقتصادي للفرد، والإمكانات المادية التي يحيا بها الانسان في الزمان والمكان المحددين، التي تهيئ له حياة فيها قدر من الرضا والهدوء والاستقرار، اذا ما كانت كافية ومقنعة، أو تتسبب في اثارة قدر من التوتر والقلق وعدم الرضا عن العيش فيما اذا كانت غير كافية، وفيما اذا كان المعني غير مقتنع بعدم كفايتها نفسيا، علما أن الكفاية واللا كفاية والاقتناع بمستوى العيش من عدمه، له صلة بمستوى العيش العام في البيئة، أي أن محدود الدخل عندما يعيش وسط بيئة غالبية اللذين يعيشون فيها من الفقراء ومحدودي الدخل، تكون قناعاته بالمستوى المادي لعيشه يفوق حتما ذلك المستوى الذي يحصل عليه فيما اذا عاش وسط حي غني، غالبية أهله من ذوي الدخل العالي.

ان مستوى العيش، ومقادير العوز المادي، خضعت الى البحث والدراسة، وتناولها العديد من الباحثين النفسيين والقانونيين في دول العالم، اذ درسوا الآثار الجانبية لهذا العوز المادي، وعلاقتها المباشرة وغير المباشرة بإرتكاب المخالفة، ومن بعد أنقسموا في نتائجهم إلى إتجاهين:

الاول: يرى اصحاب هذا الاتجاه، أن الفقر والعوز المادي على المستوى الفردي، يعد عاملاً من العوامل المسببة لارتكاب بعض المخالفات، لانه أي الفقر يدفع صاحبه باتجاه تبرير ارتكاب السلوك المخالف.

الثاني: يعتقد أصحاب هذا الرأي، أن ذلك الإستنتاج الذي أورده أصحاب الاتجاه الاول، ليس صحيحاً، وحجتهم على هذا الاعتقاد، هو أن المعمورة التي نعيش عليها زاخرة بالفقراء والمعوزين، ومع ذلك، لايرتكب كثير منهم السلوك المخالف، أو بالواقع يرتكبها البعض منهم فقط، ويضيفون الى حجتهم هذه، حجة أخرى تتأسس على أن الإحصاءات الجنائية التي تنشر، تثبت بأن المخالفة لها نصيبها الذي لاينكر بين الأغنياء، مؤكدين في ردهم على اصحاب الاتجاه الاول بقول قوامه: إذا ما اعتقد البعض ان العوز دافعاً للسلوك الخاطئ، فإنه قد يكون دافعاً للتفوق والنبوغ أيضاً، ويدعمون إستنتاجاتهم

بالإحصاءات التي قسمت المستوى الإقتصادي للفرد إلى خمسة مستويات (مستوى بائس، ومستوى فقير، ومستوى طبيعي، ومستوى ميسور، ومستوى غني) والتي أثبتت أن أكبر نسبة من المخالفات أو حتى الجرائم تقع بين أولئك الذين يحتلون المستوى الإقتصادي الطبيعي، وفي الحالة هذه من وجهة نظرهم، لا يمكن الجزم بأن المستوى الاقتصادي عاملاً مثيراً لدافع المخالفة أو لا يمكن إدخاله في عداد العوامل المثيرة لها.

إلا إن دراسة لمديرية البحوث والخدمات النفسية في وزارة الدفاع عام 1986 بينت إن النسبة الأعلى مابين مرتكبي المخالفة المدروسة كانو من بين ذوي الدخل المنخفض سواء في حياتهم المدنية قبل الإلتحاق إلى الخدمة العسكرية أو بعد إلتحاقهم إليه.

عليه وفي الحالة هذه لابد من ادخال متغير التخلف الحضاري، وقلة الوعي والتحصيل الثقافي عامل مضاف الى جانب الفقر في المجتمع العراقي على أقل تقدير، اذ أن الفقراء والمعورزين، عادة ما يكون تحصيلهم العلمي محدود، ومستوياتهم الثقافية بسيطة، ويكونون أيضا مشغولين كل الوقت بتدبير أمور حياتهم المعيشية، وبالتالي لا يجدون الوقت الكافي ولا القدرة على توجيه أطفالهم، وتكوين الردع النفسي المعتاد للحيلولة دون أرتكاب المخالفات، وقسم منهم وتبعا لمستويات جهلهم وتخلفهم لا يحسبون العديد من أنواع السلوك غير التوافقي مع المجتمع مخالفات، فينشأ الطفل وسطهم، ويشب بينهم وفهمه للمخالفة غير صحيحا. فهمٌ يأخذه معه الى البيئات التي يعيشها خارج الاسرة، بينها البيئة العسكرية، فيكون والحالة هذه أقرب الى السلوك المخالف من غيره المتوافق مع المجتمع.

هذا وبغض النظر عن دقة أي من الإتجاهين لابد من الأخذ بالحسبان إن المستوى المعاشي للفرد وإن بدا في ظاهرهِ عاملاً فردياً يتعلق بالإنسان ذاته، إلا إنه يرتبط بطريقة غير مباشرة بالوسط الذي يحيا فيه الشخص، والذي قد يدفعه إلى إرتكاب الخطأ أكثر من الحاجة المادية البحتة.

وعموماً فإن الرأي الأكثر شيوعاً يعتبر العوز المادي عاملاً من العوامل المؤثرة على نوعية المخالفة، لكنه في حد ذاته ليس دافعاً إليها.

ان هذا الاستنتاج ينطبق تماما في مجال المخالفات العسكرية، إذ أن العوز المادي قد يتسبب في قيام البعض بالتغيب عن الوحدة لمدة معينة، يلجأ فيها المعنى إلى أداء عمل ما لقاء أجر، أي بهدف الكسب المادي، ومن ثم يلتحق إليها قبل دخوله الغياب الرسمي.
ومع هذا فان العوز المادي لم يؤشر وجوده دافعاً إلى ارتكاب مخالفة عدم إطاعة الأوامر أو إستخدام العنف في العلاقات العامة مع الزملاء.

التحصيل الدراسي

إن مناقشة هذا المتغير تأتي من اتجاهين، يثمثل الأول، بمدى تأثير التعليم على طبيعة المخالفة.

ويتعلق الثاني، بمدى تأثيره على نوع المخالفة.

ان الجانب الأول، لم تؤيد في مجاله الإحصاءات المنشورة في العديد من دول العالم أي تأثير للتعليم على إنخفاض مستوى المخالفات، بينما أشارت نتائج بعض الإحصاءات لما يتعلق بالجانب الثاني إلى ان للتعليم أثره على نوع المخالفة، حيث الإتجاه إلى نوع من المخالفات أقل عنفاً وأكثر مكراً مع زيادة مستوى التعليم. أي إن التعليم يؤثر على السلوك المخالف في نوعه، وليس في مستويات حدوثه وتكراره.

ان هذا التصور بحاجة الى المزيد من الدراسة والتتبع قبل تعميمه على البيئة العسكرية التي تختلف بطبيعتها عن الحياة المدنية سواء بماهية الضغوط التي تستثير السلوك المخالف أو بنوعية المخالفة وآثارها العامة، فهي أي المخالفة والجنحة أو الجناية العسكرية، تتعلق في معظمها بالكرامة والمواطنة والمسؤولية، وتأثيراتها لا تقتصر على الفرد نفسه، بل تتعداه إلى الوحدة والمؤسسة العسكرية.

فترك أحد المقاتلين لوحدته ساعات معدودة، دون أن يضمن ما سيحدث لها فيما إذا كانت في المواجهة مع العدو، يعني من الناحية الفعلية إختلال أو أنتقاص في قدرتها القتالية، يتعاظم أثره فيما إذا كان المخالف من بين طائفة أو أعداد أحد الأسلحة المهمة.

كما ان عدم تنفيذ أمر صادر من آمر الفصيل لأحد المراتب أثناء التدريب الإعتيادي لايعني مشكلة قانونية طرفها شخصين معينيّن فقط، بل إخلال بالضبط يمكن أن ينعكس على سلوك هذا المقاتل خلال تأديته للواجب في المعركة الفعلية مستقبلا، التي يكون نجاحها مرهوناً بإستجابته والمقاتلين الآخرين ومدى جديتهم في تنفيذ الأمر الصادر اليهم.

وهنا تجدر الاشارة الى أن دراسات أجرتها مديرية البحوث والخدمات النفسية في الجيش العراقي عام 1986 عن الغياب بينت أن نسبة ارتكابه بين الخريجين هي أقل من ارتكابه بين غير المتعلمين، وبينت أيضا أن الخريجين أكثر تحايلا في صياغة الحجج، وفي التهرب من

تنفيذ الواجبات، وفي التوسط لتسوية حالات المخالفة بالمقارنة مع أقرانهم من غير المتعلمين.

الفصل الثالث
مجتمع الوحدة العسكرية

بيئة الوحدة
الشخصية العسكرية
محددات السلوك القيادي
المجتمع المهني للوحدة العسكرية

بيئة الوحدة

طبيعة التشكيل

تتشكل أغلب جيوش العالم في العصر الحالي من خليط بشري، يَنظمُ اليها تحت اطارين محددين أو نوعين معروفين من الخدمة العسكرية:
الالزامية التي يخدم أصحابها فترة محددة تختلف من دولة الى أخرى، ومن ظرف لآخر، وهي في الجيش العراقي بدأ التعامل بها منذ تأسيس الجيش العراقي عام 1921، وأوقف العمل بها دستوريا بعد العام 2003.

الدائمية "التطوع" التي يتعاقد أفرادها مع الجيش لأداء الخدمة لفترة معروفة، لكنها ليست قصيرة على الأغلب، وحسب قانون خاص ينظم شروط التطوع، يأخذ بالاعتبار طبيعة العمل العسكري الذي يتركز أساساً على:

1. قابلية بدنية وعقلية جيدة.
2. قدرة على التحمل عالية.
3. صحة نفسية سوية.

مواصفات للتطوع الى الخدمة العسكرية، تؤخذها الجيوش جميعا بالحسبان، لتنسجم ومتطلبات عملها وظروفها، حيث التعب والقسوة، خاصة في ظروف القتال التي تبنى الجيوش من أجلها، لان انسجامها سينعكس ايجابا على وضع العسكريين وعلى ادائهم لما يتعلق بنسب تكرار المخالفات. لذا سارعت هذه الجيوش ومنذ نشأتها بصورتها الحالية إلى تنظيم تجنيد منتسبيها من بين الشباب وفي مقتبل العمر لتأمين تلك المتطلبات، اي القابلية والقدرة والصحة النفسية، باعتبار ان غالبية الدوافع لارتكاب المخالفة تأتي من الثغرات الحاصلة بجدرانها النفسية في كثير من الاحيان.

ان الوحدة والمؤسسة العسكرية مجتمع مركب فيه الأشخاص "الآمرون والمأمورون" وفيه الأسلحة والآلات والمعُدات، وفيه القوانين

والضوابط التي يتم التأسيس عليها في الادارة وضبط السلوك، وهي جميعا متغيرات تؤثر في أنتاج المخالفة:
فالضابط غير الجاد يسهم بانتاج المخالفة.
والضابط الصعب المنفعل المتطرف، يساعد سلوكه على حصول المخالفة.
والآمر الحازم العادل، يكبح السلوك المخالف.
والسلاح والمعدة والآلة عند عدم التدريب عليها، وعدم توزيع الافراد على أستخداماتها بشكل صحيح سينتج مخالفة.
كما ان المنتسب فيها لا يستطيع أن يقرر بنفسة، متى يريد أن ياكل أو يتمتع بالراحة أو متى يأخذ الدرس أو حتى في بعض الاحيان متى ينام، ولا يستطيع أن يختار زملاءه في الحضيرة أو المفرزة، وهي بالتالي جزء من مؤسسة ضخمة، مبنية على ضوابد وتقاليد لا يمكن تغييرها أو ايجاد بدائل لها لان طبيعة عملها "القتال" ونوع المنتسبين اليها "المتطوعون" يفرض وجودهما في الاطار المؤسسي تلك الضوابط والتقاليد وشكل النظام الذي يصعب معه ايجاد فرص مناسبة لممارسة الحريات الفردية. وهذا بحد ذاته قيد ينتج المخالفة ويحتم وجود نظام حازم لكبح المخالفة.

البيئة النفسية

يقصد بالبيئة النفسية هنا، المجال الذي يحوي مجموعة متغيرات تحصل في زمان ومكان محددين "الجو النفسي" تتفاعل فيما بينها بالمستوى الذي تكون فيه قادرة للتأثير على المنتسبين، باتجاه صقل أو تعدل بناء شخصيتهم، وبما يتوافق مع الحالة العسكرية والى حد يمكن فيه التنويه عن بناء شخصية مهنية عسكرية.

فالمدرسة بداية تفرض أوضاع وسياقات ومتطلبات تلائم تكيف الطالب للدراسة، ونمو شخصيته الطلابية.

والمجتمع بصفة عامة يفرض أوضاعه او سياقات العيش في داخله الملائمة أو غير ملائمة لتكيف ونمو الشخصية الانسانية الاجتماعية، وكذلك الحال بالنسبة الى العامل في المصنع وغيره، ومن ثم المنتسب العسكري في الوحدة، التي تفرض ضوابط وقيم عسكرية "التزام، ضبط، نظام، تعليمات، تبليغات" تلائم التكيف للحياة العسكرية، وتكوين شخصية عسكرية.

وعموما ففي البيئة العسكرية تسود أحيانا عوامل ضغط مؤلمة، وظروف عمل غير ملائمة، واساليب تعامل غير سارة "تجريح، قمع، تسيب، شتم" ويسود فيها أيضا الضبط والتسامح والعدل والمساواة التي تؤثر جميعها في تكوين:

1. مقومات شعور بالرضا والأمان يقلل من أحتمالات حدوث المخالفة.

2. أو تهديد، ونفور، وأبتئاس يزيد من أحتمالات حدوث المخالفة.

ان التكلم عن البيئة النفسية للوحدة العسكرية يسحبنا الى التكلم أو الاشارة الى محددات الادوار في هذه البيئة، والدور في الوحدة هو سبيل تعامل في تكوين علاقات عسكرية مهنية، بين عموم المنتسبين من جهة، والآمرين من الجهة المقابلة، يتعلمون من خلالها الاتجاهات السوية نحو الأقدم منهم، والأقل قدما "التراتب" وكذلك نحو الاقران في مستوياتهم، ونحو النفس المشبعة بالضوابط والمعايير العسكرية.

ان الدور هنا صيغة عمل وان كانت المسؤولية الكبرى لاداءه تقع على القادة والآمرين، لكنه عمليا صيغة تشاركية، للضابط فيه حصة،

وللمنتسب كذلك حصة، وللقانون والادارة العامة حصة، ومع هذا تبقى الحصة الاكبر في مجاله أو كما يقال حصة الاسد هي للآمر المباشر.
اذ أن جهود تكوين أو بناء شخصية الفرد العسكري ضمن جماعته "المفرزة أو الحضيرة أو الفصيل" وبما يجعله عضوا فاعلا فيها كجماعة، تلعب شخصية الامر الدور الاكبر في حصولها، فعندما يسلك بطريقة تتسم بالحزم والعدالة والانسانية وحب الآخرين والرضا عن المهمام التي يقوم بها والسعي لاقامة علاقات طيبة مع عموم المنتسبين، سيكون دوره فاعلا في تسريع أنتقال المنتسب من العضوية الفردية الى عضوية الجماعة، وهذه مسألة مهمة لان القتال بطبيعته يعتمد على الاداء الجماعي، في كافة أشكاله:
فالدعم والاسناد القتالي أداء جماعي.
والتقدم بالنسق يحتاج الى جهد وعمل جماعي.
والضربة الجوية عمل جماعي.
وغيرها من أعمال قتال أساسها روح الجماعة، والجماعة أو روح الجماعة، لم يتوقف تأثيرها على الجانب المادي من القتال فقط، بل ويشمل بعض الجوانب النفسية أذ أن خسارة معركة أو حصول انتكاسة قتال في معركة ما على سبيل المثال، تكون النتيجة مشاعر احباط وضعف معنويات مؤلمة، اذا ما توزعت مستويات حصولها على عموم المنتسبين، سيقل الالم نفسيا، وكأنها قد توزعت على الجماعة، فقل تأثيرها على كل واحد من أفرادها، وتوزعها هنا سيقلل حتما من الميل الى المخالفة، كذلك تكوين روح الجماعة سيجعلها وجودها النفسي عامل ضغط تقويمي على أفرادها بالاتجاه الذي يقلل من احتمالات حصول المخالفة، لان الواحد سيفكر بنبذ الجماعة له قبل ارتكاله المخالفة .

الشخصية العسكرية

المخالفة بحد ذاتها سلوك انساني في بيئة عسكرية، لم تحصل كونها مجرد استجابات او ردود افعال بسيطة تحدث بشكل آلي عابر، بل ومن نشاط نفسي مركب
موجودة في البيئة الداخلية للخلايا، وهي مسؤولة عن تشكيل انواع معينة من السلوك والخصائص، لا أثر لعمليات التعليم فيها.
فما ينقله الاباء لابنائهم وراثيا، ليس الخصائص او السمات الجسمية والعقلية والمزاجية ذاتها، وانما الموّرث الذي يحدد الشكل الذي ستاخذه السمة فيهم كابناء.(طلعت منصور وآخرين 1984).

وعلى وفق هذه الحقيقة العلمية، فان لكل انسان خصائصه، وسماته الشخصية التي تختلف عن غيره، وله سلوكه المختلف كذلك عن غيره من القريبين والبعيدين، وان تشابهت المواقف التي يعيشونها سوية او التي يمرون بها معا، لذا نلاحظ في حياتنا العامة وجود شخص قوي، عنيد، يثق بنفسه كثيرا.
ونلاحظ آخر ضعيف، مراوغ، لا يثق بغيره.
وثالث هادئ الطبع متزن انفعاليا، خيالي ينظر الى البعيد، وأخيه متوتر كل الوقت، عدائي، لا يأبه لغيره.
خصائص قيل بسبب وجودها الفعلي في ادبيات علم النفس، أن الشخصية ملك صاحبها، لانها تخصه هو وتختلف عن غيره، وقيل أيضا ان الواحد منا ككل الناس وكبعض من الناس وليس كواحد من الناس، أي اننا مثل كل الناس في الهيئة العامة للجسم، لنا أطراف عليا وسفلى، ولنا أعين ونسير على الارض بنفس الطريقة، واننا كبعض من الناس، نشبه البعض في سمرة البشرة، ولون الشعر، لكن أي منا لا يشبه الآخر نفسيا، وان كان شقيقه، وان امتلك واياه ذات الصفات الوراثية. أي أن الاختلاف هو من حيث الأبعاد النفسية، فالمشاعر، والعواطف، والاحاسيس ومديات الانفعال تختلف من شخص لآخر، لذا عرفت الشخصية تعريفات عامة على انها مجموعة الاستعدادات الموروثة "الفطرية" والخصائص العقلية وما ينتج عنها من سلوك، واضاف لتعريفها آخرون من انها بناء نفسي قابل للنمو والتطور

والتكامل والتكيف، استنادا الى ارادة الانسان ووعيه وثقافته. وعرفت الشخصية أيضا تعريفات خاصة "نفسية" من وجهات نظر متعددة تبعا للمدراس النفسية التي يتبعها القائمون بالتعريف:

فعرفها أصحاب المدرسة السلوكية مثلا، بانها مجموع الانشطة التي يمكن اكتشافها عن طريق الملاحظة الفعلية للسلوك لفترة كافية بقدر الامكان، و هي بالتالي نتاج نهائي لانظمة عاداتنا. (عبد العزيز القوصي، 1952).

وعرفها اخرون بانها ذلك التنظيم الديناميكي، داخل الفرد من تلك الانظمة السايكو فسيولوجية التي تحدد توافقاته المتفردة مع ظروف بيئته، وهو مفهوم واسع يتضمن العادات، والاتجاهات والميول والعواطف.

أما فرويد صاحب نظرية التحليل النفسي، ففسر الشخصية في ضوء تكوين عقلي معين او جهاز معين للشخصية يتضمن ثلاث جوانب (الهو، الانا، الانا الاعلى) وما يجري بينها من علاقات متبادلة تقوم على الصراع او التوافق بينها، وتؤكد هذه النظرية على اثر الخبرات المبكرة في الطفولة على تكوين الشخصية، وعلى دور الخبرات اللاشعورية في توجيهها. (أنا فرويد 1972).

هذا واذا ما أنتقلنا في تحديد طبيعة الشخصية من العام الى الخاص، الى الشخصية العسكرية، فالتعريف لا يختلف من حيث المعنى، حيث انها مجموعة الاستعدادات الموروثة، والصفات الجسمية الخاصة، والقدرات العقلية المعينة، التي تبلورت في نمط عسكري محدد.(عبد المجيد كركوتلي 1968).

بضوء هذا التعريف وضع المختصون مقومات لهذه الشخصية تتمثل في الاتي:

1. الاستعدادات الاولية الموروثة، وما ينتج عنها من خصائص نفسية.
2. مجموعة الصفات الجسمية.
3. مجموعة القدرات العقلية.

4. الخصائص العسكرية التي تشكلت من خلال الخدمة العسكرية. والتي تشمل:

آ. قوة الشخصية والتأثير في الآخرين.

ب. الاقدام والجرأة.

ج. المحاكمة العقلية في المواقف الصعبة.

د. الالتزام العسكري، الشرف العسكري.

هـ. القيادة.

و. الضبط.

ز. التشبع بالتربية العسكرية.

انها مجموعة مقومات أو صفات تتكامل بتفاعل في مجال "وعاء" الشخصية، بحيث تفضي الى السلوك العسكري الصحيح، الذي يفترض أن يكون ضمن حدود مقبولة للاخلاص، والجدية، والتحمل، وسرعة اتخاذ القرار الصحيح، والالتزام، والدقة، والتعاون، والتضحية ... الخ، تؤدي في مجملها الى توافق العسكري مع مهنيته ومهنته توافقا ايجابيا، يكون فيه قدوة للاخرين. من هذا يتبين أن واقع العسكر وحقيقة الشخصية العسكرية، تؤشر جملة أمور أهمها:

1. ان الخصائص المذكورة للشخصية العسكرية لا تعني أن كل العسكريين وفي كل جيوش العالم، ومهما كانت القدرات ومستويات الأعداد، يمتلكون كل تلك الخصائص، ومن يمتلكها تصنف شخصيته شخصية عسكرية، ومن لا يمتلكها جميعا، فشخصيته لا تصنف انها عسكرية، اذ يصعب الجزم على امتلاك الخصائص جميعا على الرغم من ان مناهج التدريب البدني والمهني والنفسي، تذهب باتجاه تطوير وتعزيز تلك الخصائص، ومع هذا تبقى الحصيلة فروق فردية، ويبقى البعض من العسكر، يمتلكون درجة أعلى في احداها ودرجة أقل في أخرى، لكن القادة العسكريون العظام وهم القلة يشار الى انهم يتمتعون بشخصيات عسكرية فريدة أي يمتلكون أعلى الدرجات لمعظم الخصائص المذكورة. فالقائد الالماني المعروف رومل، الملقب بثعلب الصحراء لبراعته في التكتيك الحربي، والذي غطت شهرته العالم منتصف القرن الماضي وحتى وقتنا الراهن، لقيادته الجيش الألماني في الصحراء الغربية ببراعة، مثال عن هذا التميز والامتلاك الفريد للخصائص، قال

عنه ليدل هارت المفكر العسكري والإستراتيجي الإنجليزي، واصفا خصائصه العسكرية المميزة، التي وضعته من بين القلة، قائلا: "لديه القدرة على القيام بتحركات غير متوقعة، والإحساس الجاد بعامل الوقت والقدرة على إيجاد درجة من خفة الحركة تؤدي كلها إلى شل حركة المقاومة، واضاف الى وصفه تأكيدا قوامه أن من الصعب إيجاد شبيهاً حديثاً لرومل، فيما عدا جوديريان، أستاذ الحرب الخاطفة ." (ليدل هارت، الموسوعة العربية).

2. ان الشخصية وعلى وفق فهمنا للوعاء الذي تتكامل وتتفاعل فيه الخصائص، يمكن حساب حصيلتها نظريا، حساب معادلة كالاتي:

الشخصية العسكرية = الجرأة x الانضباط x سرعة اتخاذ القرار x التحمل x التعاون x التضحية ... الخ.

هنا تجدر الاشار الى أنه ومن الناحية العلمية، يمكن حساب مكونات المعادلة مثلما يحسب الذكاء كناتج مجموعة عدة قدرات، أي أن مقدار الجرأة مضروبا في مقدار الانضباط، ثم في مقدار سرعة اتخاذ القرار، مضروبا في التحمل والتعاون والتضحية، وأية خصائص أخرى، ومن بعده يقسم على الرقم (100) لتكون النتيجة رقما يؤشر حساب الشخصية.

2. ان كل خاصية من الخصائص المذكورة، لها درجات طرفية على مدرج من خط مستقيم، يكون فيه:

الادنى بأقصى طرف.

الأعلى في أقصى الطرف الآخر.

ان الطرفية والامتداد على طول المُدَرج المذكوران في أعلاه، تجعل لكل عسكري موقع على الخط الخاص بكل خاصية، وله موقع آخر على خط الحصيلة أو النتيجة التي تكونها معادلة الشخصة، وكما مبين في الشكل الرقم (1) المبين في أدناه:

الشكل رقم 1
مدرج الجرأة

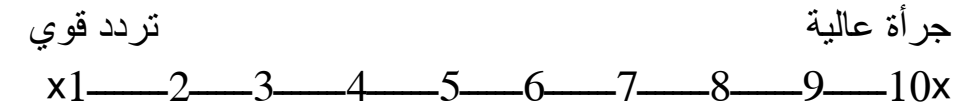

اذا كان المدرج من عشر درجات، اصبح الرقم (10)، يمثل أعلى درجات الجراة، وعلى أساسها نجد أن العسكري فلان قد يكون موقعه عند الرقم (9) فهو جريئ جدا، والاخر عند الرقم (7) فهو جريئ، وآخر عند الرقم (3) فهو متردد وزميله عند الرقم (1)، فهو متردد بدرجة عالية، كنقيض للجرأة العالية.
ان ما موجود من مؤشرات عن الجرأة في المدرج المذكور، يمكن تعميمه على الشخصية العسكرية، كما في الشكل الرقم 2.

الشكل رقم 2
مدرج قوة الشخصية العسكرية

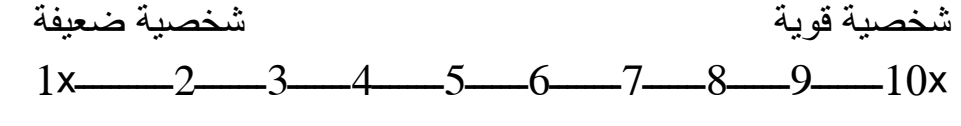

ان هذا المدرج مثل سابقه، وحساب المستوى، يتم مثل حساب المدرج الخاص بالجرأة، فالعسكري الذي يقع عند الرقم عشرة وهم نوادر بطبيعة الحال، تعني أن شخصيته العسكرية قوية جدا، وبالمقابل من يكون عند الرقم (1) فشخصيته العسكرية ضعيفة جدا أو هزيلة، وهما رقمان بزاويتين طرفيتين غير واردين من النواحي الاحصائية، أي أنه من غير الوارد أن يكون عسكري قد بلغ وصوله عند الرقم (10)، وان

آخر يقع عند الرقم (صفر) لأن الاخير سيكون غير طبيعي، ولا يمكن أن ينسجم وجوده والظروف العسكرية.
ان المدرج وموقع العسكري عليه حقيقة، تؤشر عدم وجود شخصية عسكرية مكتملة الصفات تماما من الناحية العملية، كما لا توجد شخصية عسكرية ناقصة الصفات تماما، والصحيح أن الجميع يتوزعون على الدرجات العشرة للمدرج المذكور بشكل متفاوت، يفترض فيه أن غالبية العسكر يقعون عند الارقام التي تعبر الخمسة، على وفق الجهد المطلوب تدريبا وتوجيها لبناء الشخصية العسكرية.
ان خصائص الشخصية العسكرية الواردة في اعلاه، واذا ما تمت مناقشتها على وفق مفهوم المخالفة، نجد ان غالبية الخصائص ضمن معادلة الشخصية العسكرية تتناسب عكسيا مع المخالفة:
فالملتزم عسكريا يعني انه منضبط، لا يلجأ الى سلوك المخالفة عندما يتأزم الموقف الذي هو فيه.
وسريع القرار وصحيحه، لا يتردد وبالتالي لا يخالف مخالفة ضمن مجال وسياق اتخاذ القرار.
والهادئ، لا يتشتت لديه التركيز والانتباه، وبالتالي لا ينزلق الى جرف المخالفة، وهكذا بالنسبة الى باقي الخصائص الايجابية.
الا أن حكم من هذا القبيل يصعب تعميمه بالشكل المطلق في ظروف البيئة العسكرية، فالجرأة مثلا يمكن أن تجر صاحبها الى مخالفة بعض القواعد العسكرية في أحد صفحات القتال، فعديد من القادة العسكريين العظام سحبوا قواتهم التي تكبدت خسائر كبيرة، بجرأة لا تنسجم ومعطيات العلم العسكري التقليدي، لكنهم نجحوا، ونجاحهم حسبهم على تصنيف القادة العظماء، وان خالفوا القواعد والاسس التعبوية، بينهم الفريق أركان حرب سعد الدين الشاذلي، قائد القوات الخاصة المصرية ابان حرب حزيران 1967، الذي استطاع أن يسحب وحدته المكلفة بعمليات وسط سيناء، تحت ضغط العدو الاسرائيلي وبظروف انقطاع وسائل الاتصال، وذلك باتخاذه قرارا جريئا بعبور الحدود الدولية مع فلسطين المحتلة يوم 5 حزيران والتمركز داخلها بما يقارب الخمسة كيلومترات، والبقاء هناك لمدة يومين، الى حين تأمين الاتصال بقيادة

الجيش المصري، وتبيان الموقف، ومن ثم القيام بتنفيذ انسحاب فريد يوم 8 حزيران في ظروف خسارة شديدة للجيش المصري، وتفوق جوي مطلق للعدو الاسرائيلي، في أرض سيطر عليها العدو تماما، فقطع حوالي مائتي كيلو مترا، عائدا بقواته ومعداتها، بخسائر أجملها المصريون في حينه ما بين (10- 20%). فكان قائدا عظيما لو لم ينجح بانسحابه الفريد لأمكن اتهامه بمخالفة الاوامر ودخول أراض العدو خارج سياقات الخطة الموضوعة للحرب، وقواعدها التعبوية.
كذلك ذكر التاريخ العسكري قيام قادة عسكريين بتنفيذ هجمات مصيرية على عدو يتفوق على قطاعتهم بحسابات القدرة التقديرية اللازمة (3 – 1) وحققوا نجاحات خارقة سجلوا على اثرها أنهم عظماء.
لكن الاكيد فيما يتعلق بالشخصية العسكرية هو:

1. أنها وكلما أقتربت الى الطرف الايمن من المدرج أعلاه، أي الشخصية القوية، ستنخفض عندها مستويات المخالفة، لان العلاقة مع المادون أو المنتسبين ستكون صحيحة، والاوامر الصادرة من هكذا نوع من الشخصيات ستصدر بطريقة صحيحة، وفهم القابليات والقدرات الخاصة التي تسهل التنفيذ سيكون من قبل هذه الشخصيات دقيقا وصحيحا.
2. ان المخالفة نتاج تفاعل عدة متغيرات، يبقى الانسان الآمر / القائد بشخصيته وخصائصه وطباعه هو محورها، ويبقى فهم شخصيته المفتاح الاساس لفهم كيفية حدوثها.

مكونات الشخصية

الشخصية مجموع مكونات، ينتج عنها سلوك إرادي أو غير إرادي، يكون بمثابة سمات للفرد، تعينه على العيش والتكيف والبقاء بقدر من السواء، يتناسب طرديا مع غالبية تلك المكونات.

فالشخص الذكي على سبيل المثال يستطيع أن يدرك العوامل الموجودة في موقف ما، وبالتالي يكون قادرا على التعامل معها بطريقة صحيحة تقل فيها نسب المخالفة، والعكس صحيح.
ومكونات الشخصية من وجهة النظر النفسية هي:

1. المكونات العقلية.

وتتمثل بالذكاء والإدراك والإنتباه والتذكر والتفكير، وكل هذه المكونات تفرز قدرات عقلية مختلفة من حيث المستوى والنوعية مثل:
القدرات اللغوية.
القدرات الرياضية.
القدرة على الإستدلال والإستنتاج والربط بين الأشياء .. الخ.

2. المكونات الوجدانية.

الحب والتقبل والود والإهتمام بالآخر، والجرأة والمرونة في التعامل مع الآخر، والكره والإنفراد وقلة الثقة بالنفس، والتردد والخجل والجبن والصلابة في التعامل مع الآخر، وهذه لها علاقة مباشرة بعمليات التطبع على الحياة العسكرية، وسرعة استيعاب ظروفها، وبما ينعكس ايجابا على قلة المخالفة أو سلبا لما يزيد من احتمالات تكرارها.
ان الشخصية العسكرية تتطلب سمات نفسية وجدانية محددة أكثر من باقي أنواع الشخصيات، مثل:
الجرأة في إتخاذ القرار والتحمل والمتابعة دون ملل.
التعاون والتعاطف والحزم.
ان الجرأة على وفق هذا المفهوم لا نرى الحاجة اليها بنفس المستوى والنوعية بالنسبة لاصحاب المهن الاخرى، وكذلك الحزم والسرعة في إتخاذ القرار لا يحتاجها المدرس في صفه مثلما يحتاجها الضابط لمعالجة خرق، سببه الاعداء لمكانه الدفاعي، ومثلما يحتاجها عريف الفصيل في السيطرة وعزل أحد جنود فصيلته أصيب توا بصدمة القنبلة أثناء شن العدو هجومه المقابل.
على هذا يمكن القول أن الجرأة وسرعة اتخاذ القرار والتعاون والتعاطف، يؤثر وجودها مع خصائص وعوامل أخرى على المخالفات سلبا أو ايجابا.

3. المكونات الجسمية.

الصحة الجسمية والخلو من حالات العوق والمرض المزمن والطارئ، تكون كافية لتحمل أعباء وضغوط الحياة العسكرية، بمستوى يقلل من تكرار المخالفة عند توفر عوامل أخرى نفسية وعقلية. اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن أي خلل عضوي أو وظيفي في أحد أعضاء الجسم يسبب خللاً في القرار والسلوك العسكري، بينه الالتزام والتقيد بالضوابط بعيدا عن اللجوء الى المخالفة.

علاقة النفس بالجسم

مادمنا بصدد الشخصية، لابد والحالة هذه أن نتناول علاقة النفس بالجسم ضمن الاطار العام للشخصية. وبصددها يمكن القول ان علاقة النفس بالجسم، علاقة تفاعلية مهمة وغامضة، يصعب التنبؤ بمكنوناتها وردود فعلها، لكن الجسم وفي كثير من الاحيان يعبر نفسيا بلغة الحركات والتعابير والاضطرابات التي يستطيع المختصون تفسيرها، معاناة، أو مطالب، أو حالات رفض وتمرد، لم يتمكن صاحب الجسد التعبير عنها لغويا على مستوى الوعي، فيضطر الجسم التعبير عنها بوسيلة أخرى، بينها المرض أو الاضطراب الجسمي بالمناشئ النفسية (سايكوسوماتك)[5]. وهو سلوك وان كان مضطربا بعيدا عن السواء، لكنه سلوك مخالف أحيانا يتغلف صاحبه بغلاف المرض أو الاضطراب، وعند عدم حل أشكالاته، سيكتسب المعني عادة:

---

[5]. السايكوسوماتك، مصطلح في علم النفس، يطلق على ذلك النوع من الاضطرابات والامراض العضوية ذات المنشئ النفسي، بالتأسيس على حقيقة أن لكل انسان درجة او نقطة احتمال، اذا ما تجاوزتها الضغوط الحاصلة بيئيا، سيحدث أضطراب في العضو الذي تحمل العبء الاكبر في التعبير عن الانفعال، فيئن الانسان من ألم في البطن أو من تقرح في الجلد الملتهب أو من سرعة ضربات قلبه وضيق التنفس أو التخشب وعدم القدرة على التحرك، وعند فحصه سريريا ومختبريا، لم يتبين وجود أي سبب عضوي، وهي اضطرابات عصابية تحدث نتيجة اختلال شديد أو مزمن في كيمياء الجسم نتيجة ضغوط نفسية شديدة أو مستمرة، تنتج اضطرابات أو أمراض وردود فعل غير طبيعية في أحد أجهزة الجسم. (أحمد عكاشة 1969).

1. اللجوء الى تغليف المرض مع حالات المخالفة خاصة الشديدة، أي انه يقع وسط اضطرابات هستيرية، مثل الشلل في أحد الاطراف أو جميعها أو التبول اللاإرادي أو القيء، علما أن المصاب في عموم حالاتها يكون عاجزا عن أداء مهامه العسكرية.
2. السلوك بنحو آخر، تختلط فيه المخالفة الواعية بالاضطراب غير الواعي مثل الهروب من الموقف، خاصة في الحروب والمعارك الشديدة. وعموما فان البعض من المنتسبين في الموقف القتالي، وعندما لم يستطيعوا من ابداء سلوكا مخالفا، ولم يستطيعوا في ذات الوقت من المواجهة قتالا طبيعيا سيحاولون اللجوء الى واحدة أو أكثر من أنواع السلوك المخالف مثل:

آ. الهروب من الموقف، على مستوى الوعي، بترك الساحة، وهي مخالفة أشد وقعا وخطورة عليهم وعلى الوحدات التي ينتسبون اليها من مخالفات أخرى.

ب. الاستسلام الى حالة الهزيمة النفسية، أي الوقوع تحت التأثير النفسي للموقف، فيصابون باحد الاصابات النفسية مثل صدمة المعركة أو الهلع وغيرها إصابات، يخالف فيها العسكري ذاته ووحدته دون وعي منه.

محددات السلوك القيادي

شعبية الشخصية العسكرية

هنالك تآلف وتواصل بين أفراد أي مجموعة من الناس، وشخصية قيادية "مدد للآخرين" تتظافر عوامل موقفية وشخصية لإبرازها في التأثير القيادي، وهناك في التصنيفات القيادية العامة، قيادات منتخبة، ونحن لسنا بصددها، وقيادات مفروضة من الجهات الاعلى لادارة أو قيادة مجموعة من الافراد، كما هو الحال عند العسكر وبعض المؤسسات المدنية الخاصة، وما دمنا نتكلم عن الشخصية العسكرية وعن القيادة العسكرية أو محدداتها، علينا الاخذ بالاعتبار التداخل بين الموضوعين:

فالشخصية العسكرية بطبيعتها قيادية، ولابد أن تنمى في داخلها الخصائص القيادية، فالطالب في الكلية العسكرية سيكون بعد تخرجه آمر فصيل، فهو قائد لمنتسبي فصيله، وسيكون مستقبلا وفي حال تشبعه بمعايير الشخصية العسكرية، ونجاحه في المهام العسكرية آمر لواء وقائد فرقة ورئيس أركان الجيش. والجندي المطوع وان كان منتسبا تابعا الى الحضيرة والفصيل أي انه يقاد، لكنه في المستقبل واذا ما تشبع ونجح وأمضى وقتا مناسبا يمكن أن يكون آمر حضيرة، فيقود حضيرته، وقد يصل الى عريف فصيل ورئيس عرفاء وحدة.

والقيادة العسكرية بأي مستوى من المستويات، لا يمكن أن تكون قيادة بالمعنى الصحيح، ولا يمكن ان يكون القائد ناجحا اذا لم يتشرب معايير الشخصية العسكرية.

من هذا نتلمس التداخل بين الموضوعين، تداخلا سيتم أخذه بنظر الاعتبار عن التكلم عنهما، وعلى وجه العموم فان الدراسات التي تناولت علاقة القيادة بانتاج السلوك المخالف أكدت على:

أن القائد/ الآمر في المؤسسة العسكرية وبكافة المستويات، شخصية قيادية طبيعتها تختلف عن غيرها من الشخصيات القيادية غير العسكرية المفروضة، بمدرج كبير من السمات المؤهلة لقيادته.

وأكدت أيضا على أن الشخصية القيادية العسكرية وان أختلفت عن غيرها، وأختلفت في مهامها عن مجمل المهام الحياتية، فان القيادة

العليا، تريد من أصحابها "القادة العسكريون" سمات تتشابه مع سمات القيادات المنتخبة، خاصة ما يتعلق بتوفير الامن النفسي للمقاتلين، وتحقيق عوامل الانسانية، اضافة الى القدرات العقلية العالية، وهذا ما يجعل الشخص العسكري "القائد" شخصية شعبية وطنية عند أفراد المجتمع، يمكن ملاحظة شعبيتها من تطلعات الأطفال للتمثل في شخصية العسكري بإرتداء الزي العسكري، وتفضيل الدمى التي تمثل الآلات العسكرية، وتمنيات الشباب للانخراط في الكليات العسكرية، مع مراعاة إختلاف الظروف من مجتمع الى آخر، ومن فترة زمنية الى أخرى. وبهذا الصدد تتذكر الاجيال التي عاشت ما قبل سبعينات القرن الماضي، كيف كان الضابط العراقي آنذاك ذو منزلة وطنية واجتماعية عالية، حتى يتردد بين الشابات كثير من الكلام الذي يعلي شأن الضابط الملازم، وكان الناس يكنون للضابط كل التقدير والاحترام، عندما يمر من أمامهم مرتديا ملابسه العسكرية، لكن الأمر قد تغير كثيرا في الثمانينات وما بعدها، عندما زُج في قتالات خاسرة، وتعاملت معه الدولة بأساليب أشعرته بالدونية، وقللت قيمته في المجتمع، وعندما تصرف البعض من الضباط بطريقة خاطئة، فيها قدر من التجاوز والفساد، اسهمت في تغيير منزلته الوطنية، وغيرت من نظرة المجتمع الى مقامه، وهي نظرة أنعكست سلبا على مواقف وردود فعل المنتسبين الى آمريهم، وعلى مستويات أنضباطهم وحالتهم النفسية العامة، ورغباتهم في المخالفة.

ان الشخصية العسكرية أو شخصية الآمرين بطبيعتها، تدفع المنتسبين الى الالتفاف حولها خاصة في أوقات الحرب والازمات، لانهم يجدون في صاحبها القدوة، فيتطلعون اليه في رفع معنوياتهم، ويحاولون الاقتراب منه كنزعة نفسية للتوحد معه مثالا أو رمزا أو قائدا يخفف التوتر من حولهم إثناء الأزمات. (باسم فارس، 2013)

هوية الآمر الشخصية

ان أحد معايير الأهمية النفسية للشخصية في مجتمعها أو في بيئتها، هو سعة الطيف الذي تؤثر فيه هذه الشخصية، بمعنى أوسع الدائرة التي يشملها تأثير هذه الشخصية، اذ أن لكل مهنة أو وظيفة مهما كانت

صغيرة مجال تأثير للقائد في محيطها الذي يتواجد فيه، لكن سعته تختلف تبعا للدور الذي يقوم به والمجال الذي يعمل فيه، ومثال على هذا فان معلم المدرسة الإبتدائية ذو طيف كبير في التأثير على تنشأة الجيل، مقارنةً بالمدرس الثانوي أو التدريس الجامعي، وهكذا وبضوء هذا التأثير اصبح التعليم الجامعي يعتمد كثيرا على مخرجات التعليم الثانوي، والأخير يعتمد على مخرجات التعليم الابتدائي، واذا ما نظرنا الى الشخصية العسكرية، والقيادة أو الامرة بحد ذاتها نجد انها أكثر سعة من حيث التأثير بالمقارنة مع غيرها من باقي المهن أو غالبية المهن، لان مخرجاتها تتعلق بأمن الانسان والوطن. وعلى نفس الاسس الخاصة بطيف التأثير فان لامر الفصيل مثلا طيف كبير في التأثير على أكساب المنتسبين الشخصية العسكرية ومن بعده آمر السرية فالوحدة، ومخرجات اكساب الشخصية لابد وان يتم الاعتماد فيها على أولئك الآمرين تتابعا.

لقد تكونت على هذا الاساس وبتعاقب الزمن لدى أفراد المجتمعات صورة ما للشخصيات حسب المهن والدور، تختلف بإختلاف المجتمعات، فالمجتمع الهندي مثلا يفضل شخصية (المهراجا) بسبب الفاقة الموجودة بين ابناءه، والمجتمع الأمريكي يفضل على التوالي مهنة صاحب الشركة، والقاضي والأستاذ الجامعي، والعراقي قبل ثلاث عقود يفضل الضابط ومن بعده القاضي فالاستاذ الجامعي، وأصبح في الوقت الحاضر يفضل المقاول أو رجل الاعمال الغني في مقدمة سلم التفضيل.

انها نظرة نفسية معنوية، تم ذكرها هنا للاعتقاد بتأثيرها غير المباشر على استجابات المنتسبين "بينها سلوك المخالفة" تجاه آمريهم، استجابات تكون في الغالب ايجابية عندما تكون النظرة المجتمعية في القيمة للشخصية وللمهنة ايجابية، والعكس وارد أيضا، ستكون سلبية، تزداد شدتها كلما تردت منزلة القائد/ الآمر في نفوس المجتمع وكذلك في نفوس منتسبيه.

وهنا لابد من العودة الى ماضي الانسان الى عائلته، اذا أن العائلة واذا ما نظرت الى أحد أطفالها نظرة استخفاف وعدم رضا.

واذا ما درجت على وصفه طفلا عنيدا مشاكسا.

سيتمحور سلوكه حول العناد والمخالفة.
واذا ما تم التركيز على طفل يحاول اخفاء الحقيقة في كلامه مع الاب لاعتبارات الخوف مثلا، على انه كذاب، وكلما تكلم يعاد وصفه بالكذاب، سيتعود الكذب ويصبح كذلك فيما بعد شخص كذاب.
كما ان بعض الاشخاص الذين يُحكمون بالسجن مدد مختلفة، بتهم انتمائهم الى تنظيمات سياسية، يخرج بعضهم من السجن وافكارهم تقترب الى أفكار أصحاب ذاك التنظيم.
وهكذا الحال بالنسبة الى العسكر والقيادات العسكرية، فاذا ما كانت صورتها ايجابية بين الناس في المجتمع واصبحوا يتكلمون عنها خيرا، فسيكون سلوك القادة في الغالب ايجابي، لان الواحد منهم أي القائد سيجد نفسه، وكأنه ملزم في أن يضع نفسه في المكانة التي ترضي المجتمع، ولا يميل الى ان يكون شاذا عن هذه القاعدة.
كما ان الرضا والصورة الايجابية، ستنعكس على مواقف المنتسبين من القائد، فكلما علت منزلته بين الناس كلما جذب المنتسبين الى ناحيته، والجذب يدفعهم بطبيعة الحال الى الالتزام وتقليل مستوى المخالفة.

خصائص تزيد نسب المخالفة

إن القوانين المتبعة وفرت للآمر/ القائد سلطة ضبط دقيقة، وادارة للمنتسبين في ظروف الإستقرار حيث التدريب والبناء، وفي حالة الحرب حيث التضحية والفداء. وإن العمل بموجب هذه القوانين والضوابط الادارية يساعد في الحد من حدوث المخالفات والإبتعاد عنها، تبعا لشخصة الآمر والتزامه وادراكه ماهية العلاقة المهنية بينه سلطة الضبط وبين المنتسب جهة التنفيذ المنضبطة، وبهذا الصدد نلمس وجود شخصيات بخصائص مختلفة لآمرين مختلفين، تؤثر بشكل عام على مستويات حدوث المخالفات، وعلى حدود تكرارها في الوحدات والوحدات الفرعية، هذا ومن أكثر الخصائص المؤثرة على أنتاج وأتساع المخالفة هي:

1. التسامح المفرط.

البعض يقفون سريعا مع المخالف، يفترضون حسن النية عند الشخص المخالف، يرون في المخالفة حدثا عابرا، دون النظر إلى جوانب

تأثيرها أو أسباب إرتكابها إعتقاداً منهم أن التسامح يجنب مرتكبها إحتمالات العودة إلى نفس السلوك لاحقاً أو انه يعطف على الشخص، من باب الرحمة، حتى شاع كثيرا في السنوات العشرة الاخيرة، تعاطف ضباط مع مراتب وان كان بعضهم مخطئا أو قد ارتكب مخالفة، داخل الوحدة، يفسرونه في حال مناقشتهم بوجود الرحمة، وان مرتكب الخطأ مسكين أو كما يقال بالعراقي (خطية). تعاطفٌ، فتح الباب أمام اتساع هامش المخالفة بشكل ملموس، وعلى مستويات عدة، وتسبب في التأثير سلبا على الضبط والمهنيذة العسكرية.

انه تسامح يزيد عن الحد الطبيعي او المعقول، عادة ما يستغل من قبل المنتسبين، لا علاقة له بالمعايير والقيم العسكرية، وانما بطبيعة الشخصية المتسامحة للآمر أو الضابط المعني بالتحقيق أو الحكم، علماً أن إستمرار تكرار هذا التوجه أو الأسلوب في الوحدة أو المؤسسة العسكرية، يؤدي إلى خلق تصور بين المراتب مفاده ان هذا الضابط ضعيف الشخصية، وغير قادر على إتخاذ القرار، وفي الوحدات العسكرية عديد من المصطلحات التي تصف هذا النوع من السلوك وجميعها تقلل من قيمة الآمر أو الضابط وسلطته الضابطة. مثل (فقير. سحيوة. من أهل الله. ....الخ)

2. التطرف المفرط.

إذا كان الوصف في أولاً إعلاه يضع أولئك الآمرين في الطرف الأيمن من الخط المتصل بين السواء واللا سواء، فإن المعنين بالتصنيف الثاني يضعهم بالطرف الإيسر منه. وهم في هذه الحالة غير أسوياء ايضا، يحاولون تطبيق القانون دون النظر الى جوانبه الإنسانية.

فإذا كان الغياب عن الوحدة ليوم واحد مثلاً يستحق عقوبة يومان سجن فأن مثل هؤلاء يعاقِبوُن هذه المخالفة بأكثر من ذلك، ولديهم من الاستعداد لاضافة تهم أخرى الى تهمة المخالفة لتقوية موقفهم هذا، وزيادة حجم العقوبة.

وبهذا الصدد، يرى المعنيون في علم النفس بالوقت الحاضر ان هناك درجات من الاضطراب "المخالفة" ودرجات من السواء "الالتزام" والنظرة العملية لكليهما تضعهما في سياق واحد، وبمعنى آخر يوجد كل منهما في نقطة ما على المدرج، اي لا يوجد في أحد القطبين سواء

"التزام100%" وفي القطب الآخر لا سواء "مخالفة 100%"، لكن هناك درجات من السواء ودرجات من الاضطراب "المخالفة"، كما موضح بالشكل الرقم 3 الآتي:

الشكل الرقم 3
مدرج السواء واللاسواء

سواء (التزام مطلق) اللا سواء (مخالف بالمطلق)
x1 ـــ 2 ـــ 3 ـــ 4 ـــ 5 ـــ 6 ـــ 7 ـــ 8 ـــ 9 ـــ 10x

كذلك بالنسبة الى بعض التجاوزات البسيطة التي لا تستحق غير التوجيه أو التأنيب العلني امام الأخرين، أو غير المعلن بين الضابط والمخالف، حيث يتم اللجوء الى المعاقبة بالسجن أو قطع الراتب أو بمنع التمتع بالأجازة.
انها تصرفات متطرفة تؤدي الى اعتياد البعض على تحمل ضغط العقوبة دون النظر الى قيمتها المعنوية أو التوجس منها لاعتبارات اخلاقية من ناحية وقد تدفع البعض من المخالفين الى التمادي في مخالفتهم تفادياً لمواجهة الآمر من ناحية اخرى. وقد تدفع الخائفين من حصول العقاب الشديد للتفكير في اساليب تنجي من أو تقلل من شدة العقاب، مثل الكذب والغش والتوسط وغيرها. وقد تدفع البعض الى الهروب من الخدمة العسكرية.
فغياب يوم واحد لجندي بسبب بعض الاعتبارات العائلية أو الاقتصادية أو المرضية مثلا، قد يضطره الخوف الشديد من عقوبة الآمر الشديدة واسلوبه القاسي في التعامل، وتوجهاته في الاهانة والتجريح وعدم الاحترام، الى عدم الالتحاق الى الوحدة نهائيا، ودخول الغياب الرسمي.

3. التسرع المفرط.

لكل مخالفة ظروفها ودوافعها. فعدم أداء التحية داخل الوحدة لأثنين من المراتب، كان الأول معروفاً بانضباطه والثاني مشهوداً له بالمخالفة، لابد والحالة هذه أن تكون دوافع الأول مختلفة عن الثاني، لذلك لا يمكن النظر الى فعلهما هذا بنفس المنظار أو قياسه بنفس المقاسات.

انها مخالفة بالفعل يعاقب عليها القانون، إلا أن السؤال المطروح هل العقوبة المطروحة تكون لكليهما بنفس القدر، دون الأخذ بنظر الاعتبار الدوافع وحالتهما الشخصية؟.
هذه حالة تتجلى فيها شخصية الامر ومقدرته على اتخاذ القرار المقبول بعد دراسة الحالة ذهنياً وباسرع ما يمكن، فأن لجأ سريعا الى العقوبة دون التحليل ومعرفة الدوافع، فلا يمكن والحالة هذه ان يساعد اجراءه هذا على تعديل السلوك المخالف، لان العقوبة في الاساس "من الناحية النفسية" موجهة للفعل وليس لشخص الانسان، والتسرع في العقاب سيضع الآمر احياناً في موقف حرج، أذ انه سيضطر الى تغيير قراره هذا بعد تعرفه على حقيقة أو دوافع بعض المخالفات بسبب اللامبالات أو سلوك التحدي الذي يظهر عادة مع عدم الاقتناع بالعقوبة سواء كانت اكثر مما تستحق أو أقل مما تتطلبه فعلاً.
هذا وان أردأ خبرة في التعامل مع السلوك المخالف، هي عقابه عندما يكون غير مخالف، والأردأ منه ليس على نفس المخالف بل على الآخرين في البيئة التي يعيش بينها المخالف، هي الاعفاء من عقوبة المخالفة نتيجة الخطأ في التقدير، لان هذا يجعل المنتسبين ينظرون الى القائد/الآمر نظرة سلبية، على انه متسرع، غير عادل، ضعيف ... الخ، ونظرة من هذا النوع اذا ما تكررت، ستوسم القائد بجملة خصائص منفرة تضعفه أمام منتسبيه، وربما تزيد ميول مخالفته، لذلك يتجنب القادة الجيدين التسرع في توجيه العقوبة، واذا ما أخطأ احدهم في توجيه عقوبة الى منتسب، وأكتشف عدم صحتها، يلجأ الى التصحيح أو التعويض بطرق مختلفة ليس من بينها الغاء العقوبة الا في بعض الاحيان الملزمة قانونيا.

4. الجهل المفرط.

ان التعامل مع المخالفة والمخالفين بحاجة الى كم من المعلومات يؤهل سلطة الضبط "الضابط" الى فهم الموقف والتعرف على جوانبه ومن ثم توجيه العقوبة المناسبة حسب ما تنص عليه مواد القانون أو وفق ما تخوله الصلاحيات. وبذا يكون أي تقصير أو نقص بالمعلومات في احد جانبي المعادلة سيضعف سلطة الآمر، ويفقد البعض حقوقهم ويزيد الموقف ارتباكاً.

فعلى سبيل المثال يحتمل أن يخالف شخصان نفس المخالفة وفي ظروف متشابهة نسبياً، فقلة معلومات الضابط عن الموقف الذي حصلت فيه المخالفة وعن مرتكبيها يمكن أن تدفعه الى معاقبة أحدهم بثلاثة أيام قطع راتب، والآخر بعشرة أيام حبس، وهذا اجراء سيؤدي الى مشاعر من عدم الرضا بين المراتب المخالفين أنفسهم والآخرين القريبين منهم.

وبنفس الوقت يمكن ان يخالف احد المراتب مخالفة ما ويعاقب عليها بالحبس لاربعة أيام وبعد فترة يكرر نفس المخالفة ويعاقب يوم قطع راتب رغم تشابه المواقف والدوافع لكلا الحالتين.

ان تكرار هذه الاساليب في التعامل مع المخالفات يؤثر على سلطة الضبط ويساعد على ارتكاب المزيد منها.

كما ان التعامل الصحيح من قبل الضباط مع المخالفة والمخالفين، يحتاج معرفة تامة بشروط ايقاع العقاب التي من بينها:

1. ان الهدف الاساس من توجيه العقاب هو منع تكرار السلوك غير الصحيح أي المخل بالضوابط العسكرية.
2. يتناسب العقاب الموجه من حيث الشدة والوسيلة مع نوع المخالفة المرتكبة.
3. يعرف المُعاقب، سب عقابه، ويقتنع بأنه قد أرتكب فعلا يستوجب العقاب.
4. تجنب التهكم والاستهزاء والاذلال الشخصي في عملية العقاب.
5. تجنف العنف كموضوع للعقاب.

المجتمع المهني للوحدة العسكرية

الوحدات العسكرية أو المقرات والوحدات الفرعية مجتمع خاص يتفاعل فيه طرفا المخالفة (الفرد العسكري بخصائصه الذاتية والظروف المحيطة بمتغيراتها المتعددة) تفاعلا يحدث سلوك المخالفة أو يمنعه. اذ تواجه الوحدات في مسيرتها الدائمة الكثير من الأمور التي تشكل أساساً أو أرضية ملائمة لذلك التفاعل.

فهناك االمتطوعون الملتحقون اليها حديثاً، حيث الحاجة أكثر إلى مساعدتهم على التكيف وقبول الوضع الجديد.

وآخرين منقولين إليها من وحدات أخرى، لإسباب عديدة ينبغي تفهم حالهم وتعجيل عملية دمجهم بالآخرين.

وأثناء الحرب قد تدعو الدولة، ولاغراض التعبئة العامة الضباط والجنود الاحتياط، بغية الالتحاق الى الخدمة العسكرية بوحدات جديدة، فيحملون والحالة هذه معهم الى الوحدات الجديدة كثير من الخبرات السابقة في التعامل مع مواقف وظروف سابقة، وأعمار أكبر، وأجهزة عصبية أكثر تعبا، وربما ميولا لرفض الخدمة العسكرية ، فيحتاجون الى اعادة تطبيع.

كما يتواجد في الوحدات ضباط وضباط صف ومراتب من بيئات مختلفة ينقل العديد منهم أساليبها في التعامل إلى مجتمع وحدتهم أي الى زملائهم، ويصر بعضهم على أن يتعامل أحياناً وفق معاييرها، فقد يعتقد القادم من الريف ان بقاءه بعيداً عن جلسة خاصة يقيمها الزملاء في قاعة المنام ليلا، تجر الى الهزار وتبادل النكات أمرا لازما. وهكذا العديد من المتغيرات التي يزخر بها مجتمع الوحدة، والتي يمكن إعتبار البعض منها عوامل مساعدة على حدوث المخالفة وزيادة نسب إنتشارها في حالة عدم أخذها بنظر الإعتبار، من أكثرها تكرارا:

1. الاستعداد.

في الوحدات العسكرية والدوائر والمؤسسات التعليمية والخدمية وغيرها نوعان من المخالفين:

آ. مخالفون بالفطرة. أولئك الذين جاءوا إلى العسكرية وقد تشكل سلوكهم مخالفا في الاصل أو إعتادو المخالفة في حياتهم العامة، أو كما يطلق عليهم أحياناً بأرباب السوابق.
ب. ملتزمون غير ميالين للمخالفة. وهم أولئك الاشخاص الذين لم يسبق لهم إرتكاب مخالفات ذات تأثير، والمخالفة التي ترتكب منهم تعود في الغالب الى ضغوط البيئة العسكرية المحيطة بهم كسبب في إستثارة سلوك مخالف.

كذلك الحال بالنسبة الى المخالفات يؤشر حدوثها فئتان من الجرائم والمخالفات:

أ. تلك التي تكون طبيعتها ذات صلة بالحياة المدنية العامة مثل السرقة والعنف والإدمان والقتل..... الخ.
ب. التي تقتصر على الجانب العسكري أي ذات الصبغة العسكرية مثل المخالفات الضبطية، الهروب، تخطي سلسة المراجع. . . إلخ.

ان الاستعداد لارتكاب المخالفة في النفس البشرية موجود في الاصل كما ورد من قبل، وهذا لا يعني ان الذي لديه استعداد في الاصل سيرتكب المخالفة حتما عند توفر الظروف البيئية المساعدة، والعكس صحيح أي أن الذي لم يكن لديه استعداد نفسي سوف لن يرتكب المخالفة وان توفرت ظروف لارتكابها، وتأييدا لهذه الحقيقة أجريت بحوث في أحد الجيوش الغربية على عينة من خمسين مخالفاً، قسموا إلى مجموعتين:

الاولى: تضم الذين ليست لديهم سوابق جرمية.
الثانية: أرباب السوابق.

طبقت على المجموعتين اختبارات نفسية تقيس وجود بعض الاضطرابات، فتبين ان الجميع أي المصنفين في المجموعتين يعانون نفس الإضطرابات النفسية، ولا توجد فروق فردية دالة بينهما.(محمد عاطف السيد، فصول في علم النفس العسكري).

إلا أن إنتقال معتادي المخالفة أو محترفيها إلى البيئة العسكرية يعتبر عاملاً مساعداً على إنتشارها من خلال الميل أو الإستعداد لتكرار تلك الجرائم والمخالفات عند سنوح الفرصة أو بالتأثير السلبي على الآخرين

"التفاعل، والنمذجة" مما يضيف أعباء على الوحدة باتجاه السيطرة على المنتسبين أو محاولات تعديل سلوكهم.

2- الحداثة.

أن المراحل الاولية لالتحاق المراتب الى الخدمة العسكرية أي بداياتهم فيها، مهمة لتقبلهم وتطبعهم على الحياة العسكرية مستقبلا من جانبين:
الاول: تقبل هذه الحياة بضغوطها وملابساتها، مما يسهل استمرارهم فيها بأقل ما يمكن من المخالفة.
الثاني: تشكيل شخصيتهم العسكرية، الراضية، المنضبطة، القادرة على التحمل، مما يجعلهم أكثر ميلا الى الاستمرار بالخدمة بأقل ما يمكن من التشكي والمخالفة.
ان الملاحظ على سلوك الملتحقين الى الخدمة العسكرية حديثا، هو أن بدايات الالتحاق تثير بطبيعتها في دواخل بعضهم نوعاً من القلق أو عدم الأتزان، تبعا لطبيعة ادارتهم واسلوب التعامل معهم. وكم المعلومات المتيسرة في مخيلة كل واحد منهم عن مجمل الحياة العسكرية.
انها مناحي قلق قد تمثل صدمة نفسية للبعض عندما يجدون صعوبة في التكيف تدفعهم الى الانعزال عن الاخرين أو الميل الى المخالفات كمخارج للتعامل مع الضغوط المحيطة.
كذلك يتوقف مدى توافق الفرد مع الحياة العسكرية الجديدة على مدى توافقه السابق اسريا واجتماعيا قبل الالتحاق بالخدمة، ففي حالات تعوّد الالتزام بالعادات والتقاليد والممارسات الخاصة بالحقوق والواجبات من قبل، قد نلاحظ عند الالتحاق بالخدمة العسكرية قلة في عدد المخالفات، أما في وضع التسيب الذي قد يكون الفرد قد عاشه بين افراد اسرته واقرانه دون ان يجد توجيهاً ما أو ردعاً معينا، قد نلاحظ زيادة مفرطة في عدد مخالفاته في الحياة العسكرية.

3. العلاقات.

ان الخدمة في الوحدة والعمل في الظروف الطبيعية او الصعبة يخلق نوعاً من العلاقات بين المافوق والمادون وبين المراتب وأقرانهم، تساهم بالتخفيف وبدرجة كبيرة من أثر الضغوط، وتعد كذلك مجالاً لتفهم مشاكل المقاتلين والضباط على حد سواء.

فعندما يعي الضابط أو الآمر المباشر معاناة أحد منتسبيه بسبب مرض والدته أو زواج أحد افراد عائلته أو قرب ولادة طفل جديد له، ويقوم بمنحه المساعدة المناسبة "اجازة بسيطة" سيؤدي هذا الى عدم تجاوزه على القانون والضوابط بالنزول دون اذن أو الغياب عن الوحدة كحل للمشكلة.

ان العلاقات الانسانية الجيدة ستؤدي أيضاً الى أن يتفهم المراتب موقُف آمرهم عندما يتخذ قراراً يتعلق أو يتنافى ومصالحهم، فيبتعدون عن الأنفعال والعدوان في التعامل معه في كثير من الاحيان، أذ أن المشكلة ليست بأصدار الأمر الذي يحرم أحدهم من الذهاب الى عائلته لتفقدها وقت الشدة، بل بمقدار تفهمه لحيثيات ذلك الأمر.

هذا وان العلاقة بين المستويين المذكورين مهمة في تحديد كيفية ادراك الموقف، فأن كانت جيدة حصل القبول والتفهم والرضا.

والعكس من هذا أي اذا ما كانت العلاقة سيئة، سيؤدي الى التوتر وعدم الأتزان والميل الى المخالفة كنوع من التحدي والعدوان.

4. الكبت.

أن يوم العمل في الوحدة مليء بالعطاء والشد والتوتر، انفعالات قد تستمر لبضع ساعات، وفي حالات ليست قليلة قد يمتد استمرارها الى أكثر من عشرة أو خمسة عشر ساعة عندما يتطلب الموقف ذلك، سواء خلال التدريب أو البناء وإعادة التنظيم في السلم أو القتال الفعلي وترصين المواضع أثناء الحرب، هذا وأن التوتر والشد شحنة أنفعالية بحاجة الى تصريف سواء بالكلام أو الفعل، من هذا يمكن التأشير الى أن عدم توفر الظروف المناسبة لذلك يؤدي الى كبت[6] الانفعالات. وهنا

[6]الكبت: ميكانزم دفاعي أو حيلة دفاعية، رئيسية تلجأ اليها الانا لاشعوريا لمواجهة أنواع الصراع الذي قد تؤدي المكاشفة بها الى ايذائها. ويتم عن طريق هذه العملية استبعاد تلك الرغبات، الحفزات، والافكار التي تتعارض مع مفهوم الفرد عن نفسه، وذلك بدفعها الى اللاشعور، وهي عملية تعتبر بمثابة كف استرجاع لهذه المحتويات حتى تبقى بعيدة عن الشعور، لتجنيب الفرد مشاعر القلق. وعملية الكبت هي الوسيلة الدفاعية ضد هذه المحتويات، التي تعجز الانا شعوريا عن تحملها. علما أن ما يكبت من حفزات ودوافع غريزية، وغير ذلك من محتويات، لا تُفقد

تجدر الاشارة الى أن الانفعالات المكبوتة، لابد وأن تخرج بصورة سلوك، لأن قابلية الانسان على ذلك "الكبت" محدودة، وان بقائها محصورة سيُعرّض الانسان عسكريا كان أم مدنيا الى احتمالات الاصابة ببعض الاضطرابات النفسية.

ان الحقيقة المذكورة تجعل الوحدات وآمريها أمام خيارين:

الاول: أن تساهم الوحدة من جانبها باعداد برامج ترفيهية مقننة تساعد على تفريغ وعاء الكبت، وتصريف الانفعالات السلبية الموجودة فيه.

الثاني: ان تنأى الوحدة عن القيام بأية برامج ترفيهية، وتتنصل عن مساعدة المنتسبين في أن يتجهوا للقيام بأية برامج ذاتية للترفيه، عندها ستسهم لا ارادیا في أن ينفس البعض منهم عن انفعالاته باللجوء الى السلوك المخالف.

نهائيا، بل تبقى في الذاكرة البعيدة، كمحتويات محتفظة بقوتها أو بفاعليتها في التأثير، محاولة التغلب على القوى التي تعمل على استبعادها من الشعور، والتي تحول دون اشباعها واعطائها الفرص للتعبير عنها، وقد تؤثر على صفات الشخصية، وعلى ميول الفرد ونظامه القيمي. (عبد السلام عبد الغفار1976).

الفصل الرابع
المخالفة القيمية

القيم
المخالفة القيمية
التجاوز على القيم العسكرية

القيم

المفهوم العام

القيم في المعنى الاجتماعي، هي الخصائص أو الصفات المرغوب فيها من قبل الجماعة التي تعيش في بيئة اجتماعية معينة، وهي خصائص تحددها الثقافة القائمة في تلك البيئة، مثل التسامح، التكافل، المساواة، الحق، تقديس المعتقد، حب المال، حب العلم، حب الجماليات ...الخ، ووجودها يعد الاداة الاجتماعية بيد الجماعة للحفاظ على نظامها الاجتماعي، واستقرارها في المجتمع الذي تعيش فيه، لانها خصائص توجه السلوك فيما اذا كان سليما أو معتلا، وتؤشر الفرق بين الحلال والحرام، الصحيح والمخالف، الجيد والسيئ، والقيم على هذا الاساس مهمة لحياة الانسان في المجتمع، لانها من يحدد معالم الفلسفة العامة لهذا المجتمع، وهي انعكاس للطريقة التي يفكر بها أبناء المجتمع، أو الثقافة المشتركة لهم.

هذا واذا ما أنتقلنا بها مفهوما من المجتمع العام الى المجتمع العسكري والبيئة العسكرية، نجد أن مجموعة القيم العسكرية، هي تلك الصفات الايجابية المطلوبة من قبل المؤسسة العسكرية مثل الانضباط، التعاون، التضحية، الايثار .... الخ. التي تحدد للمنتسبين ما هو مرغوب فيه، وما هو مرغوب عنه، بل وتشكل الغايات المثلى التي يسعون كأبناء ثقافة واحدة الى تحقيقها. وهي بالتالي تضبط وتوجه سلوك المنتسب وأحكامه باتجاه التنفيذ السليم للاوامر والتعليمات، بأقل ما يمكن من المخالفة، وتدفع الى بذل أقصى جهد لتأمين الغاية المطلوبة، دون التفكير بالمخالفة.

ان للقيم بهذا المعنى أهمية كبيرة للمهنية العسكرية، لانها مصدر مهم من مصادر تشكيل السلوك المهني، فهي المعايير التي يستخدمها كل من الجندي وآمره أي الضابط في الحكم على السلوك السوي وغير السوي، وبذا تسهم، أي القيم من جانبها في خلق البيئة العسكرية المناسبة، التي تحقق المزيد من فهم المنتسبين لواقعهم، واستيعابهم لمعطيات حياتهم المهنية، ومن التفاعل الايجابي بين المراتب والضباط، وتسهم أيضا في زيادة تقبل الضابط لجنوده، مما يترتب على هذا التقبل من زيادة اهتمام

الجنود بعملهم العسكري، وتحسين مستويات أدائهم العسكري وانجازهم المهني.
كما ان للقيم دور مهم في صحة المنتسبين النفسية وأستقرارهم الانفعالي في البيئة الجديدة، لانها في الاصل عامل وقاية من تأثيرات الضغوط، وفي الحرب عامل وقاية من الاضطرابات النفسية أو الاصابات النفسية التي تحصل أثناء الاصطدام بالعدو، اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن القيم المرتبطة بذات المنتسب، تشكل وجهة نظره للحياة العسكرية، وطريقته في التعامل الاجتماعي مع متغيراتها سلما وحربا، ومن ثم تحقيق القبول والتكيف النفسي لها.
ان القيم، وعند تحديدها معايير الصح والخطأ، المقبول والمرفوض في المجتمع العسكري، تحدد طبيعة تعامل المنتسبين مع واقعهم ومؤسستهم بالطريقة التي تؤثر على توافقهم النفسي مع هذا الواقع أو هذه الحياة، لذا يكون أختلال ترتيب أهمية القيم لدى المنتسب، كأن يعطي الاولوية للمال أو الشعور بالخزي على التضحية والدفاع عن الوطن، سيتسبب في الانجراف الى جانب المخالفة وأحيانا الى الاصابة النفسية، اذ يلاحظ على المصابين ببعض الاضطرابات النفسية في الحرب مثلا، أنهم يظهرون اتجاهاً مضادا أو معاكسا للقيم العسكرية، يبدأ بعضهم بالصراخ وحتى البكاء، وبعضهم الآخر يشتم الآمرين، وينتقص من المؤسسة العسكرية، وغيرها من أنواع السلوك غير الاعتيادي الذي يؤشر اتجاها مضادا للقيم العسكرية التي يفترض وجودها.

مستويات القيم

ان مفهوم القيم بالمعنى النفسي، يعني تنظيمات معقدة لاحكام عقلية انفعالية معممة نحو الاشياء، او الاشخاص، أو المعاني، سواء كان التفضيل الناشئ عن هذه التقديرات المتفاوتة صريحا أو ضمنيا، ويمكن تصور هذه التقديرات على أساس انها أمتداد يبدأ بالتقبل ويمر بالتوقف، وينتهي بالرفض. ومن وجهة النظر النفسية فان مكان القيم في الانا الاعلى حيث الضمير، يتعلمها الفرد أولا من أبويه، ثم من البيئة المحيطة، أي من الحي ثم الشارع، والمدرسة، ثم المدينة، والدولة، ويتعلم العسكري القيم العسكرية من محيطه العسكري، أي من

الحضيرة، والرهط ومن الآمرين، بالممارسة والملاحظة والايحاء والتطبع والتقليد والتدريب، وهي عادة ما تقسم الى ثلاث مستويات:

1. المستوى الاول: التقبل. تقبل انفعالي لمعطيات الحياة العسكرية.
2. المستوى الثاني: التفضيل. وهو المستوى الذي يندمج فيه المنتسب مع القيمة أو مجموعة القيم العسكرية.
3. المستوى الثالث: الالتزام. تقبل شديد دون أدنى شك بموضوع القيمة أو مجموعة القيم الى حد الالتزام بها بشكل قوي. (أبو حطب، فؤاد 1979).

أكتساب القيم

ان القيم وبضوء العرض المذكور معايير مكتسبة، وان التعلم والتعليم والتقليد والنمذجة هي الطريق لتحقيق الاكتساب، وما دمنا في البيئة العسكرية، فأن التعلم الخاص بالقيم يتم بعدة وسائل وأساليب، منها ما هو مباشر، ومنها ما هو غير مباشر، والاكثر ملائمة لظروفه عن طريق الآتي:

1. القدوة.

الوالد القدوة لابناءه، والمعلم القدوة لتلاميذه، والضابط القدوة لمنتسبيه، كلما كانوا صادقين في سلوكهم، متسقين في أقوالهم وأفعالهم، متشابهين أو قريبين في ثقافتهم مع الآخرين في محيطهم، كلما ساعدوا على أنتقال القيم منهم كقدوات الى الآخرين اللذين يقلدونهم أو ينظرون اليهم، وعلى أكتسابها لهم بالشكل السريع والصحيح.

2. الحقيقة.

ان المنتسب في المجتمع العسكري ولكي يكتسب القيم المطلوبة، لابد وأن تقدم اليه الحقائق الموضوعية، التي تتناسب في مستواها وطريقة تقديمها للآخرين، أي أن تقدم بنفس الصيغة التي تقدم فيها للاخرين، لان الحقائق تزيد المتلقي فهما ومعرفة، ومن ثم وعيا وأقتناعا بموضوع

القيمة، كما تؤدي الحقائق المدعمة بالامثلة الى تغيير الجانب الوجداني، وبما ييسر قبول القيمة والعمل بها.

3. الربط.

يقصد به ربط التصرف بالنتيجة، أو السلوك بالآثار المترتبة عليه. فأسلوب الوعظ والتلقين لتعليم القيم لا يؤتي بالنتائج المرجوة كما يجب، ولكن إذا ما دعّم الوعظ مع ربط التصرف أو السلوك بالنتائج المترتبة عليه، سيساعد هذا على اكتساب القيم وزيادة تقبلها.

4. المناقشة.

استخدام المناقشات الجماعية يسهل عملية تبني القيم، لأن المناقشة تتضمن جانباً معرفياً، كما تتضمن إيجابية ومشاركة الأفراد في بعض الامور التي تهمهم، ما ييسر تبنيهم للقيم ودفاعهم عنها. لذلك تتضمن المناقشات ممارسة الجماعة للضغوط على أعضائها المخالفين للقيمة، حتى ينصاعوا لما اتفقوا عليه.

5. التعلم المباشر.

أن التعلم المباشر للقيم يؤدي دورا كبيرا في اكتسابها. ومن أمثلة ذلك تدريس العلاقات والمواطنة والأخلاق في الدورات والكليات العسكرية، لتعزيز تعلم التعاون والتكافل والاخلاص كقيم عسكرية.

6. النقد.

ان النقد الذاتي والتقييم للسلوك الفردي، يساعد في فهم المنتسب لقيمه، ولآثارها في التعامل مع الآخرين وفي تحقيقه لأهدافه ضمن الجماعة. وكلما كان التقييم الذاتي أميناً ومخلصاً، أسهم في إكساب القيمة، ونموها وتعديلها أو تثبيتها. على الرغم من حساسية هذا العامل الاخير أي النقد الذاتي في البيئة العسكرية، وصعوبة تنفيذه لان المجتمع العسكري مجتمع تراتبي، جماعي، قيمة الفرد فيه تأتي من توحده مع الجماعة، لكن أعتراف جندي أمام منتسبي الفصيل وآمره بارتكاب مخالفة ما، يسهل عليه تجاوز آثارها، ويسهل أكتساب قيم التنازل الى الجماعة قيمة فاضلة.

من ما ورد في العرض أعلاه، يتبين ان القيم:

القوة المحركة لسلوك الفرد، وهي التي توجه أداء المنتسب وجهة دون أخرى.
يتمثل معظمها العسكري من حياته الاجتماعية العسكرية، بيد أنها تبدو كما لو كانت شخصية، وملكا له.
وجودها يمثل مرجعا للعسكري في الحكم على الصحيح وغير الصحيح، النافع والضار، الوطني وغير الوطني، الخير والشر... الخ.
ان السائد منها في المجتمع العام أو المجتمع العسكري، ليست جميعها ايجابية، فهناك بالاضافة الى الايجابية قيم سلبية، مثل التفضيل الذاتي، التوجه المادي، وغيرها يقتضي التنبه الى وجودها، لان شيوعها في المؤسسة العسكرية، يمهد أو يسهل ويبرر حصول المخالفة.

المخالفة القيمية

ان موضوع المخالفة موضوع تتداخل فيه الكثير من المعطيات النفسية والاجتماعية والعسكرية. فالعسكري انسان يخضع الى أسس النماء الانساني ذاتها، يعيش وسط بيئة نفسية محددة، فتنطبق على حالته القوانين الانسانية التي تسطرها المدارس النفسية.
وهو من جانب ثان، كائن اجتماعي بطبعه تحكمه الاعراف والقوانين التي تنتجها الجماعة، وتتطلب انصياعه لها، فتنطبق على حالته معايير الجماعة وقوانين علم الاجتماع.
وهو من جانب ثالث عسكري يعيش في بيئة عسكرية خاصة تتطلب منه الانصياع المطلق لمستلزماتها وضغوطها القاسية، وهو بالتالي شخصية عسكرية، مطلوب منها الالتزام المطلق بالقوانين والضوابط العسكرية الخاصة.
ان المخالفة على وفق هذا التصور ليس بالضرورة ان تكون سلوكا مخلا بجوانب الضبط، حدد القانون العسكري صيغتها، ووضع لها عقابا معينا، بل هي كل سلوك غير توافقي والحياة العسكرية "تجاوز" على المعايير والنظم العسكرية، يؤثر سلبا على تنفيذ الجيش لمهامه العسكرية، اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ان الجيش هو المرآة العاكسه لفضائل المجتمع.
وان العسكري داخله هو الصورة الناصعة في هذا المجتع.
انه شخصية مهابة، لان مهامه وطنية والوطن أعلى شأنا من غيره، وهذه الصورة الناصعة مطبوعة في ذاكرة الغير من المواطنين والعسكريين، فخدشها أو تشويهها يعد تشويها للصورة العامة. وبهذا يكون التشوية مخالفة قيمية واضحة المعالم.
فصورة الفصيل في تأديته بعض الحركات العسكرية بانتظام تبقي الصورة ناصعة، وتزيد من الاعتزاز بأهل الصورة أي العسكريين، لكن منتسبيه ويوم يتركون تشكيلهم المنتظم، ويدخلون في سياقات الجوقة غير المنتظمة، يرقصون في حضرة القائد الاعلى أو القائد الميداني الادنى، تأييدا له أو لخطوات وقرارات اتخذها، واستجابة رضا عن وجوده، وربما الرغبة في التقرب اليه وتملقه، كما كان يحصل في

الاعوام التي سبقت 2003 والى الحد الذي أنتقلت فيه هذه العدوى الهستيرية من المراتب الذين أعتادوا ممارستها في كل المناسبات والمواقف، الى الضباط، عندما كانوا يخلعون غطاء الرأس "البيريه" بشكل جماعي ليهتفون تأييدا للرئيس، فأعطوا بسلوكهم هذا أنطباعا سلبيا عن العسكر والعسكرية العراقية، اثرت سلبا على مواقف الشعب من عسكره، وقللت من القيمة الذاتية للعسكر بين منتسبيهم وبين أنفسهم أيضا.

ومن قَلَتْ القيمة في داخله لا يأبه لنفسه في ان يخالف، ولا لغيره فيما اذا خالف، لان الصورة التي حلت في داخله حديثا هي ليس الصورة الناصعة المخزونة في الذاكرة قديما، انها صورة جديدة مشوهة، تخالف الصورة الاصلية.

التجاوز على القيم العسكرية

الجيش منظمة منضبطة يجري تدريبها على تنفيذ الأوامر الصادرة من القيادات الاعلى "القيادة العامة للقوات المسلحة نزولا الى القادة الميدانيون، فالآمرين الى مستوى الحضيرة، بطريقة حتمت وجود سياقات عمل، وأساليب تعامل، ومستوى ضبط، وتدرج في الرتب، وتقاليد، وشكل تنظيم تساعد جميعها على تحقيق غاية تنفيذ الأوامر، عماد الجيش والصفة المشتركة لكل الجيوش وعند كل الأمم. وهذه رغم أهميتها لنظم الحكم أي كانت توجهاتها، الا أنها في النظم الديكتاتورية، مثل العراق قبل 2003 حيث الاستعداد الكامل لاستخدام الجيش في أعمال القمع الداخلي، والخشية من أنقلابه على الحاكم، باتت النظرة الى الضبط العسكري، والتنفيذ الحرفي للأوامر مؤرقة للحاكم ومثيرة لتوتره، ووضعته في موقف صراع للتعامل معهما بين اتجاهين متنافرين:

يمثل الاول: تقوية معالم الضبط ليكون حديديا، يساعد القيادة السياسية على تنفيذ برامجها في الازمات الداخلية والخارجية.

يمثل الثاني: تجاوز على المعايير التقليدية، أي تنفيذ حرفي فيما يتعلق بالاوامر العسكرية القتالية، وأمتناعا عن تنفيذ الاوامر المخلة بالنظام السياسي.

منهما أو نتيجة الصراع في حالتهما، اندفعت القيادة المذكورة الى التوجه لاجراء تغيير جذري في فلسفة الضبط التقليدي "التنفيذ الحرفي" ليكون من الناحية السياسية تنفيذا أنتقائيا. وعلى اساسه أصدرت القيادة آنذاك أوامر صريحة للعسكريين بعدم تنفيذ الاوامر التي يرون فيها تجاوزا أو خطرا على الحزب والدولة، وهذا يعني أعطت الضوء الاخضر للعسكري في أن يخالف أوامر آمره الاعلى.

ان معالم الصراع المذكورة وطبيعة ادارة المؤسسة العسكرية العراقية سياسيا طيلة الخمس وثلاثين عاما قبل التغيير دفعت بتلك القيادة الى أبتكار نهج التطويع النفسي للقادة العسكريين من خلال:

1. اختيار ضباط برتب كبيرة لمناصب القيادة، بمواصفات تغلب عليها الوصولية، والارتعاب، وعدم الثقة بالنفس، لأن خصائص من هذا النوع تجعلهم يأخذون رأي الأعلى منهم في صغائر الأمور قبل كبائرها، وتثير في داخلهم الشك بما يصدر إليهم من أوامر من الجهات الأعلى، ويحسبون لها ألف حساب قبل تنفيذها.
2. حصر الكثير من أنواع القرارات والصلاحيات بالقيادة العامة للقوات المسلحة، إذ وصلت الحال في السنوات الاخيرة لما قبل التغيير أن يؤخذ رأي القائد العام في تحريك سرية مشاة من قاطع الى آخر، ويأخذ رأيه بتنسيب آمر وحدة، ويأخذ رأي القيادة بنقل جندي من وحدات البصرة إلى بغداد.
3. تجزئة الضبط العسكري والاستعداد لتنفيذ الأوامر إلى جزأين رئيسين:

آ. الأوامر العسكرية الصرفة، وهي الأوامر التي تقتضي ضرورات عمل الوحدة / القيادة تنفيذها في كافة الظروف والمواقف، مثل تلك التي تتصل بالحرب هجوما ودفاعا وبالشؤون الإدارية والتنقل .... الخ وما يتخللهما من أوامر وتوجيهات فرعية. وهي واجبة التنفيذ حد تحديد عقوبة الإعدام لعدم تنفيذها أو التقصير في تنفيذها، خاصة في ظروف الحرب والتوتر التي بدأت بعد عام 1980 الى 2003.

ب. الأوامر العسكرية ذات الصفة السياسية. وهي الأوامر التي قد تصدر عن قيادات عسكرية عليا بهدف القيام بفعل يهدد أمن الدولة، أو التحرك لتغيير الحكومة .... الخ ، وهذه يحرم تنفيذها لمستوى تحديد عقوبة الإعدام، ليس فقط للذين ينفذون أوامرها ، بل وكذلك لمن لا يُخَبِر عن آمره الذي أصدر مثل تلك الأوامر ، وإن لم يجر تنفيذها.

4. الإذلال. يُشَكَل سلوك الضباط في الجيوش ومنذ الأيام الأولى لدخولهم الكليات العسكرية باتجاه الاعتداد بالنفس والثقة العالية بها، ويمتد هذا إلى تقدير الضابط واحترامه كآمر في وحدته أو كشخص

مرموق في المجتمع، بهدف تكوين منزلة قبول للمهنة العسكرية على الرغم من المخاطر الموجودة فيها من جهة، ولتكوين حافز ذاتي داخلي للضابط يدفعه باتجاه الصمود بالمعركة وعدم التهرب منها أو التخلي عن واجبه وجنوده في الظروف الصعبة من جهة أخرى ، وهذا نوع من السلوك لا ينسجم وطبيعة الجيوش العقائدية في النظم الديكتاتورية، وبدلا عنه توجه القائد العام آنذاك بالسب والشتم لبعض القادة الكبار، وأحيانا معاقبتهم بالضرب أمام زملائهم لمجرد قيامهم بأعمال يفسرها من جانبه مخالفة، أو تقصير، وبتكرار هذا الأسلوب، ولغرض التخفيف من وطأة الاعتداء الحاصل على الذات الشخصية بدأ، القادة الكبار وعلى وفق آلية التقمص النفسية، يمارسون نفس السلوك أو قريبا منه مع القيادات الأدنى منهم، وهكذا انتقل إلى قادة الفيالق والفرق والآمرين، فأصبح شتم الضابط في تلك الحقبة الزمنية وإهانته علنا سلوكا شائعا، عندها شعر العسكر بالمهانة والذل التي لا حول لهم في مجالها، سوى تجنب بعض المواقف التي يعتقدون أنها حرجة ، وإن كان الثمن ضياع الوحدة والجيش، أو حتى الوطن.

لقد شاع حدوث بعض أنواع التجاوزات في المؤسسة العسكرية العراقية ما بعد السبعينات، بينها المبالغة والرياء مثلا، فاق تأثيرها على الاداء والمعنويات تأثير عدم أداء التحية أو التلكؤ في تنفيذ بعض الاوامر العادية، فادعاء بعض القادة الميدانيين مثلا على أنهم قد حققوا أهدافهم في احتلال مواضع العدو، وأبادوا الآلاف من جنوده، مغالاة تجافي الحقيقة، وخرق للمعايير القيمية العسكرية التي تضع الصدق والامانة في أعلى سلمها القيمي، وهو بوجه عام سلوك مخالف تفوق خطورته غالبية أنواع المخالفات، لان القيادة قد تضع خططها الهجومية وتقادير مواقفها بضوء المعلومات المبالغ فيها التي غالى في وضعها القائد الميداني أو الآمر لاعتبارات السعي الى الحصول على مكرمة من القائد قدما أو هدية عينية.

مثال عنها من أيام الحرب العراقية الايرانية، اذ وعندما أستطاع الجيش الايراني عبور شط العرب واحتلال الفاو، في خطوة عدت استراتيجية في حينها، وعلى اثرها حاول الجيش العراقي، استعادة الفاو بعدة

هجمات مقابلة، دون أن يستطيع التقدم بما يكفي لحسم الموقف، وطرد الايرانيين من المدينة المخربة، وكانت هناك أرض سبخة تفصل بين القوات العراقية المهاجمة والايرانية المدافعة، شكلت مانعا جيدا لصالح الايرانيين وعائقا أمام هجوم العراقيين، لعدم ملائمتها الى تقدم الدروع التي يتفوق في جانبها الجيش العراقي، وكانت هناك بمحاذاة شط العرب أرض مشجرة، فيها سواقي مياه عديدة تشكل من جانبها مانعا لتقدم الدروع أيضا، وهناك وسط الارض السبخة طرق أنشأها الجيش العراقي من قبل، ترتبط فيما بينها بنقاط أسميت بالعقد، وأعطيت أرقاما للدلالة، أعتقد القادة الميدانيون أن احتلالها والتحكم بها سيكون مفيدا للقفز منها الى الدفاعات الايرانية. ولتشجيع الوصول اليها والسيطرة عليها تجاوزا على الصعوبات الفنية، منحت القيادة رتبة ملازم الى كل جندي أو ضابط صف يصل أحد العقد، ورتبة أعلى للضباط، وهكذا بدأ التدافع والوصول الذي كان بعضه وهميا أو مبالغا فيه، واستعرض قائد الفيلق السابع الذي يقود الرتل الجنوبي للهجوم امكانياته في وصول بعض جنوده الى العقد، وبات يمنح الرتب العسكرية، ليثبت صحة ادعاءه، ومن بين اللذين منحهم رتبة ملازم كان مراسله الشخصي، وبعض افراد حمايته المقربين اليه، وقسم منهم كانوا موجودين في مزرعته ببغداد، وهم في الغالب أميون لا يجيدون اوليات القراءة والكتابة، فكانت هذه مخالفة جرى فيها التجاوز على القيم العسكرية، من قبل القائد والآمرين تحت غطاء الصلاحيات الممنوحة.

ومن التجاوزات على الاصول والضوابط العسكرية التي ترقى الى مستوى المخالفة الخطرة ايضا سلوك تحميل أعباء الخطأ على الآخرين من الادنى في سلم القيادة، وهذا السلوك شاع في الجيش العراقي ابان الحرب ايضا، وبعد أن سنت القيادة السياسية بتدخلها في الشؤون العسكرية قبل عام 2003 ضوابط اعدام القادة في حالات الفشل، وان كان الفشل قد حصل ليس بسببهم، بل لاسباب تعود الى تدخل القيادة السياسية وأخطائها أحيانا، لكنها بطبيعة الحال ولاعتدادها بالنفس ومشاعر العظمة في داخلها لا تلقي الفشل على عاتقها، بل ترميه سريعا على الغير، وهكذا الحال بالنسبة الى المستوى الاقل منها في التراتب القيادي، حيث العمل على القاء التبعات على الغير، وتعودوا سياسة

تقديم كبش الفداء، فعندما تحصل حالة فشل محرجة، يحاول القائد المعني أن يجد قائدا أو آمرا آخرا يتهمه بتعمد الفشل، ويبادر في اخبار القيادة العليا بطبيعة الخلل أو التقصير، ويطالب بتوجيه عقوبة الاعدام ميدانيا وباسرع وقت ممكن.
انها وسيلة خداع، لاقناع القائد العام "مصدر القلق" على أن المخالفة قد تمت معاقبة مرتكبيها، فيسكت في حالتها عن المقصر الاصلي الذي يحتل موقعا قياديا أعلى من الضحية أو الكبش المعدوم.
هذا واقع حال تؤكده ارتدادات القيادة السياسية آنذاك عن قراراتها في اعدام بعض الضباط القادة والآمرين المتهمين بالمخالفة والتقصير، ومن ثم القيام برد الاعتبار العسكري لهم ومنح عوائلهم الراتب التقاعدي العسكري اصوليا، مثلما حصل مع اللواء الركن صلاح القاضي قائد الفيلق الثالث، الذي أعدم في السنة الاولى للحرب، بتهمة التقصير والخيانة، ومن ثم أعيدت له حقوقه التقاعدية، وآخرين غيره.
هنا تجدر الاشارة الى أن التاريخ العسكري الحديث للجيش العراقي قد سجل كثيرا من الأوامر التي صدرت من القيادة العامة للقوات المسلحة للهجوم على أهداف معادية أو للدفاع المستميت عن موقع حصين، أو القيام بهجوم مقابل بغية استعادة تلة مشرفة تَحَكَمَ فيها العدو الذي يتفوق في قياسات الدفاع، بعدة مرات عن القطعات العراقية التي أُمِرت بالهجوم.
وسُجل أيضا، أن خططا فرض القائد العام تنفيذها على القيادات الميدانية لم تكن مناسبة الى طبيعة الأرض وظروف المعركة، كما هو الحال في معركة المحمرة عام 1982، وعندما يكون من المستحيل تحقيق أي نجاح فيها، يقوم القائد الميداني بتحميل تبعات الفشل على المنفذين.
وسُجل كذلك أن اتهامات بالفشل والمخالفة قد تمت بضوء شكوك سابقة خزنها القائد العام في عقله، ومعلومات تجمعت في أضابير الضحايا، غير مرغوبة منه، وربما لإقناع نفسه لا شعوريا أن خططه عظيمة ، وإن الفشل عيوب في التنفيذ لابد أن يدفع ثمنها المعنيون، وإن عبقريته ما زالت ترفد العراق والجيش بمآثرها العظيمة، فيسارع على تحميل الغير أعباء الفشل.

لقد مر العراق منذ تأسيسه وحتى وقتنا الراهن بظروف صعبة، تباينت في مراحله الزمنية أساليب ادارة الدولة والمجتمع، تباينا واضحا من الملكية المستقرة، إلى الجمهورية الأولى المنفعلة، وإلى الخامسة"صدام حسين" المضطربة، صاحبها عدم وجود فلسفة واضحة للإدارة، وغياب الخطط الاستراتيجيه، وضعف الاستقرار السياسي، والأمني، واستخدام القسوة المفرط مع الأدنى في السُلَمْ الوظيفي في العقدين الأخيرين اللتين سبقتا التغيير على وجه الخصوص، تفاعلت جميعها مع بعضها البعض، ومع بعض خصائص الشخصية العراقية غير السوية في ظروف العيش تحت الضغط الشديد لفترة زمنية ليست قليلة، فتسببت في تكوين عادات سلبية شديدة التأثير في السلوك المهني العام أنعكس وجودها عمليا على الأداء والسلوك العسكري، وعلى مستوى الالتزام بالضوابط، والقيم، والتعليمات.

ودفعت من ناحية ثانية إلى وسم الأداء الخاص لعموم موظفي الدولة بينهم العسكريين بخصائص تخالف الضوابط والمعايير، يمكن عدها مخالفات قيمية بينها:

1. تملق الاعلى.

إن أكثر ما ميز فترة الثمانينات من القرن الماضي، وما بعدها في موضوع ادارة شؤون العسكر سياسيا، هو تدخل السياسة في تفاصيل العسكر، ونقل بعض معايير العسكر الى السياسة، الامر الذي تسبب في عسكرة السياسة، وتسييس العسكر، بطريقة أخلت بالتقاليد العسكرية، وغيبت بعض الضوابط العسكرية مثل التأسيس على معايير التقييم المهني للاداء العسكري، والالتزام العسكري، والسمعة العسكرية الحسنة، وكم الإنجاز في منح المناصب العسكرية والترفيع الى الرتب العليا، معايير أنتهت تماما في ضوابط الادارة العسكرية التي أنشئت ما بعد السبعينات، بعد أن حلت محلها ضوابط الادارة السياسية، فأول تقييم للضابط في سياقات تعيينه آمر فوج مثلا، هو انتماؤه الى الحزب الحاكم، ومدى التزامه بسياسة الحزب، ورضا المنظمة الحزبية عنه، واذا ما طُرح موضوع أداءه العسكري، فسيأتي لاحقا، وبشكل انتقائي، فالحزبيين بالدرجات العليا، لا يمرون بمراحل التقييم الخاص بالاداء.

واذا ما كان المنصب قائد فرقة أو فيلق ومدير عام تضاف معايير تقييم أخرى، اذ تصبح الدرجة الحزبية وحدها غير كافية، وتتدخل معها مسألة الولاء المطلق لقيادة الحزب، وأحيانا بعض الجوانب الطائفية، ولو بشكل خفي، وهكذا اسقطت الكفاءة معيارا، وأسقطت الشخصية العسكرية السوية معيارا، وبات كل شيء مرهون بالحزب وقيادته العليا التي تقود هي ذاتها القيادة العامة للقوات المسلحة، عندها وبسبب بعض عوامل الشخصية، بقيّ نظر العديد من العسكريين شاخصا الى تلك القيادة، يتوددون اليها يسعون الى ارضائها تملقا.

كما ان عمل العسكر وانجازاتهم أختلف تقييمها عن المعتاد، فلم يعد نافعا الاشارة على سبيل المثال إلى آمر فوج أستطاع أن يحقق أعلى مستوى في فحص الكفاءة دون المرور بموقفه من الحزب والثورة، وان ماقدمه هو خدمة لقيادة الحزب والثورة، ولا فائدة في مجال التقييم لمشروع خاص بتطوير رادار رصد الصواريخ من مهندس عسكري بارع أو مجموعة مهندسين جيدين دون التطرق لمسألة نفعها العام إلى قيادة الحزب والثورة، وبالمحصلة أصبح التقييم للموقف الحزبي بدرجة تفوق التقييم المطلوب للجانب العسكري الذي فقد بريق الدافعية فيه، إلا ما يقع منه في دائرة التقرب الانتهازي، والنفع الذاتي. وهو تقرب، ونفع كانت قد وضعت جسور ايصال لهما عن طريق الحزبيين المنتشرين في الوحدات وضباط التوجيه السياسي، فأصطبغ كل شيء بلون الحزب الذي غطى على اللون العسكري.

وبات المنصب وأحيانا الترقية خارج الضوابط، تتم أحيانا بطريقة تحايل واستجداء أوجدت تدافعا من قبل المنتسبين أو جريا حثيثا من قبلهم إلى واحدة أو أكثر من الجوانب الآتية:

ترقية إلى المستوى الأعلى تضمن تأثيرا أوسع وهامش تحصيل أكثر.

مكافئات آنية، وأخرى في المناسبات.

وجاهة اجتماعية تضمن تقرب من الأعلى، وتأثير على الأدنى، وعلاقات مع الأقران تفتح المجال إلى أكبر قدر من المنفعة والتحصيل.

بسببها جميعا والرغبة في العيش الأكثر ترفا في ظروف تقل فيها فرص الترف إلا عن طريق الجهات العليا، وسبل التقرب من أجهزتها تعمم سلوك المداهنة وبات المدح تملقا، وتزويق الكلام الموجه للمسؤول

الاعلى رياءاً، هي السائدة في سياقات المخاطبة العامة وفي التعامل من الأدنى إلى الأعلى بجميع المستويات. وبسببها أيضا زاد كذلك الميل إلى إرضاء المسؤول دون الالتفات إلى معايير العمل، وضوابطه وإلى مستلزمات تحقيق الذات العسكرية، كأحد الحاجات النفسية لتحقيق الرضا والسواء... تجاوزا على الضوابط، وكنتيجة لممارستها فترة زمنية طويلة أصبح الأداء بنسب تكرار ليست قليلة:

آ. روتينا يحسب فيه المنتسب عدد ساعات الدوام، وفرص الغياب عن الوحدة، همه قضاء الوقت، وهم الاعلى تمشية البريد، والرد على ما مطلوب، والبقاء في خانة الأمان دون المجازفة بالتقدم خطوة إلى الأمام.

ب. مملا، لا إبداع فيه ولا رغبة بالتطوير، لأن في التطوير مجازفة بارتكاب خطأ أو مخالفة، وكلاهما يجلبان الشك باحتمالات التجاوز والتخريب، وعقوبته قد تصل إلى حد الإعدام إذا ما كان المخطأ من خارج دائرة الولاء المطلق، وهامش الشك به كبير، على الرغم من إن الحكومة آنذاك قد وضعت شعارا منذ اعتلائها العرش في أيامها الأولى هو: من لا يعمل لا يخطأ.

شعار بقي بعيدا عن التطبيق حتى أزيل من ذاكرة الجمهور، وأصبح الجهد المبذول من العديد من المنتسبين يُستنزفُ في الكيفية التي يمكن أن ترضي الأعلى، والطريقة التي يجلب فيها الأدنى آمره إلى خانة السكوت عن ما يفعله من تجاوز ومخالفات، ومنافع يحاول أشراكه فيها ثمنا للسكوت في كثير من الاحيان.

2. سرقة الادنى.

سعى في حقبة التدافع الانتهازي الكثير من رؤساء الدوائر، والقادة إلى سرقة الجهد المميز للأدنى، وتسجيله لصالحهم علنا دون خشية من لوم المفصل الأعلى في سلم القيادة، الذي يسلك بعضهم ذات السلوك، فآمر الفوج الذي يقدم مقترحا لتعديل دفاعات موضعه التي تقع ضمن صلاحية الفيلق، لا يُرسل إلى الفرقة "أحيانا" الا ممهورا باسم آمر اللواء حيث الاستعداد الى شطب اسم صاجب المقترح، وتقديمه مشفوعا بديباجة ما يقدمه هذا المقترح من نفع عام إلى الحزب والثورة.

والباحث الذي يقدم بحثا لتطوير وسائل تقييم الاداء، يحشر الآمر / القائد أسمه مع أسماء الباحثين، إذا ما أراد أن لا يطمس حقوقهم، وكذلك يفعل رئيس الدائرة والوزير، وهكذا يتسارع الجميع في طريق ملتوي بهدف ضمان:

تقدير الأعلى، ومباركته التي تضمن البقاء.

الوصول إلى الحاكم، وضمان أعلى قدر من التكريم.

إثبات الولاء لقيادة الحزب والثورة، وتقليل احتمالات الشك، والاتهام.

انه بالمعنى العلمي الدقيق سلوك مخالف، لم يحدد القانون العسكري له عقابا، ولم تضع له السياسة التي تقـود العـسكر حـــــــدا، فأثر سلبا، علـى تقديم المبـادرة، ودافعيـة العمـل. ومع هذه السرقة التي تبخس حق الادنى بازدراء، شاع التسويف وعدم الاهتمام للنتائج. بسببها قل مستوى تقديم المبادرة في المؤسسة العسكرية بشكل ملحوظ، حتى شاع بين العسكر مقولة "لا تحرك ساكنا، ولا تسكن متحركا" أقتربت من أن تكون عرفا أو قيمة سلبية، سار على نهجه العديد من العسكريين بينهم قادة، فأصبح السلوك العام والاداء روتينيا، غير قادرا على تصحيح الخطأ الذي يحصل، ولا اقتراح الصحيح القادر على التطوير.

لقد أوجدت الإدارة القسرية لمرحلة ما بعد سبعينات القرن الماضي على وجه الخصوص تلك الخاصية، وتعود عليها الآمرون، والمسؤولون سلوكا يوميا يؤمن لهم غاية:

آ. التخلص من احتمالات اللوم لأن اللوم في قاموس تلك الإدارة القسرية في ظروف الحرب، يعني عقوبات تصل إلى الاعدام، أو الحرمان من المكارم التي اتخذت وسيلة إثابة للسلوك المطلوب من قبل الحاكم وجهازه التنفيذي.

ب. البقاء خارج دائرة الاتهام، لأن الاتهام والشك سمة موجودة عند جميع المستويات القيادية (بمستويات متباينة) انتقلت من الأعلى حتى وصلت إلى ادنى المستويات، والوقوع تحت طائلتها تعني الرقابة شبه المستمرة، وتعني نضوب فرص الترقي، وإقلال المكرمات، والعيش تحت مشاعر التهديد التي ترهق الجهاز النفسي، وتقلل مستوى المعنويات.

3. التحايل على الذات والآخرين.

عندما يعيش العسكري تحت التهديد والضغوط والخشية من التجاوز على الدولة والحزب، أو عدم الالتزام بتوجيهاتهما. وعندما يوضع في دائرة الشك بسبب عدم تقديمه الولاء، ويوضع تحت المراقبة لخرقه الضوابط والتعليمات، وانتقاده الأوامر، وذمه المسؤول، عندها يتعلم بالتدريج حيلا "آليات نفسية" لتحقيق بعض حاجاته الضرورية دون المساس بسياقات عمل الوحدة/ الدائرة التي يتواجد في محيطها، وخاصة فيما يتعلق باحتمالات العقاب، والنبذ، والحرمان من الترقية والترفيع. وحيله العملية من الناحية النفسية تتمحور في غالب الأحيان حول:

آ. كيفية التملص من الوقوع بالشرك حيث المناورة بتقديم الوعود بأن يعمل ما يراد منه أن يعمله، والكذب بتقديم الأعذار لموضوع لم يستطيع عمله. اذ يلاحظ أنه وكلما تعرض أو أقترب بعضهم من التعرض الى أنتقاد أو عتب المافوق أو العجز عن تنفيذ ما مطلوب، يبادر على الفور باعطاء الوعود بأن الواقع سيتحسن، وان المعنويات سترتفع، وان ما كسبه العدو في المعركة سيتم استرجاعه، قبل أن يناقش الاعلى بالاسباب التي أوصلت الوضع الى حاله هذا، وقبل أن يناقش عقله، بامكانية الاصلاح فعلا بما متيسر من امكانيات، من هذا يتبين أن ما يهم البعض غير القليل هنا، هو تجاوز الحرج الذي هو فيه من خلال تقديم وعود لا يهمه اذا ما عجز عن الايفاء بها لاحقا.

ب. فن الإفادة، والاستفادة حيث التوسع في استغلال الموقع الوظيفي في أعمال داخل الوحدة/الدائرة أو خارجها لصالح طرفين "هو أي المعني والاعلى"... مصطلح شاع تداوله في جميع دوائر الدولة ومؤسساتها بضمنها العسكرية، بشكل واسع، ليعبر عن أسلوب في التعامل المشترك بين الأعلى والأدنى بعيدا عن الضوابط العسكرية تسبب في أن يكون:

أولا. الوطن هو الخاسر الأكبر بعد أن يتوجه الربح إلى جيوب بعض المستغلين، وبعد أن يجرى الاستغلال والتلاعب من أجل رفع سقف الاستفادة على حساب كم الانجاز ونوع الأداء الذي

يفترض أن يتحول إلى ربح أو منفعة للمؤسسة العسكرية والدولة والمجتمع في آن معا.

ثانيا. الذمم مخربة، وخيانة الأمانة هي السائدة، لا رادع نفسي للخطأ ولا ضمير صاح من أجل التقويم، ما يهم هو الحصول على مكاسب آنية وإن كان تحصيلها على حساب غرق الوطن مفهوماً لم يعد محركا للمشاعر في أحلك الظروف.

ثالثا. الذات قد خسرت مصدرا قيميا للرضا عن أحوالها المهنية العسكرية، وحققت كسبا أو منافع شخصية تشبع حاجات آنية، وغرائز حيوانية. وهذا نوع من الاضطراب السلوكي، يجد من خلاله أن المناورة والكذب مسائل فاعلة ومطلوبة، والتحايل على الاعلى باقٍ، وان تغيرت أساليبه، أبعد من موضوع الإفادة والاستفادة، الى مستوى تغليف السلوك بشعائر وطقوس تنسجم ووضع الاعلى، وفي بعض الاحيان يحاول البعض كسر طوق التدرج الرتبي "القدم العسكري" السابق، والتسلق سريعا إلى المستويات الأعلى في غياب معايير التقييم، والتوصيف والترقية.

ان الانسان عسكري كان أم مدني قد أُقحمَ بدوامة التحايل للمحافظة على الذات.

وأصبح يتدافع مع الغير للوقوف في الصفوف الاولى.

ودخل في دوامة التخندق أملا في العودة إلى الماضي تهربا من استحقاقات الحاضر، وركب موج الجماعة على حساب الدولة، وسعيا لاستثمارها سلطة قانون بديل عن سلطة الدولة.

محاولات ومساعي وعبارات تترد في المحافل العسكرية أحيانا، وفي الوسط الشعبي أحيانا أخرى.

لم يأت فيها ذكر العراق وطنا ضامنا لاستمرار تحقيق الذات، والرضا عن الحال بطرق شرعية.

فتكونت عادات وقيم سلبية جعلت الذات الخاصة، والمصلحة الشخصية محور التحرك ومركزه على حساب الذات المهنية.

4. اضطراب التقييم.

تكونت مع بدايات تأسيس الجيش العراقي ضوابط للتقييم يتم التأسيس عليها في اسناد المنصب، والاختيار الى بعض المهام، وكانت منذ

البداية الشهادة أو التحصيل العلمي، والخبرة المهنية، وسني الخدمة، والإخلاص في العمل، والفترة الزمنية، والاختبارات، متغيرات في التعيين والترقية والاختيار لبعض المهام. وتكونت معه أيضا ضوابط فيها خيانة الأمانة، والتجاوز على المال العام، والإخلال بالمواطنة معايير لتوجيه العقاب.

وهكذا كان الأمر واضحا لمن يريد أن يعمل، ومن يود أن يستمر بالعمل، ولمن لا يريد الالتزام حتى مجيء حزب البعث العربي الاشتراكي إلى الحكم عام 1968، الذي شرع تدريجيا بتبديل كثير من المعايير، والضوابط العسكرية الدارجة بأخرى تنسجم وسياسة التبعييث التي أضعفت الدور الذي تقوم به المؤسسة العسكرية، نتج عنها أن يكون:

شخص أمي أو لم يكمل الدراسة الابتدائية ضابطاً يتطلب منحه الرتبة شهادة إعدادية، ودراسة مهنية بمتوسط ثلاث سنين.

ضابط صف في الجيش العراقي قبل عام 1968 وزيرا للدفاع يتطلب أستيزاره تأهيلا جامعيا ليفهم سياسة الدولة في الدفاع، كما حصل مع علي حسن المجيد، وحسين كامل المجيد.

خريج حديث من كلية الاركان آمر وحدة، وآخر من نفس دورته يمرر في التدرج ليستلم منصب آمر وحدة بعد أربع سنوات من تخرجهما.

منح رتبتين عسكرية أو ثلاثة مرة واحدة لضباط ركن، يُسَلمون قيادات فرق، وضباط من دوراتهم مايزالون آمري سرايا في نفس الفرق.

وهكذا تأسس في سياقات الإدارة العسكرية نهجا جديدا اعتقدته الحكومة آنذاك، نهج ثوري يخدم المرحلة، أخل تماما بالمعايير التي كانت سائدة، وكون سلوكا جديدا قوامه الرغبة في التسلق والتحصيل، والمبالغة في الحب والتأليه بدرجة استنزفت جل طاقة العسكري، وأبقته بما يشبه الآلة التي تعمل دون فرص لإدامتها ميكانيكيا، فأضحت عرضة إلى الاستهلاك السريع من عمرها الافتراضي، والتعويض في مجالها أصبح غير ممكنا الا عن طريق الاقتلاع من الجذور، والتبديل.

إن من أكثر المشاكل التي أخلت بمعايير التقييم والتدرج المهني في المؤسسة العسكرية العراقية ما يتعلق بعدم تيسر الفرصة إلى التهيؤ

والتمهيد للتغير من سياقات نظام "قبل التغيير" قلت فيه الضوابط والمعايير، وما تبقى لم يعد متوافقا جميعه مع حاجات المؤسسة العسكرية، وسبل العمل الاعتيادي لمنتسبيها، الى سياقات نظام جديد "مابعد التغيير" مطلوب فيه العودة الى الاسس والضوابط العسكرية، لان الخلل الذي حصل وسعة المخالفات التي حصلت كونت ارثا في مجالهما ثقيلا يصعب تجاوزه من الادارات الجديدة بالسرعة المطلوبة.

5. التدليس.

عندما يكون الإنسان هو ذاته حاكم وحكم، وهو الغاية والمبتغى، وبيده المصير في مجتمع تختل فيه القيم والمعايير، وتنشط فيه غرائز الذات، سيحاول أو يجتهد أخيه الإنسان بسبب الاضطرار إلى إشباع حاجاته للعيش والأمان عن طريق الترضية بشتى الأساليب المتاحة بينها التدليس، أي الظهور بالمظهر الذي يرضي المقابل وهو في الواقع غير المظهر الحقيقي.

وإذا ما غابت العدالة، واضطربت المقاييس، في أي مجتمع من المجتمعات البشرية، وأزداد الشعور بالتهديد سيتوجه من يعيش تحته أي التهديد إلى الكذب وسيلة إقناع لتحقيق الغاية التي يريدون، ولإشباع الحاجة إلى الأمان.

وحينما تشوه الصورة الرمزية للعسكرية في الذات الجمعية لتستبدل بصورة الحاكم الظالم فردا كان أم حزبا أم طائفة في أي بلاد من البلدان، سيحاول العموم بينهم العسكريين، أن يغالوا في المراوغة وسيلة لتفادي الضرر والحصول على النفع الخاص جهد الإمكان.

هكذا كانت الصورة في محيط الإدارة العسكرية العراقية لفترة زمنية استمرت أكثر من ثلاثين سنة، وهكذا كانت الاستجابات الخاصة بالمنتسبين في تعاملهم مع واقعها، حتى تعلم غير القليل من المنتسبين في الأعلى والأدنى الكذب على المحيطين بهم خشية أن يتعرفوا على تجاوزاتهم، ومساعيهم غير السوية، وكذلك على المسؤولين عنهم لتفادي غضبهم، فأصبح أي الكذب وكنتيجة حتمية لكثر الممارسة عادة شائعة الحدوث، وغير معيبة إلى المستوى الذي ابتكر البعض عبارة الكذب الأبيض آلية تبرير يتداولونها مع كل حالة حرج أو طلب تفسير، أو سعيا لمدارات مشاعر داخلية تحاول الظهور على السطح الأعلى

للذاكرة بين الحين والآخر، على العكس مما هو موجود في الأمم الأخرى التي تعد الكذب جريمة مخلة بالشرف.
وتعلموا بسببها وأتقنوا تلميع الصورة بغير استحقاق، وخبر الأعلى منهم كيفية الحصول على كل ذلك من بين معيته سبيلا لإشباع حاجته إلى التقدير، على العكس من السياقات العسكرية لاشباع الحاجة إلى التقدير على أساس الاعتراف الموثق بالكفاءة والاقتدار، وبالقياس الكمي للعائد، والإنجاز، وضمان الترقية الصحيحة، والحصول البيّنْ على الاستحقاق.
هذا، وإذا ما شاع الكذب "مخالفة" في السلوك اليومي في الدوائر والمؤسسات والوحدات، فيسكون حتما للتستر على مخالفات تتسع رقعتها، وعلى تجاوزات يمكن وجودها، وعلى نوايا غير سليمة في الاستغلال من المحتمل تحقيقها.
وإذا ما كثر تزويق الكلام في غير محله فقد يكون ضعفا في الشخصية، وقد يكون سبيلا للتجاوز على الصحيح، ورغبة في توريط الأعلى وجره إلى عمل ممكن أن يكون غير صحيح، أو تورية للتخلص من سلطة الأعلى عند التورط في غير الصحيح.
وإذا ما انتشرت المراوغة "مخالفة" أداة تعامل، ووسيلة تفاعل في العلاقات فستكون استخداماتها في الغالب لتفادي كشف محتمل لمخالفات موجودة لأصول العمل والقانون، أو لتمهيد الطريق إلى فعل مخالفات جديدة للضوابط والأصول.
إنها خصائص تدليس تخالف القيم والمعايير والضوابط باتت معروفة وموجودة يمكن تلمسها في السلوك بشكل واضح.

6. داء الذات المفرط.

جرت العادة أن تتعامل الحكومة في ذات الفترة المذكورة للعقود الثلاثة التي سبقت التغيير مع العراقيين بشكل عام والعسكريين على وجه الخصوص بأسلوب خاص يتأسس على الإفراط أو التطرف سواء بالعقاب لردع السلوك المضاد لها، أو بالثواب لتعزيز السلوك المرغوب منها، وبضوء رؤيتها هذه جعلتها أي العقوبة قاسية في شدتها بمستويات تفوق كثيرا فعل المخالفة، حسب التصنيفات المنطقية لتقويمها، وهي بفعلتها هذه ألغت التدرج التقليدي للعقوبة الذي أقرته القوانين، وأكدته

النظريات الشائعة لعلم النفس، وعلى أساسه شرعّت الإعدام عقوبة لعديد من موادها إلى المستوى الذي شاع الإعدام ميدانيا، وعلى مرأى من الجميع، وبمشاركة للمنتسبين في بعض الحالات. هذا وإذا ما تم النظر إلى الأمر في ظل عوامل تفاعل سلبية مثل:

آ. القضاء المسيّسْ غير النزيه الذي تتدخل في شؤونه السلطة التنفيذية بشكل واسع.

ب. التعميم الواسع لشمول الآثار السلبية للعقوبة على الأهل، والأقرباء حد الدرجة السابعة مع بداية الثمانينات، والدرجة الأولى منتصف التسعينات.

ج. العيش تحت ظروف قاسية من التوتر والخوف.

على أساسها وأمور أخرى يمكن القول أن هناك تصدع قيمي قد حصل في المجتمع العراقي لم تسلم منه المؤسسة العسكرية، تمثلت بعض جوانبه في الآتي:

آ. تناقص أو اختفاء واضح المعالم لقيم الدعم، والإسناد، والتكافل التي كانت موجودة في الوحدة والمؤسسة العسكرية.

ب. حلول قيم أخرى محل تلك التي اختفت بينها الإفراط بتفضيل المصلحة الشخصية على المصلحة الوطنية وعلى المهنية العسكرية.

وهذا مستوى من التصدع أو الانحراف يمثل مخالفة قيمية مثله مثل غيره من الانحرافات يحاول فيها المنحرف، أي المخالف أن يتوقف عن الاستمرار بالمخالفة مع أي تغير في الموقف العام أو في الظروف السائدة، يكون فيه متفرجا وراصدا جيدا لما يجري، ثم ومن بعده يقرر العودة إلى ذات السلوك أو يغير بالطريقة لتكون منسجمة والتغير الجديد، وهذا ما حصل في الأشهر الأولى التي أعقبت 2003/4/9، ومع بدايات اعادة التشكيل للجيش الجديد، الذي أخذ التوقف أو الترقب في مجال الانحراف فترة زمنية بسيطة ومن بعدها عاودت المخالفة الى الظهور بسعة أكبر.

ان مثل هكذا سلوك وممارسات، ومثل هكذا مخالفات أدى بالتدريج الى اتساع الهوة بين المصلحة الشخصية والعامة، وأدى الى أمتداد مشاعر الأنا، بالاتجاه الذي أخذت فيه حيزا أكبر في الذات الخاصة على حساب الذات العامة، حتى أصبح التفكير الشائع بين البعض من المنتسبين

يتأسس على ما يمكن أن يحققه الواحد منهم من منفعة، وتكررت حوادث قبل التغيير على وجه الخصوص قوامها:
الاتفاق مع جهات أجنبية على عقود تكون فيها الدولة والمؤسسة العسكرية خاسرة ملايين الدولارات لمجرد أن ينتفع فيها شخص عدة آلاف من الدولارات.
التنازل بسهولة عن حق الدولة أو المؤسسة العسكرية، لقاء الحصول على ثمن شخصي.
... إلخ من حوادث تؤكد أن هذه "المخالفات القيمية" أصبحت خاصية ملموسة في السلوك العام، زاد حصولها سوءاً، غياب المحاسبة الفوقية التي غرق أصحابها بنفس المخالفات، لذا شاهدنا غناً مفاجئا لبعض القادة العسكريين ولا أحد يسأل عن المصدر، وبسببها وظروف العيش الصعبة أتسع هامش المصلحة الشخصية بمستويات فاقت كثيرا المصلحة العامة حتى يمكن عده داءاً "مخالفة" أصابت الذات المهنية العسكرية، يمكنها الانتقال عن طريق العدوى والتقليد بسهولة.

6. عدم تحمل المسؤولية.

أديرت دوائر الدولة بينها العسكرية لثلاثة عقود متصلة قبل التغيير على أساس الفردية الدكتاتورية، فتعيين الموظفين بالدرجات العليا، وأحيانا المتوسطة في بعض الدوائر، والمؤسسات ونقلهم، وترقيتهم رهن بموافقة الجهات العليا أي الرئاسة.
وقبول الطلبة في الكليات العسكرية والامنية والدراسات العسكرية العليا يرتبط بموافقة الجهة الأعلى في الحكومة أي الرئاسة، والمكاتب التخصصية فيها ومنها تتسلسل الصلاحيات نزولا إلى الوزراء، والمدراء العامين، ومدراء الشعب والأقسام الذين لا يجدون في صلاحياتهم غير الترشيح، والاقتراح، وإصدار الأوامر الإدارية التي تساعد فقط على تمشية الامور الروتينية.
يضاف الى ذلك فإن الحكومة تعاملت مع عسكرها بنوايا غير حسنة، فعندما يستخدم الوزير أو القائد الميداني صلاحياته للتعامل مع مسألة ما وتكون النتائج على غير ما يرغب الحاكم أو الحكومة، فإن تفسيرها لسلوكه هذا ينحو على الأغلب منحا، فيه قدرا كبيرا من الريبة وافتراضا بانها مخالفة مقصودة، وبالتأسيس على هذا التفسير توجه

العقوبة، التي ستكون في معظم الأحيان قاسية وسريعة، يدفع المعني حياته ثمنا لها في كثير من الاحيان، وهو في الاساس غير معني بها، فتكون بسببها سلوك قوامه عدم تحمل المسؤولية، وفي مجالها تكون القيادات:

مترددة غير قادرة على ابداء الرأي الصحيح في الوقت المناسب.

مقيدة، غير قادرة على اتخاذ القرار المطلوب في الزمن المناسب.

وفيها مجدالها أيضا، يتصرف المنتسب بطريقة:

ينأى عن القيام بفعل لا يقع ضمن حدود الأمان التي يضع معاييرها الخاصة تبعا لخصائصه، وحالته النفسية، وشدة خوفه، والقلق الموجود.

يتفادى الدخول في مجالات جديدة للعمل لم يخبرها من قبل، اعتقادا منه باحتمالات تسببها قدرا من المساءلة، أو اللوم هو في غنى عن حصولهما وإن كان الموضوع بسيطا لا يستحق التوقف عند حدوده، أو خطرا تتوقف عليه أرواح الغير.

الفصل الخامس
المخالفة التعبوية

المخالفة ومعطيات القدرة القتالية
الخاصية المهنية الغالبة
الاجهاد القتالي تعبويا
أسباب الاجهاد
الاجهاد والطاقة النفسية
نواتج العمل دون اجهاد

المخالفة ومعطيات القدرة القتالية

حساب القدرة القتالية

أن قيمة أي جيش كأداة فاعلة في الحرب أو في السلام، تأتي من خلال نوعية وكمية معداته، مضافة الى مستويات فاعليته، بما يمكن أن يطلق عليها أصطلاح "القدرة القتالية" التي ترتكز على الأسس التنظيمية والفكرية والنفسية، وتتمثل مظاهرها بمزيج من الاداء والانضباط والتماسك والمعنويات والمبادرة والشجاعة والصلابة بالأستعداد للقتال حتى الموت. (مارتن فان كريفلد 1988).

من هذا يبدو أن العنصر الفاعل في تحديد مفهوم القوة أو القدرة القتالية هو الأنسان المقاتل، بتلك السمات التي أصبحت أهم الأهداف التي تسعى الجيوش الى تجسيدها في سلوك المنتسبين.

ان الانسان العسكري، ولانه أحد العناصر المهمة للقدرة القتالية، فأن أي خلل في حالته العامة عضويا أو نفسيا سينعكس سلباً على مستواها كما في الامثلة الآتية:

1. أضطراب الحالة النفسية، يمثل ضعفا بالمعنويات تقلل من مستوى الاداء العسكري، وبما ينعكس سلبا على القدرة القتالية.
2. قلة الضبط يمثل احجاماً عن تنفيذ الأوامر، وفشل في تحقيق المهام، وبما يقلل من مستوى القدرة القتالية.
3. تفشي مرض ما، بشكل عام وفي ظروف حساسة "قتال أو تهيؤ للقتال" يعني مصاعب في تنفيذ المهام، يحد كثيرا من مستوى القدرة القتالية.

العلاقة الترابطية بين المخالفة والقدرة القتالية

ان اتساع او انتشار المخالفات في وحدة من الوحدات العسكرية، وفي ظرف من الظروف يؤثر سلبا على القدرة القتالية، لان المخالفة سواء منها المتأتية من جوانب ضبطية أو من جنح وجنايات عادية أو من أختلال القيم فانها تعني:

1. نقص في الموجود الكلي للوحدة، والنقص الشديد منه يعني نقص في احد مكونات القدرة القتالية، وبما يخل في مستواها العام، لأن المخالف لابد وأن يعاقب، ومعاقبته احياناً تصل حد التحفظ على حريته الشخصية "أي السجن" وبذلك لايستطيع اداء مهام القتال في حالة الحرب أو البناء والتدريب في ظروف السلم، والمسألة هنا قد لا تتوقف تأثيراتها عند هذا الحد، ففي الحرب تكون أكثر تعقيداً، خاصة وان هناك مشكلة لما يتعلق بارتكاب المخالفة، ومقدار العقوبة الموجهة لسلوك مرتكبها وكيفية التنفيذ، اذ ان السجن في ظروف الاصطدام بالعدو يؤمن الابتعاد عن مصدر الخطر والاجهاد، وبذا لا تكون العقوبة الموجهة بالضد من سلوك مخالف قد ارتكب، رادعاً لارتكاب مخالفات أخرى مستقبلا كما هو مؤمل، أو مجالاً لتعديل السلوك كما هو مطلوب، بل قد تتسبب في حصول العكس، حيث رغبة البعض في ارتكاب مخالفة بهدف وضعهم في الحجز او السجن تجنبا للخطر، لذا تقوم المؤسسات العسكرية أحياناً بتأجيل تنفيذ انواع من العقوبات الى ما بعد انتهاء الحرب، واحيانا الى حين الحصول على فرص تهدئة واعادة تنظيم.
2. أن البقاء في داخل السجن سواء في الوحدة نفسها أو خارجها في السجون المدنية يعني عدم استفادة المومى اليه من برامج التأهيل والتدريب التي عادة ما تجري في الوحدة، وحتى في حالة عودته الى فصيله أو سريته بعد أشهر، ستكون هناك العديد من المصاعب في طريق اعداد مناهج خاصة به، لذلك يبقى متأخراً في ادراك أو أستيعاب دروس ومفردات التدريب اللاحقة، وهذا واقع يشكل ثغرة قد لا تكون آثارها ملموسة في الظروف الطبيعية، الا انها في التوتر والازمات والحروب ذات ابعاد ليست هينة، فوجوده على الحافات الامامية كعدد لرشاش متوسط سيكون مؤثراً فيما اذا لم يكن عارفاً بأصلاح توقف في الرمي، أو أن حمله لقاذفة ضد الدبابات لايجدي نفعاً امام تقدم دبابة بأتجاه خندقه وهو جاهلاً بأسباب عدم أنطلاق الصاروخ. وغيرها من الابعاد.

3. أن المخالفة تعني أخلالاً بالضبط، وتفككا في العلاقات العامة، واضطرابا بالمعايير القيمية. والضبط من أهم مستلزمات بناء الشخصية العسكرية القادرة على العطاء والتنفيذ في الظروف القاسية، وهذا الخلل لايشمل نوعاً معيناً من المخالفات، بل قد يتناول معظمها، فالسرقة تجاوز على ممتلكات الغير، وهي لا تعد من بين المخالفات الضبطية إلا انها ومن الناحية الاجتماعية خلل في الانضباط الداخلي للانسان وتحدي صريح للضوابط والاعراف القيمية السائدة في الوحدة، وكذلك الحال بالنسبة الى المخالفات المتعلقة باستخدام العنف اتجاه الزملاء، فهو عدوان على الغير يتسبب في ضعف العلاقات العامة بين الاقران، ويقضي على معالم التضحية وروح الجماعة، ذات الصلة المباشرة في القدرة القتالية:
فهل يستطيع أحد على سبيل المثال أن يتجرد من عواطفه وانفعالاته، ويكون محايداً تماماً في موقف يتطلب تقديم دعم أو اسناد بالنار لتغطية قفزة من موضع الى آخر لزميل اعتدى عليه قبل ايام او ساعات من وقوعه في هذا الموقف الحرج؟.
وهل يتنازل آخر عن مشاعره، ويسيطر على انفعالاته اتجاه آمر حضيرته الذي اعتدى عليه بالضرب سابقاً، وبدون مبرر وهو يراه ينزف دماً الان، نتيجة جرح، حال دون قيامه بأخلاء نفسه، وقد تتوقف حياته على سرعة نقله الى الخلف، من قبل ذلك المقاتل في ظروف يمكن ان تعرض الاثنين للخطر؟.

4. أن وجود المخالفات والأمر بتحديد عقوبات مناسبة لها، يعني تواجد جماعة من ذوي اتجاهات أو ميول متقاربة في مكان محدد "السجن" يشكلون قوة ضغط لا بأس بها على الذين ينظمون اليهم لقضاء فترات محددة، مما يؤدي الى التأثر ببعض الشخصيات المخالفة أو تعلم أساليبهم في تنفيذ بعض المخالفات "عن طريق العدوى" وقد يلمس المتتبعون لهذه المشكلة ان حجم هذه الشريحة قد يزداد خاصة مع افتراض عدم وجود امكانات للتأثير على المعنيين داخل سجن الوحدة، أو عزل الموجودين على ضوء حدة التحكم أو نوعية

المخالفة، وهنا تجدر الاشارة الى أن أي زيادة في عدد المخالفين يعني اقلال من القدرة القتالية للوحدة.

العلاقة الترابطية

تنفذ الجيوش مهامها في صفحات القتال على وفق أسس ومعايير وقياسات، يتدرب عليها المنتسبون لكي يصلوا الى مستوى تنفيذ قياسي، أي الحد الاعلى أو القياس الاعلى، ويتدربون منذ السلم تدريبات خاصة لكي يؤمنوا غاية التنفيذ بالقياسات الاعلى، لكن التدريب على الانسحاب كصفحة من صفحات القتال واعادة الممارسة على كل تفاصيله تعبويا على سبيل المثال، لا تكفي وحدها لضمان اتمام الانسحاب بهدف تعديل الموضع الدفاعي، لعدة كيلومترات تحت ضغط العدو في الوقت القياسي الذي تم التدريب عليه في السلم، نظرا لتدخل عوامل كثيرة منها ما يتعلق بالعدو ومقادير تفوقه، ونسبة الخسائر في صفوف المنسحبين، وطبيعة القيادة المشرفة على الانسحاب، وعوامل نفسية متعددة، بينها مستوى الاجهاد أو الاعياء الذي أصاب المنتسبين قبل واثناء عملية الانسحاب. عليه سيكون الانسحاب في بعض الاحيان مثاليا أو قياسيا بالمعايير التعبوية لهذه الصفحة القتالية، وقد يكون مضطربا، يخالف معاييرها التعبوية. لكن العسكر وفي بعض الاحيان لا يصفون التلكؤ والتأخير ولا يحسبون البطئ الحاصل، والتجاوز على بعض المتطلبات مخالفة، وعادة ما يردونها في تحاليلهم لمعركته اي الانسحاب الى العوامل التعبوية ذات الصلة بالعدو او السلاح، وقليلا ما يمروا على العوامل النفسية ذات الصلة بالاجهاد أو الاعياء خاصة النفسي الذي يشل القدرات العقلية التي تتحكم بالسلوك.

انها حقيقة بضوئها، سنحاول مناقشة الاجهاد كسبب لحصول تلكؤ في الاداء، وتقصير في تنفيذ المهام، يمكن تسميته لاغراض هذا العرض بالمخالفة التعبوية.

ان نتائج العمل العسكري سلما لاغراض التهيئة والتدريب والاستعراضات العسكرية، وحربا لاغراض القتال بكافة أشكاله في الحروب الاعتيادية أو في القتالات الخاصة مثل "حرب العصابات وأعمال مكافحة الارهاب" لا يأتي من فراغ، ولا يتم بشكل آلي

كمحصلة حتمية لتكرار بعض مفردات التدريب الفردي والاجمالي، بل ويأتي من عدة عوامل أهمها أداء العسكري في الساحة الذي يبذل فيه المنتسبون جهدا متميزا ومجازفة بالحياة غير أعتيادية، حتى تم وصف أو ربط هذا الاداء، أي السلوك بالجوانب الوطنية في كل جيوش العالم لنوعية هذا السلوك وأنعكاس نتائجه على مستقبل الدولة والمجتمع، وهو أداء في موقف محدد يأتي عادة وكما مبين سابقا من تفاعل عاملين رئيسين، هما:

الأول: العسكري، بمقدار ما يحمله من:

1. ثبات في الموقف القتالي.
2. دافعية لتنفيذ المهمة، واتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب.
3. تحدي الذات في المواقف الصعبة بالابتعاد عن المخالفة، وتحدي الخصم في الموقف القتالي التصارعي.
4. تحمل ضغوط القتال، والتصرف في حالتها بمستوى من الاتزان بعيدا عن المخالفة.
5. الصبر والمطاولة، أي الاستمرار في العمل بهمة عالية.
6. وغيرها من خصائص أخرى ذات صلة بالالتزام القيمي والانضباط العسكري.

الثاني: المحيط البيئي، بما فيه من جهود وأعمال عسكرية ذات صلة بالآتي:

1. التدريب، والتعلم لاكتساب المهارات والقيم العسكرية.
2. التوجيه المعنوي، لشحذ الهمم وابراز الخصائص الايجابية والسيطرة على السلبية، وايجاد قناعات بالمهام وبطبيعة الظروف، يخصص بعضها لزيادة التقبل وتقليل الميل الى المخالفة.
3. التوعية بالضد من آثار المحيط البيئي الجانبية، وتوجهات العدو النفسية، التي تحاول دفع المنتسبين باتجاه التلكؤ والتكاسل والحث على ارتكاب المخالفات.

4. الترفيه الخاص بتبديد الانفعالات النفسية الناتجة عن العمل العسكري، للتقليل من الضغوط التي تسهم في حصول المخالفة.
5. الاهتمام بالمنتسبين في كافة المستويات واشعارهم بانسانيتهم ومهنيتهم وقيمة ما يؤدوه وطنيا لرفع شأنهم، وأعتزازهم بذواتهم.
6. التعامل المهني الصحيح والتقدير المنصف للعمل العسكري في الزمان والمكان المحددين.
7. الاقتناع بالعمل والمهمة المؤداة أثناء القتال على وجه التحديد.
8. أعمال أخرى غيرها تقع في اثناء الخدمة، التي يشكل وجودها عنصرا فاعلا فيما يتعلق بتكوين دافعية في التنفيذ تقلل من حصول المخالفة.

لقد تكرر هنا لفظ الدافعية، وهو مصطلح عسكري، يتردد على ألسنة الضباط والآمرين، وهو كذلك مصطلح نفسي، يستخدم في المجالين للدلالة على العلاقة بين المقاتل ومحيطه، لا يتضمن اشارة الى نشاط محدد أو نموذج سلوكي معين، بل يستدل عليه من أداء العسكري في المواقف القتالية أو التدريبية المختلفة، الذي يحوي ضمنا على رغبة عالية في التنفيذ واصرار على اتمام ما مطلوب بدقة وسرعة عاليتين المستوى، وللدافعية في عملية تعلم المهارات العسكرية، واكتساب السلوك المهني القويم ثلاثة أبعاد لابد أن يضعها الآمرون والمدربون في اعتبارهم عند التعامل مع المنتسبين هي:

1. الدافعية تخرج الطاقة الانفعالية الموجودة أساسا لدى المنتسب، فتزيد من قدرته على التنفيذ.
2. تملي عليه الاستجابة لموقف معين "مطلوب" واهمال موقف آخر "غير مرغوب" أي تفرض عليه التصرف والاداء بالشكل الصحيح في الموقف المحدد.
3. توجه سلوكه وجهة معينة بهدف ازالة التوتر المصاحب، وبالتالي التقليل من احتمالات حصول المخالفة.

الخاصية المهنية الغالبة

إن النظر الى الاداء العسكري على أساس العوامل المذكورة في أعلاه يؤكد حقيقة مؤداها أنه من الصعوبة الاعتراف بوجود مقاتل صامد، شجاع، مندفع ملتزم غير مخالف بالمطلق، وفي كافة المواقف القتالية والظروف البيئية السائدة، وعلى نفس الاساس لا يمكن القبول بوجود آخر متخاذل، متردد، عدواني، مخالف، على طول الخط، وفي كافة الاوقات.

وعلى نفس السياق من غير الممكن وجود صفة غالبة لكل الخاصيتين، أي ان هناك من يتصفوا بالالتزام في الغالب العام، فيقال أن الملازم الفلاني ضابط ملتزم، وان العريف الفلاني ضابط صف منضبط.

وفي المقابل هناك من يتصف بالتردد وعدم المبالاة في الغالب العام أيضا، وعنه يقال أن الجندي الفلاني متردد أو مخالف، وان كانت هذه صفات سلبية مخجلة مهنيا، ويصعب ترديدها على مستوى العلن وفي كافة الظروف.

ان الثبات على أي من الخواص المذكورة "الالتزام، المخالفة وغيرها" عند شخص ما مسالة غير واردة على طول الخط، بسبب التغير الذي يحصل عادة في عامل البيئة المساهم بنسبة غير قليلة في أنتاج السلوك في الموقف القتالي. بمعنى أبسط ان المقاتل المعروف بشدة أندفاعه وشجاعته وانضباطه العالي كصفة غالبة، قد يصاب بالاحباط في موقف عسكري جديد، أحباط يستثير مشاعر العداء ويدفع باتجاه المخالفة بسبب:

1. تعامل الآمر المباشر غير الصحيح "تغير بيئي"، فيصبح عندها وبشكل مؤقت وعلى غير عادته مترددا أو غير جريئا الى مستوى الامتناع عن أداء السلوك المطلوب "مخالفة".
2. سماع خبر سلبي عن عائلته، ولم يجد تعاطفا معه من ذات الآمر والزملاء القريبين منه "تغير بيئي ايضا". يسحب الى قدر من العتب وربما الاحتجاج الذي يرجح كفة الامتناع عن القيام بفعل أو الاندفاع للقيام بفعل مخالف.

ان الاحباط الناتج عن الظرف البيئي الخاص بتعامل الآمر على وجه الخصوص يسبب بطبيعته قدرا من الاكتئاب الموقفي ثم الوهن السريع حد الاجهاد الذي يفضي الى أداء، تفوق سلبيته مجرد التردد اذ أنه قد يؤدي الى التخاذل عن القيام بالسلوك المطلوب "مخالفة".
أثناء القتال، قد يؤدي الاحباط في القتال الى الانسحاب من الموقف القتالي، اي الهروب أثناء المواجهة، وهو أشد أنوع المخالفة جرمية وتأثيرا.
كما ان العكس صحيح أيضا، يمكن أن يجد أحد المقاتلين في آمره الجريح الذي يتخذ منه قدوة دافعا قويا، لتحدي عدوه أنتقاما يدفعه للانتقال لا أراديا، من خانة التردد والخوف والمخالفة الى جانب الاقدام حد الشجاعة المفرطة.

الاجهاد القتالي تعبويا

يقصد بالاجهاد القتالي، حالة الخمول العام في نشاط العسكري الموجود في موقف يؤدي فيه بعض المهام التدريبية أو القتالية، مثل الرصد والتفتيش والحراسة والمداهمة والمتابعة، والاشتباك، وغيرها مهام أو أنشطة، قد يشعر فيها العسكري أحيانا بعدم الرغبة في الانجاز أو الاستمرار به أي ميل الى المخالفة، وأكثر منها قد يجد نفسه في أحيان أخرى عاجز "متمارض" أو عازف "مخالف" عن تأدية ابسط المهام الروتينية التي اعتاد انجازها في الأيام العادية بدون جهد يذكر، فينحو صوب ارتكاب المخالفة، وقد يرتكبها تحت تأثير الضغط، قسريا.
تأسيسا على ما ورد في أعلاه نجد على سبيل المثال أن المجهد غير آبه لوجود بندقيته في مكان غير مكانها الصحيح، فهي بالمعنى القيمي نوع من المخالفة، ولا يفكر في حملها او تغيير مكانها، وكأنه مصر على البقاء في موقف المخالفة، وغير مهتم بالجهاز أو الاداة التي يمسكها بيده سواء كانت تعمل أم لا، ولا يقوى على أداء الحركات الصحيحة لزيادة فاعليتها، كذلك لا يهتم لسيارة تأتي واخرى تذهب وهو في نقطة سيطرة على السابلة بالموضع الدفاعي.
ولا يعير أهتماما لشخص قادم بالمواجهة من جهة العدو، وهو في واجب الرصد بنقطة مراقبة في الساتر الامامي للموضع الدفاعي.
ان هذه وغيرها أخرى، معالم سلوك مخالف للضوابط والمعايير التعبوية، وعموما فان الاجهاد ذو الصلة بالمخالفات التعبوية يصنف نوعان:

1. الاجهاد البدني.

ذلك المستوى من التعب العضوي الذي يتسبب في مخالفة التعليمات، وعدم القدرة على تنفيذ المهام والاوامر المطلوبة بالشكل الصحيح، على الرغم من كونها ضمن القدرات الطبيعية له. وهذا اجهاد ينتج في الغالب من زيادة ضغط العمل عن الحدود المألوفة.

ومع هذا فان التجارب تبين أن التعب المتواصل لفترة زمنية متواصلة "نقص الطاقة البدنية" الذي يفضي الى سلوك الوهن، وقلة التركيز، وبطء الاستجابة، يمكن السيطرة عليه من خلال:

آ. اعادة تزويد الجسم بجرعات من الطاقة العضوية الاحتياطية المخزونة، عن طريق:

أولا. الذات. عندما يتنبه العسكري المجهد عضويا الى الخطر القريب، ويحاول من نفسه استنفار جل طاقته البدنية للتعامل معه، باقتدار كما تدرب في الاصل ليتجنب التقصير والمخالفة.

ثانيا. الحث الخارجي. من خلال تدخل الآمر القريب (آمر الحضيرة/ المفرزة/ الفصيل)، وأحيانا من الزميل القريب أي الموجود في نفس الموقف، الذي يمكن القيام بعملية حثه "العسكري" وتذكيره وتشجيعه على التنبه الى الخطر، بمستوى يساعده على أستنفار طاقته الاحتياطية، ليتجاوز الوهن، ويحسم الصراع الى صالح الكفة التي ترجح الانضباط.

ب. تقديم أستراحة بسيطة في الوقت المناسب، أي التوقف عن العمل لفترة محدودة تعيد الى العضلات المجهدة فاعليتها، كما هي في مستوياتها الطبيعية.

ج. التفاهم مع المجهد بدنيا وحثه على تجاوز اجهاده، لان العقل في حالته:

باق بكامل وعيه.

يدرك ما يدور حوله.

يعي عقبات القيام بأي فعل مخالف.

فيتجه بضوء هذا الوعي والادراك الى التصرف بشكل صحيح، يتجنب المخالفة.

2. الاجهاد النفسي.

حالة عامة من الخمول، والكسل، وبطئ الاستجابة، تفضي الى عدم الرغبة في الالتزام وضعف القدرة على الانجاز، وتجنب الخوض فيما يحدث، وكذلك عدم المبادرة للقيام بأي عمل واحيانا الامتناع عن القيام باي عمل.

ان الاجهاد النفسي في البيئة العسكرية القتالية نوع من الأعياء، أو الوهن الذي لا يعرف المعنيين أسبابه، وان عبروا عن حصوله ووصفوا حالته، ورصدوا نتائجه على الاداء والضبط والمعنويات.

مظاهر الاجهاد التعبوي

ان ما يهم العسكر في قتالهم بالشكل الذي يؤدي الى تنفيذ الهدف المطلوب تعبويا "التفوق على العدو" هو النوع الثاني من الاجهاد، اي النفسي، الذي لا يكون فيه العقل مجهدا، دون تأشير علامات اجهاد على الجسم، وفي حالته يصعب على المجهدين نفسيا ادراك الواقع من حولهم، كما يصعب عليهم تقبل النصح والتدخل الخارجي الا من ذوي التأثير الكبير وفي بعض الاحيان الخاصة والمحدودة، ثم يكونون غير قادرين على تقدير عواقب أرتكاب المخالفة عقليا، وعلاجه بطبيعة الحال لا يأتي من مجرد الاستراحة التي تمنح بعد انجاز المهام، ولا من الاجازة الدورية أو المرضية الضرورية في غالب الاحيان، بل ومن خلال جملة اجراءات نفسية ومعنوية، تصل في بعض الاحيان الى اخلاء الوحدة من مواقعها القتالية واعادة تأهيل منتسبيها نفسيا على وفق اجراءات تتطلب جهدا تخصصيا من المقر العام.

ان تقدير طبيعة الاجهاد والعلاج اللازم لتجاوز حالاته، مسألة تحتاج أولا الى التعرف على مظاهره التي تتمثل في الآتي:

1. الخمول.

كسل لا يَقدم بحصوله المنتسب على القيام بفعل ما من نفسه، وان أُمر بالقيام به سيكون التنفيذ بطيئا، متلكئاً، مخالفا للقياسات التعبوية، فاذا كانت مثل هذه القياسات التقليدية للتقدم من مكان التشكيل الى خط الشروع في ظروف مناسبة لسرية مشاة على وفق الخطة الموضوعة،

بحدود العشرة دقائق مثلا، ففي حالة الاجهاد الجماعي، قد تستغرق الفترة ضعف هذا الوقت أو أكثر، عندها يصل المقاتلون الى الخط الذي منه يشرعون بهجومهم أكثر انهاكا، بالاضافة الى انهم سيتعرضون الى الخطر بمستوى مضاعف أو أكثر من الضعف في بعض الاحيان.
ان التكلم عن الاجهاد القتالي الذي يحصل على مستوى الجماعة أي الحضيرة، الفصيل، السرية، الوحدة صعودا الى مستوى الجيش وربما القوات المسلحة، يدفع الى التنويه عن أن الجيش العراقي قد مر في تاريخه بحالات اجهاد جماعي عديدة، فخسارة معركة المحمرة في الحرب العراقية الايرانية، كونت اجهاد نفسي أصاب القوات المسلحة جميعا، ومعارك الفاو عام 1984 أصابت الفيلق السابع بالاجهاد، وهجوم الحلفاء على القوات العراقيية التي اتخذت لها مواضع دفاعية في الكويت عام 1991، قد أصاب عموم القوات المسلحة بالاجهاد النفسي الحاد، الذي نتج عنه ليس مخالفة الضوابط التعبوية في ساحة المعركة حيث التفكك التنظيمي والانسحاب الفوضوي، بل وتصدع البنية التحتية للقوات المسلحة، واقع تكرر عام 2003، اسهم في انهاء القوات المسلحة العراقية بحلها، واعادة تشكيلها من جديد.

2. التشتت الذهني.

سرحان التفكير، بأمور بعيدة عن مستلزمات الفعل العسكري المطلوب تأديته تعبويا، اذ ينشغل العقل بأفكار بعيدة عنه في غالب الاحيان، فعلى سبيل المثال أن المجهد في حالة الدفاع، وعندما يشتد القصف المدفعي المعادي على مواضعه، تجده منشغلا فكريا، بوضعه الخاص، وباجازته الدورية التي ينتظرها، خلافا لمستلزمات التفكير المنطقي بالقصف القائم وبضرورة الانتقال من مكانه المكشوف الى آخر مستور ليضمن حياته، كما تقتضي الاجراءات التعبوية في مثل هكذا وضع، لأن في حالات التشتت:

أ. يغيب المنطق والاستدلال السليم من التفكير الآني.

ب. تنحسر القدرة على اختيار البدائل.

ج. يتصرف المُجهد أحيانا بشكل غير عقلاني.

د. لا يحسب الاثر السلبي لتصرفه على نفسه ومجموعته والصالح العام، فقد لايعير أحد أفراد دورية قتالية في الارض الحرام وأثناء سيره في الامام مثلا، اهتماما لتغير في شكل بقعة معشوشبة على الطريق الذي تسلكه الدورية، فيصطدم قدمه بلغم نصبه العدو، ويقضي على نفسه، وربما على باقي أفراد الدورية، ويتسبب بفشل مهمتها.

3. هبوط المعنويات.

تدني مستوى المعنويات وتغير المزاج الى الاسوأ، يكون فيه المقاتل متشائما من الوضع الذي هو فيه، سريع الانفعال على من حوله، قد يلجأ الى ارتكاب المخالفة لاسباب بسيطة.

ان الذي تضعف معنوياته أثناء القتال أو عند الاستعداد له أو في الظروف العادية، يتجه سلوكه ومشاعره الى:

آ. زيادة الميل في داخله الى عدم الاختلاط بالاخرين ضمن الجماعة التي يتواجد فيها.
ب. عدم الأخذ بآراء الآخرين من أعضاء الجماعة، وان كان تنبيها عن مخالفات باتت تتكرر.
ج. تفضيل البقاء على انفراد، مع تجنب الكلام والتحاور.
د. يرد باختصار، غير كافٍ، عندما يجد نفسه ملزما للاجابة على استفسار أو طلب ما.

4. تدني مستوى الاداء والمهارات.

تدني مستوى الانجاز، ونوعه، اي أن التنفيذ يكون أما غير مكتملٍ يحاول فيه المعني الانتقال من حال الى آخر قبل أن يتم الاول، أو بطيئا يأخذ وقتا يزيد كثيرا عن الوقت القياسي أو انه غير صحيحا.
أن بعض الاعمال والاختصاصات والمهام الفنية العسكرية، مثل السياقة، والرمي، والمخابرة، وغيرها مهام تحتاج الى مهارات عالية، تقل مستوياتها عادة في وجود الاجهاد خاصة في درجاته الشديدة، بسبب عدم التوافق بين الجهاز الحركي والادراكي، مثل التنسيق بين العين والاطراف في بعض المهارات، فسائق العجلة المدرعة، يحتاج

أثناء تقدمه ضمن رتل مدرع أن تتوافق حركة قدمه في الضغط على دواسة الوقود أو الموقف سريعا، مع اصابة عجلة قريبة من عجلته بصاروخ ضد الدروع أطلقه العدو، أو مع حفر أوجدتها انفجارات القصف المدفعي حديثا على الطريق، وعند التباطئ في عملية التوافق نتيجة الاجهاد، ستدخل العجلة في حفرة لتعيق تقدمها أو تتسبب في عطلها، او تتعرض الى صاروخ معادي من نفس الجهة التي أنطلق منها الصاروخ الذي أصاب العجلة المجاورة قبل لحظات.

5. قلة التركيز.

ان قلة أو ضعف التركيز على المتغيرات أو المثيرات الحاصلة في الموقف القتالي أو التدريبي، أحد نتائج الاجهاد المؤثرة، وفي حالتها يكون المنتسب أشبه بغير القادر على:

أ. ادراك ما في الموقف من أحداث ميدانية.

ب. الاستجابة لها بشكل مناسب.

فعامل الرادار قليل التركيز بسبب الاجهاد، لا يتمكن من التعرف على الاهداف المعادية التي دخلت ضمن حدود منطقة عمله لوقت محدد، وقد لا يتمكن من تحذير مراجعه بوجودها كما هو مطلوب.

كما ان الطيار المجهد، قليل التركيز، لا يتمكن من التعامل مع عدة أهداف جوية باتت في مرماه.

ان قلة أو ضعف التركيز قد يصاحبه أحيانا، قدر من النسيان لبعض الاوامر والتوجيهات المطلوبة، الشفوية منها والمكتوبة، وفي الحالة الاخيرة وأثناء القتال الداخلي مثلا، وعندما يزود الجندي بنقطة التفتيش غير الثابتة بقائمة اسماء أو ارقام سيارت، ويطلب منه التدقيق في مرورها عليه، قد ينسى المُجهد وجود قائمة بالاصل أو ينسى بعض المدرجين عليها، وعند قرائتها على عجل قد تفوته أسماء مطلوب القاء القبض عليها.

6. اضطراب الوعي.

الوعي، حالة نفسية يكون فيها العقل بحالة ادراك، وتواصل مع محيطه الخارجي، عن طريق منافذه التي تتمثل بالحواس الخمسة، وهو من

نواح فلسفية مقدار المعرفة لدى الانسان، والعمل بها في المواقف الحياتية.
فاذا ما أضطرب "الوعي" بالنسبة الى العسكري، عندها لا تُوصّل حواسه المثيرات الموجودة في الموقف القتالي أو التدريبي بشكل صحيح، فيكون متجها دون قصد الى وأحدة أو أكثر من مناحي السلوك المبينة في أدناه:

أ. القيام بأعمال وردود فعل غير صحيحة.

ب. التصرف بطريقة لايفهم عواقبها، كذلك لا يدرك طبيعتها، ولا يعي الاخطار الناجمة عنها.

ج. عدم اعارة الاهتمام الى تحذيرات الحيطة والحذر والمعلومات التي ترد عن العدو ونواياه القائمة. وغيرها أخرى تصنف في مجال المخالفات.

7. فتور الهمة.

الهمة من وجهة النظر النفسية هي تعبير عن الباعث الداخلي "النفسي" على العمل، وتوصف بعلوها أو فتورها، وفي حالة حصول الفتور عند المقاتلين، سيحصل الآتي:

آ. انحسار سريع في الحماس القتالي أو التدريبي.

ب. نضوب الطاقة المحركة الى المستوى الذي يصبح فيه المتبقي غير كاف لأداء الفعل القتالي، وتنفيذ الاوامر بالشكل المطلوب.

ج. عدم الاهتمام أو اللا أبالية، حيث لا ينظر المصابون بالفتور نظرة مهنية ايجابية الى:
آمريهم ولمن حولهم.
سمعتهم أو مهنيتهم العسكرية.
الدوافع الوطنية التي يقاتلون من أجلها.

د. صعوبة القيام بأكثر من نشاط في آن معا، فعندما يقوم أحدهم يعاني من الاجهاد وفتور الهمة، بتنفيذ مهمة تفتيش ركاب سيارة مارة على طريق يحرسه في حالة القتال الداخلي على سبيل المثال، سيحاول التركيز على المواد المحرمة أو الممنوعة فقط، ولا ينتبه الى:
اشارات يتبادلها ركاب مشبوهين.
أصوات تنجم عن تحريك مادة من مكانها الى آخر.

تغيير مكان الجلوس من قبل أحد الركاب، لتفادي تفتيشه، وهو يحمل مواد خطرة.

8. الاهمال.

المجهد في الغالب مهمل لقيافته وهندامه، ومهمل أحيانا للحاجات الضرورية الى بقاءه قويا صامدا، مستقرا من الناحية النفسية، فنرى قيافته تصبح بالتدريج غير نظيفة أو غير نظامية، وهندامه لا ينسجم ومتطلبات الحياة العسكرية، فقد لا يحلق شعر لحيته، فيصبح بوضعه هذا مخالفا للضوابط والمعايير العسكرية السائدة.

9. ضعف القدرة على الربط المعلوماتي.

ان جميع المهام العسكرية، تحتاج الى عملية ربط بين المتغيرات الموجودة مع المعلومات المحفوظة في الذاكرة، لتتم عملية ادراك ماهيتها وطبيعة تنفيذها، فالعمل على نصب كمين على طريق قد يسلكه العدو في الحروب الجبلية، يحتاج آمر الكمين والمشاركين فيه الى الربط بين مرور شخص يحمل ناضور بشكل منفرد، وبين المجموعة المعادية التي يكمنون لها، ويدركون بضوء عملية الربط أن الشخص المار أولا كان فرد استطلاع لتلك المجموعة.

أما في القتال الداخلي ضد الارهاب، فيحتاج الجندي الواقف في نقطة التفتيش القائمة ليلا على سبيل المثال، الى الربط بين وضعية سيارة تعطي اشارة ضياء متقطع تقترب منه بسرعة، وشخصان قادمان أحدهم في الجانب الايمن من الشارع وآخر في الجانب الأيسر، يحمل كل منهما بيده شيئا غير واضح المعالم، وبين احتمالات القيام بمهاجمة النقطة.

انه ربط في كل المواقف المذكورة وفي حال أكتماله سيؤدي الى زيادة الانتباه والتهيؤ والتحذير لاتخاذ الاستجابة القتالية الملائمة. والعكس وارد جدا في حالات الاجهاد، لان الانتباه سيكون بأقل مستوياته، والاداء الناتج سيخالف السياقات التعبوية باحتمالات عالية.

خلاصة القول في مجال المظاهر ذات الصلة بالاجهاد، أن وجودها يكاد يكون متداخلا أو متشابها في بعض الاحيان، فالمهمل بسبب الاجهاد نجده كسولا، غير قادرا على التركيز والربط المعلوماتي، ونجد تآزره الحسي الحركي ليس بالمستوى المطلوب، وهو في الاصل فاتر الهمة، ومعنوياته بمستويات متدنية، كذلك قد يكون وعيه مضطربا، وذهنه

مشتتا، ومزاجه عكرا، وبالنتيجة أداءه ضعيفا، توصف حالته العامة بالمجهد نفسيا.
اما تقديم المظاهر بالصورة التي قدمت على شكل نقاط كما في أعلاه، فقد جاء لاعتبارت نظرية، تُسهل عملية ادراك طبيعتها بشكل مفصل.

أسباب الاجهاد

ان الأسباب المسؤولة عن حصول الاجهاد خاصة النفسي عديدة، وهي من الناحية النظرية يمكن تقسيمها الى قسمين:

1. الاسباب العامة.

تلك التي تتعلق بالوضع العام الذي يعيش فيه المنتسبون، ويؤدون تحت وطئته مهامهم العسكرية، مثل:

أ. الضغوط المحيطة.

مصاعب الحياة وضغوطها التي يصل رذاذها المتطاير اليهم وهم في بيئتهم العسكرية، فانقطاع الكهرباء المتكرر على سبيل المثال في البيت والثكنة العسكرية، يشكل ضغطا حياتيا يمتد تأثيره على الجميع، وحصول تفجير في مكان ما من بغداد أو في مدن العراق الاخرى يشكل ضغطا عاما، وهكذا ضغوط تتكرر وتتعدد اتجاهاتها، تشكل أكثر أنواع الضغوط تأثيرا وانتاجا للاجهاد النفسي العام على العسكريين، والناس العاديين على حد سواء.

ب. مؤثرات السياسة.

ان الوضع السياسي وسط الشارع الذي يحرسه المقاتلون ابان الازمات والحروب الداخلية، يلقي بضلاله عليهم وهم يؤدون واجباتهم.

اذ يتاثر البعض منهم حتما بما يسمعوه ويشاهدوه من سجالات، بعضها على سبيل المثال غير وطني وبعضها الآخر منحاز، يثير في نفوس المتلقين من العسكريين والمدنيين احتجاجات رفض لما هو مطروح أمامهم، يؤدي تكرارها مرات ومرات مع وجود عوامل اخرى في محيط يعيشون وسطه الى حصول حالات اجهاد.

ج. الحرب النفسية.

ان الحرب النفسية التي تنتشر وسائلها في محيط المقاتلين، ويكثر الاعلام أحد أدواتها في ظروف العراق ما بعد التغيير عام 2003، الى المستوى الذي أصبح العامل الاول في التأثير سلبا على المقاتلين والسعي الى:

عزلهم نفسيا عن دولتهم من خلال تشويه وتحوير الحقائق.

التأثير على أدائهم ومعنوياتهم، ومستويات التزامهم بالضوابط والتقاليد العسكرية.
ان المساعي المذكورة وان كانت في غالبها مبطنة، فقد يلاحظ أن بعض الفضائيات قد اتخذت خطوات مقصودة للتأثير على معنويات العسكر وعلى حالتهم النفسية من خلال برامج معدة، واخبار مفبركة وغيرها[7]. ومن بعد الاعلام جاءت الاشاعات، بفاعلية التأثير، اذ أنها باتت تنتشر في المجتمع العراقي غير المستقر بشكل واسع، وبات الجميع يصغون اليها دون تمحيص.

[7]. ان العسكري في ساحة العمل القتالي على وجه الخصوص يواجه أحيانا مواقف صراع (اقدام – احجام) يريد فيها أن يعمل عملا ما، وبنفس الوقت لا يريد أن يعمل هذا العمل... صراع النقيضين يحتاج صاحبه أحيانا الى تدخل بعض العوامل الخارجية لحسمه الى صالح كفة أحد الطرفين. وهو المجال الذي ينفذ منه الاعلام المعادي بتوجهاته وبرامجه، التي تدفع المتلقي العسكري الى أن لا يعمل بشكل صحيح أو يتوانى ويتباطئ في عمله دون وعي منه، وهو بالنتيجة سلوك مخالف.

د. الوسط الشعبي.

العسكري موجود عادة بين المواطنين، يعمل في بعض أنواع القتالات الداخلية، على تفتيش المواطنين وتنظيم سير مركباتهم، وقد يداهم ارهابيين أندسوا وسطهم، ولأنه بينهم أو قريب منهم، سيضطر أحيانا الى الاستعانة بهم، وسيضطرون هم الى الاستعانة به. الأمر الذي جعله يحتك ويختلط بهم بشكل لم يكن موجودا في باقي أنواع القتال، وهو نوع من الاختلاط يؤدي الى أن يتأثر العسكري بما حوله من آراء ومواقف بعضها سلبية يحملها المواطنون البعيدون عن طبيعة المهمة التي يؤديها في موقعه، وتأثيرها يأتي من نفس المنافذ التي تكون موجودة في العقل الانساني، خاصة في مواقف الصراع المذكورة، وكذلك من خلال التاثر المباشر بالمحيط النفسي الذي يعيشه الجمهور، حيث الانتقال السريع لبعض الآراء والتوجهات التي يكون بعضها في غير صالح العسكر والقوات المسلحة.

ان تكرار تكليف المنتسبين في الواجبات ولفترات زمنية طويلة، في نقطة تفتيش بأحد الشوارع الرئيسية في القتالات الداخلية مثلا، يتسبب في زيادة درجات الاجهاد البدني، وفي حالته يكون عقله مفتوحا لتقبل نقد آتٍ من مواطن مار بسيارته في هذه النقطة، بعد أن تأخر مروره منها نصف ساعة بسبب شدة الزحام في نهاية يوم عمل، ومقدار النقد الآتي يلتقي مع معطيات الاجهاد البدني والنفسي، فينتج انفعال سلبي لدى المنتسب قد يسحبه باتجاه التباطئ في عمله، والملل من عمله، وربما أنتقاد مراجعه العسكرية، وهذه جميعها عوامل انتاج للمخالفة التعبوية.

ه. الفساد الذمي.

ان الفساد بكافة أشكاله آفة تنهش في تفكير المقاتلين، الذين وان لم يبدوا الاهتمام الى بعض حالاته ظاهريا، الا أن الواقع يشير الى العكس من هذا، حيث التأثر السلبي بأبسط أشكاله وان كان تفضيلا لجندي في التعامل على آخر على أساس القرابة مثلا، أو الحصول على مبلغ بسيط من المال لقاء منح اجازة أو ابتزاز مواطن في موقف معين، وغيرها أمور وان ينظر البعض الى بساطتها بالمقارنة مع أشكال أخرى تتعلق بالعقود والمال العام، لكن جميعها تصنف من الناحية القانونية أعمال

فساد، تفسد الحالة النفسية العامة للمقاتلين، وتقربهم أكثر من حالة الاجهاد وارتكاب فعل المخالفة اذا ما توافرت معها عوامل أخرى مساعدة، اضافة الى انها تهيء منفذا لاستدراج المقاتلين الى التجاوز وعدم الالتزام بالمعايير والقيم العسكرية.

و. المحيط غير الملائم.

ان تناول الاسباب العامة، يلزم والحالة هذه الاشارة الى وجود عوامل أخرى تساعد ولو بشكل غير مباشر على حصول الاجهاد التعبوي، فعند العمل والقتال بين الجمهور "داخليا" يكون هناك تأثير نسبي للضوضاء، وازدحام السير، وردود الفعل الناقدة، وفي ظروف القتال الاخرى خارج المدن والجمهور يمكن أن تكون تقلبات الطقس عامل تأثير.

فالحرارة الشديدة، تزيد التعرق، فتقلل نسب الاملاح في الجسم، الامر الذي يسبب بعض حالات الوهن والتوتر.

الغبار الشديد، يؤثر على الجهاز التنفسي، عندما يقل الاوكسجين الداخل الى الجسم، الامر الذي يقلل من النشاط ويزيد التوتر أيضا، وهكذا لباقي أنواع الظروف الجوية.

2. الاسباب التعبوية.

الاجهاد عادة لا يحصل كنتيجة حتمية لسبب واحد من الاسباب، وانما يحصل بسبب تداخل عدة منها، تكون موجودة في الموقف، بينها وبالاضافة الى الاسباب العامة، هذه التي تتعلق بمجريات العمل القتالي مثل:

آ. تكرار الواجبات.

ان الانسان المدني والعسكري يتحمل جهد عمل ما لفترة زمنية محددة، وهي وان تختلف من واحد الى آخر، الا انها مسألة قدرة تنطبق محدوديتها على الجميع، ومع هذه المحدودية، فهناك معدل وسط لمستوى التحمل لابد أن يعرفه العسكر عند تحديد المهام.

فساعتين من أعمال الرصد في نقطة مراقبة بالموضع الدفاعي على سبيل المثال، مسألة تحمل وسط مقبولة، عليه تكون الاربعة ساعات المستمرة، تزيد عن الوسط بكثير، ولا يمكن أن يتحمل وقعها كافة الجنود، لانها تفوق قدرة الغالبية أي الوسط، وبالتالي سيسبب اللجوء

اليها بشكل متكرر قدرا من الاجهاد، وان جاء تحت بند الضرورة في بعض الاحيان، خاصة عندما يقل الموجود، وتزيد الواجبات ويحتم الموقف التعبوي، أو فيما اذا جاء لمقتضيات المصلحة العامة في أحيان أخرى.

ب. قلة الاهتمام.

ان اهمال المقاتلين، وعدم الالتفات اليهم والى مشاكلهم من قبل القيادات الاعلى ومن قبل الامرين، يجعلهم في وضع نفسي هش، تنفتح فيه منافذ التقبل النفسي بشكل أوسع لتوجهات الحرب النفسية المعادية، وتحسس أخطاء المحيط من حولهم، وهو وضع قد يُوجد في داخلهم حالة عدم اهتمام مقابل، ويدفعهم الى كثر التفكير بالعوامل والاسباب التي دفعت بعدم الاهتمام بهم، الامر الذي يستسبب في اجهادهم نفسيا، عند تواجد عوامل وأسباب أخرى.

ج. التمييز في التعامل.

تجري الاشادة بالمقاتل من قبل آمريه عندما يؤدي عملا بمستوى أداء جيد او ينفذ مهمة بشكل تام، وهي مسألة طبيعية في الحياة العسكرية وغير العسكرية، الا أن غير الطبيعي هو تقديم الاشادة في موقف لا يستحق فيه المقاتل هذه الاشادة، عندها سيتسبب في اضعاف معنويات الآخرين، ويعرضهم الى الوقوف بالضد من صاحب الاشادة نفسيا.

كذلك الحال عند تقديم اجازة نزول الى البيت لمقاتل لا يستحقها في الواقع أو أن الظرف التعبوي لا يسمح بمنحها عمليا، فان منحها سيثير في نفوس الآخرين ردود فعل معنوية سلبية.

أما الاعفاء من الواجبات، والسماح بالنزول والاجازات الطويلة للبعض دون البعض الآخر، فهي الاكثر تأثيرا على الحالة النفسية لعموم المقاتلين التي تنتج الاجهاد.

ه. ضعف التأهيل.

ان للانسان قدرة محدودة على تحمل مستلزمات وأعباء وضغوط الحياة بكافة أشكالها كما مبين في أعلاه، والعسكريون بشكل عام يختلفون فيما بينهم لما يتعلق بالقدرة على التحمل، الامر الذي يدفع مراجعهم الى اخضاعهم لبرامج تأهيل خاصة برفع متوسط القدرات، بهدف جمع أكبر عدد منهم قريبا من هذا المستوى "المتوسط" لما يتعلق بخدمتهم

في السلم حيث الحاجة الى تنفيذ بعض المهام الخاصة بالحراسة، والادامة والتكيف واكتساب المهارات وغيرها، وفي الحرب حيث الضرورة لتأدية الواجبات ذات الصلة بالمراقبة، والرصد، والحماية والدوريات، وأعمال القتال.

ان تأهيل المنتسبين من خلال التدريب بالشكل الصحيح على جميع الحالات المذكورة وفي كافة الظروف، يكون عندها المنتسب قادرا على التنفيذ بالمستوى المطلوب، والاستجابة للضغوط بشكل ملائم دون الحاجة الى التفكير أي الاستجابة لا ارادیا، دون التعرض الى الاجهاد البدني أو النفسي. أن التأهيل الذي في محصلته، اكساب الجندي مهارة التعامل مع الموقف بالشكل الصحيح والسريع، والتكيف للحياة العسكرية، والتطبع على وقعها الجاري، اذا لم يكتمل بالقدر الملائم والكافي، سيضطر المقاتل الى التفكير، وربما التردد باي فعل يريد تنفيذه قبل الاقدام عليه سواء في استخدام السلاح أو المعدة التي بحوزته، وكثرة التفكير والتردد، واحيانا الحيرة، تسبب قدرا من التوتر الذي يعد من أهم العوامل المؤدية الى الاجهاد، ومن ثم الى ارتكاب بعض أنواع المخالفات بينها التعبوية.

و. وسع المسافة النفسية.

ان الآمر وعلى وفق المفهوم النفسي للقيادة وكما ورد سابقا، يمثل وضعا ينبغي أن تكون المسافة النفسية بينه وبين المنتسب، الخاضع الى سلطته، معقولة، أي أن يكون: حاضراً، موجهاً، داعماً، ناصحاً، ومن ثم قدوة في التضحية والالتزام، وعلى أساسها لابد وان يكون أي الآمر المباشر:

أولا. قريب من جميع المنتسبين، يصلهم في الوقت المناسب، ويتواصل معهم في جميع الاوقات.

ثانيا. يتعاطف معهم عند الحاجة.

ثالثا. يحس بهم عندما يشعرون بالتوتر والقلق.

رابعا. يعرف اصولهم، ومناطقهم، وهواياتهم، ومعاناتهم.

هذا واذا لم يكن كذلك قريبا، متعاطفا، حاسا بمشاعر الغير عارفا بهم ستصبح المسافة النفسية المفترضة بينه وبينهم بعيدة، لا يستطيع خلالها، وفي الظروف الصعبة على وجه الخصوص أن يكون مصدا

للتأثيرات الجانبية التي تستهدف حالتهم النفسية. واذا ما أنتهت أو تصدعت المصدات فان الاجهاد سيكون قريبا جدا من المنتسبين، وستكون المخالفة سلوكا هو الاقرب الى الحصول.

محصلة القول يعد الاجهاد حالة نفسية، يصاب بها الانسان في حياته العامة، بسبب ضغوط الحياة، ويصاب بها المقاتلون، ابان خدمتهم العسكرية بسبب ظروف الشد والتوتر والقتال. تزداد تكراراتها وشدتها في أوقات الازمات والحروب وعند التهيؤ لها، لا يمكن ان يسلم من حصولها جيش من الجيوش في عالم اليوم وفي الازمنة السابقة، لكن تأثيراتها على الاداء وانتاج المخالفة متباين من جيش الى آخر. فالجيوش المدربة جيدا على استخدام السلاح، وعلى تحمل ضغوط الحرب، تقل فيها نسب الاصابة بالاجهاد، وتقل فيها نسب المخالفة، ويقل تأثيرهما معا على الاداء العام. والجيوش التي تحسن ادارة منتسبيها معنويا، وتتجه الى تحصينهم نفسيا من توجهات الحرب النفسية المعادية، تقل فيها نسب الاصابة بالاجهاد القتالي. والعكس من هذا وارد أيضا، فان أحتمالات الاصابة يمكن أن تزداد في حالات، لا يتوقعها الضباط والامرين، مثل:

1. عدم اعارة الاهتمام لمشاعر المنتسبين، وبما يشبع حاجاتهم النفسية الى التقدير والاحترام وتحقيق الذات.
2. الاخلال بمدأ التكافؤ المفروض للفرص لعموم المنتسبين، بالمستوى الذي يعي الواحد منهم انه قادر على تحقيق أهدافه الذاتية ضمن الاهداف العامة للوحدة، ويقتنع أن لديه من الفرص مثلما لغيره بنفس المعيار.
3. التعالي الفوقي، حيث الافراط في تنفيذ اجراءات الضبط قسريا، بطريقة تجعل الضابط المتعالي محشور في زاوية نفسية حرجة، وتجعل المنتسب مضطرا على الابتعاد عنه بمسافة نفسية قلقة، تجنبه ما يأتي من لوم أو عقاب يفرضه التعالي، وتقلل من أمامه بنفس الوقت فرص التفاهم والتضحية التي يتطلبها العمل العسكري والقتال.

4. ابتعاد الجمهور عن عسكرهم، وعدم تقدير مهنيتهم، بدرجة تحول دون حصولهم على الدعم المعنوي في أوقات الشدة التي يحتاجها المقاتل وهو في الصفوف الامامية للقتال.

الاجهاد والطاقة النفسية

عند التحدث عن الاجهاد من وجهة نظر علمية تخصصية، لابد من الخوض في بعض تفاصيل الطاقة النفسية ذات الصلة المباشرة، بحصوله، وبكيفية التعامل مع وجوده، والطاقة النفسية قوة أفتراضية غير ظاهرة للعيان، تستعين بها النفس على أداء أعمالها، تعبر عن وجودها من خلال قوى مختلفة في الشخصية، مثل الارادة والعاطفة والتركيز والرغبة والميول.

ان الناس ومثلما يتفاوتون فيما يملكون من طاقة بدنية، فهم يتفاوتون أيضا في مقدار ما يملكون من طاقة نفسية، وغالبا ما يرتبط نجاحهم أو فشلهم في أمور كثيرة بهذه الحياة على مقدار ما يملكون من هذه الطاقة، وكيفية استثمارها، اذ وعلى وفق قوة الارادة أو ضعفها يكون العزم والتصميم أو الخواء والاستسلام، ووفقا لتدفق الانفعالات الايجابية أو السلبية على ضوء مقدار الطاقة يكون عمل الخير والتعاون والتكافل أو الكراهية والغضب والامتناع، وهكذا يكون تفاوت الطاقة النفسية لدى العسكريين عاملا مؤثرا في سلوكهم القتالي منعكسا على علاقاتهم مع بعضهم البعض. انها نشاط نفسي دافعي يُعَبئُ به العسكري "الانسان" ذاته بقدرة، للتعامل مع واقع معين، ولهذا فانه يحتاج الطاقة المذكورة في كل خطوة من الخطوات التي يخطوها: فعندما يفكر بأي واجب سيكون بحاجة الى طاقة. وعندما يتقدم لتنفيذ مهمة يحتاج الى طاقة.

ان كم الطاقة المطلوب صرفه في مثل هذه المواقف، وغيرها يعتمد على مقدار الصعوبة والشدة والخطورة الموجودة، فمثلا: عند تنفيذ واجب الحراسة نهارا، سيحتاج الجندي الى كم من الطاقة يقل عن ذلك الذي يحتاجه ليلا. وعند التعرض الى القصف الشديد في الموضع الدفاعي، فان الحاجة الى الطاقة النفسية ستزداد بالنسبة الى الجندي المكلف بأعمال الرصد، مقارنة مع نفس العمل في ظروف الهدوء النسبي. وتكون الحاجة الى مزيد من الطاقة عندما يتم وضع الجنود في حالة الانذار القصوى، وأكثر منها عندما يدخلون في حالة قتال فعلي.

ان الاختلاف في مقدار الطاقة النفسية لدى العسكريين يأتي من اختلاف العوامل الوراثة، وطبيعة الظروف التي مروا بها منذ ولادتهم وحتى

دخولهم الموقف القتالي الذي يكونون فيه بحاجة الى أعلى مقدار منها. مثال عنها بسيط يتعلق بالحياة اليومية التي نرى فيها اشخاص يتمتعون بقدرة وحيوية نفسية عالية يقال عنهم انهم غير متعبين، اي يتمتعون بقدر عال من الطاقة، وفي مقابلهم آخرين منهكين، يتذمرون، غير راضين، يقال عنهم أنهم متعبين في حياتهم اي لا يمتلكون قدرا كافيا من الطاقة، وهم من حيث التصنيف الخاص بالاستعداد لارتكاب المخالفة، يكونون مثل هؤلاء "المنهكين" الاكثر استعدادا من نظرائهم أصحاب الطاقة العالية. انه مثالٌ أو وصف شعبي لمقادير الطاقة النفسية التي تكون وافرة عند الجماعة الاولى، الذين لم يتعرضوا في حياتهم الى مواقف صعبة تكون قد بددت طاقتهم النفسية، بعكس المجموعة الثانية التي قد يكون اصحابها قد واجهوا مشاكل عيش وتعامل عائلي ومجتمعي سلبي استوجبت صرف الكثير من مخزون طاقتهم، وابقتهم بقدر لا يكفي للتعامل مع الضغوط الموجودة، فنراهم على طول الخط متعبين، ينكسرون سريعا، يخالفون لابسط الاسباب. هذا بافتراض أن كلا المجموعتين قد ولدا ولديهم جميعا كم متقارب من الطاقة. ان كم الطاقة الموجود عند الولادة له صلة بالعوامل الوراثية، وهو كم يستنزف بالتدريج عند التعامل مع ظروف الحياة وضغوطها. وهو كم يتناقص، لا يمكن تعويضه في مجريات العيش، وعند بلوغ مستوياته الى الحدود التي لا تكفي للتعامل مع ضغوط الحياة، سيحدث المرض العقلي أو الاضطراب النفسي، تبعا للعجز الحاصل في كم الطاقة.

ان مقدار المصروف من الطاقة في الموقف القتالي كذلك مختلف من عسكري الى آخر. فالجندي الذي يتمتع بمعنويات عالية، وثقة بالنفس عالية، وقد أتقن فن استخدام الارض والسلاح، سيكون في الموقف القتالي بحاجة الى طاقة نفسية أقل من زميله الذي يحس ضعفا في معنوياته، وارتباكا في حالته النفسية، وقلة معرفة باستخدام السلاح. أن المختصين في مجال التدريب النفسي العسكري وبالتأسيس على المعرفة المتيسرة عن الطاقة النفسية، يؤكدون على ضرورة تمرين عقول العسكريين، لان تعمل بمعزل عن الأداء العضلي للجسم، لان التفكير يستنزف طاقة. أو بمعنى أدق محاولة الفصل جهد الامكان بين الطاقة البدنية والطاقة النفسية، بقصد ايصال المقاتل الى مستوى السيطرة على

طاقته النفسية في مواقف التعب العضلي، متجنبا انفعالات الخوف والغضب والارتباك والقلق، ومتجنبا كذلك فقدان السيطرة على الذات العصبية التي تستنزف جميعها الطاقة.

نواتج العمل دون اجهاد

ان القادة والآمرين في الوحدات والقيادات والمؤسسات العسكرية، الذين يستطيعون ادارة منتسبيهم دون ان يعرضونهم الى قدر من الاجهاد "النفسي على وجه الخصوص"، والذين يحاولون بنفس الوقت التقليل من اثر الاجهاد الذي يتسببه العدو والقتال، ويسعون للمحافظة على مستويات الطاقة النفسية المتاحة، وتبديد التوتر والقلق، سيحصلون لهم ولمنتسبيهم على معنويات جيدة، ودافعية في العمل عالية، تفضي في العموم الى الالتزام بالمعايير والضوابط الدارجة، كسلوك نقيض للمخالفة التعبوية يتمثل في الآتي:

1. صمود أكثر في الموقع القتالي.

البقاء وقبول الواقع المفروض "التزام"، بمستوى أداء يقترب من ذاك الذي وصلوه أبان فترة التدريب. وهو قدر من البقاء يضمن للمنتسب مع مجموعته التفوق على العدو عند مواجهته في أحد صفحات القتال، وتفويت الفرصة عليه في أن يحقق أهدافه.

2. القبول وحسن التنفيذ.

ان تلقي الاوامر من الاعلى، والسعي الى تنفيذها، ومستويات الضبط كركن من أركان عملية التنفيذ، عوامل وحدها غير كافية لضمان التنفيذ بالشكل المطلوب، أو لتكوين الدافعية الذاتية الى التنفيذ، لذا يضاف اليها عامل الاقتناع بالامر الصادر من الجهة الاعلى، كعامل ضامن لعدم استنزاف الطاقة، ولتكوين الاستجابة الطوعية الى التنفيذ.

3. قلة التذمر أثناء تأدية الواجب.

ان تذمر المنتسبين خلال تنفيذهم بعض الواجبات العسكرية، له تأثير سلبي ليس على ضعف الدقة اللازمة لتنفيذ الواجب، بل وكذلك على العلاقة العامة مع الزملاء الموجودين معهم في نفس الموقف القتالي، وعلى المعنويات، اذ يحبط التذمر من عزيمة القتال، وينتقل في ظروف التعب من شخص متذمر الى آخر عن طريق عدوى التقليد والتفريغ الانفعالي، ويسهم في التأثير سلبا على الاداء ودقة تنفيذ المهام. فالجندي في موضعه مدافعا مع آخرين من حضيرته، واذا ما بدأ تذمره عند

اقتراب جنود العدو أثناء قيامهم بالهجوم سيقل تركيزه، ويتشتت رميه، وسيلاحظه زملاؤه في الحضيرة، واذا ما كان بعض من هؤلاء الزملاء في حالة وسط بين التذمر واللا تذمر سينحرفون باتجاه التذمر الذي يجرهم بالتدريج الى ضعف المعنويات كلما ضغط العدو على مواضعهم، وبالتالي يضطرب أدائهم وقد يتسببون في حصول ثغرة في دفاعاتهم أو حتى خسارة المعركة الدفاعية.

3. العقلنة.

العقلنة، والعقلانية، علاقة منطقية ذات طابع عقلي بين طرفين في قضية مقبولة منطقيا، انها صفة للتفكير المنظم والمتسلسل من مقدمات عامة الى نتائج لازمة، يكون فيها حسن التدبير نشاطا للعقل وحاكما للسلوك، يحتاجها العسكريون الذين يخوضون أثناء خدمتهم، أنواع قتال تحتم السيطرة على المشاعر، وتهدءة الانفعالات، وتحتم التعامل مع مواطنيهم الموجودين في ساحة المعركة أو مع السكان المحليين لمواطني مجتمع آخر، وتحتم التصرف معهم بحسن تدبير يكسبهم الى الجانب، ولا يثير فيهم العدائية بالضد من وجودهم المفروض، كذلك بما يعطي صورة أيجابية عنهم وعن الوحدة التي ينتسبون اليها، والقيادة التي ينتمون اليها، والدولة التي ينضوون تحت رايتها، كل هذا لا يمكن تحقيقه في حالات الاجهاد، والعكس صحيح، فالعقلنة أو العقلانية ناتج من نواتج العمل بلا اجهاد.

5. تبادل الدعم والاسناد والتعاون.

يحتاج القتال بالشكل الصحيح والمناسب الى تبادل الدعم والاسناد والتعاون بين المنتسبين في الحضيرة والفصيل، كذلك بينهم وبين منتسبي السرية والوحدة أو الوحدات الأخرى، ويحتاجون الى مزيد من الدعم والاسناد والتعاون عندما يتعرضون الى مصاعب في مواقف قتالية، وهذا مهم في تحقيق نتائج ايجابية في كل أنواع القتال التي تحتاج الى اعلى درجات التعاون والاسناد.

التعاون الذي يعد في الاصل أرتباط الجماعة "المنتسبين" على أساس من الحقوق والالتزامات لمواجهة ما يعترضهم من مشاكل وضغوط وأعمال قتال، هو سلوك يكتسب في الحياة العسكرية، يسهم في:

تقوية الروابط وتعزيز روح الجماعة وتماسكها.
الاسراع في انجاز المهام كما مخطط لها ومطلوب.
توفير الوقت وتنظيم الجهد المبذول.
التقليل من أثر الذات الفردية في العمل.
انها اسهامات يتناسب وجودها عكسيا مع حالة الاجهاد.

6. الدقة في الانجاز.

ان الدقة في الانجاز، تسهل من تحقيق الغاية، وتؤمن انجازا كاملا للمهام، وتفوت في ذات الوقت الفرصة على العدو من النفاذ لتحقيق أهدافه، باساليب الغش والمخاتلة أو التمويه والمخادعة واستغلال الخدر واللا ابالية التي تحصل عادة في حالات الاجهاد.

الفصل السادس
الثواب والعقاب في التعامل مع المخالفة

المبادئ العامة
العقاب
الثواب
أسس الإستخدام

المبادئ العامة

الثواب "الاثابة" والعقاب "الجزاء" مبدأ من مبادئ تعلم وتعديل كل انواع السلوك، بينه السلوك غير السوي، أي المخالف وما يصاحب بعضه من انفعالات غضب، ومشاعر عدوان، وقبل الخوض في تفاصيل التعديل اللازم للسلوك العسكري المخالف ليكون متوافقا مع متطلبات الحياة العسكرية الملائمة، لابد من المرور على بعض الآراء الخاصة بالسلوك غير السوي أي المخالف التي تحددت تبعا لثلاث مناحي فكرية هي:

1. الحتمية البيولوجية.

يرى أصحاب هذا الاتجاه الملتزمون بتيار الحتمية البيلوجية، من ان السلوك غير السوي "المخالف" موجود في الاصل كشيء فطري.

2. الحتمية البيئية.

يرى انصار هذا الاتجاه الملتزمون بتيار الحتمية البيئية، أن السلوك المخالف، هو استجابة لمثير بيئي.

3. النمذجة والتقليد.

يرى مريدو وأتباع هذا الاتجاه الملتزمون بتيار النمذجة والتقليد، أن السلوك المخالف، تقليد لنماذج اجتماعية موجوده، تتم عن طريق المحاكاة، ومن خلال الاختلاط والمعايشة، حتى يمكن أن يتطابق الفرد المخالف مع آخر "مصدر المخالفة".

أن النظرة الى وجود السلوك المخالف ومهما تكن طبيعته، ومهما يصاحبه من انفعالات عدوان احيانا، فأن الواقع يشير الى أنه سلوك بحاجة الى وسائل معينة لضبطه، تساعد على السيطرة والاتزان، وبعكسه ستعم الفوضى وتسود المخالفة بالقدر الذي يهدد استقرار الانسان ووجوده، وكانت اكثر تلك الوسائل انتشاراً منذ الازل هي، الثواب والعقاب، رغم الاختلاف في اسلوب تطبيقها بين عصر واخر. انها وسائل أكد عليها عالم الاجتماع العربي المعروف ابن خلدون، وأبدى فيها رأيا صريحا عندما كتب يقول (وأن لابد له- للبشر- في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون اليه، وحكمه فيهم تارة يكون مستند

الى شرع نزل من عند الله يوجب انقيادهم اليه وايمانهم بالثواب والعقاب الذي جاء به مبلغه، وتارة الى سياسة عقلية يوجب انقيادهم اليها، وما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم، وهذه السياسة التي يحمل عليها اهل الاجتماع الى سائر الملوك في العالم من المسلمين وغيرهم. فقوانينها والحالة هذه مجتمعة من احكام شرعية، وآداب خلقية وقوانين في الاجتماع طبيعية، والاقتداء فيها بالشرع اولاً، ثم الحكماء في ادابهم والملوك في سيرهم. ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما مقرر، تم عمران العالم بهم، فلابد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم). (مقدمة بن خلدون).

يتبين من اقوال ابن خلدون وعلماء العصر المحدثون ان الانسان كائن اجتماعي بحاجة الى ضبط مقنن، لسلوكه المخالف من خلال وسائل اهمها الدين والأعراف والتقاليد والمثل والقانون، وبأساليب مختلفة قوامها الثواب والعقاب أو الترغيب والترهيب.

ان الفكرة في استخام الثواب والعقاب أو المكافأة والجزاء، جاءت بهدف زيادة تكرار الافعال المرغوب بها وازالة الاستجابات غير المرغوب بها في المستقبل، وهي مفاهيم يمكن الاخذ بها في التدريب لغرض تشجيع المقاتل ودفعه لاكتساب مفردات نظرية وتطبيقات عملية، والتكيف الى الحياة العسكرية، بهدف:

1. التسريع في تشكيل الشخصية العسكرية الملائمة.
2. تشذيب سلوك البعض، وتزويدهم بالمفاهيم التي تتوائم وطبيعة الخدمة العسكرية.
3. تعديل السلوك غير السوي "المخالف للاعراف والقوانين" الذي تعاني منه الوحدات والمؤسسات العسكرية.

ان تعديل السلوك غير السوي على وجه الخصوص، يأتي من خلال التطبيق الجاد لآليتي العقاب والثواب، اللتان لا تقتصر تطبيقاتهما على البعد التعليمي للسلوك السوي فقط، بل يشمل موضوعهما بابعاده الفكرية والفلسفية مجمل العلاقات بين الافراد، وبينهم وبين المؤسسات التي تنظم تلك العلاقات، لذا عرفت جميع المجتمعات البشرية عبر تاريخها الطويل اشكالا من الاثابة والعقاب. الا أنهما، ومهما كانت

درجة شدتهما وطريقة استخدامهما، لا بد أن يكونا كجزء من الاطار الثقافي والاجتماعي والقيمي للمؤسسة، اذ لا يمكن أن تكون هناك عملية تعليم سلوكي بمعزل عن هذا الاطار، ولا يمكن أعتبارهما مجرد أساليب أو تقنيات يمكن الرجوع اليهما بالوقت الذي نريد. كما لا يمكن الاستغناء عنهم في تكوين وتعديل السلوك المطلوب في المؤسسة العسكرية، والتربوية والاجتماعية، وكما مبين في العنوانين التاليين:

العقاب

الثواب

العقاب

ان أي فعل يوجه الى الانسان بقصدٍ، يستثير في داخله ألم أو شعور بعدم الرضا، يعتبر من وجهة النظر النفسية عقاباً، وقد يأخذ أشكالا عدة مثل:

1. سحب مكافأة كانت ممنوحة، بطريقة تعبر عن عدم الموافقة على نمط السلوك الصادر من صاحبها، اي الانسان التي منحت له.
2. تهديد بأستخدام بعض الأساليب التي تؤدي الى عدم الشعور بالأرتياح سواء عن طريق الازاحة من المواقف المرغوبة، أو الحرمان من الحاجات الأساسية.
3. فعل ايذاء بدني مثل الضرب، أو نفسي مثل اللوم الشديد والتحقير.

ان العقاب بكل أشكاله، وان كان مبدأ من مبادئ اطفاء السلوك غير السوي، الا أن نتائج توجيهه الى الشخص مرتكب المخالفة أي المُعاقب، قد يفضي الى واحدة أو أكثر من الاستجابات الآتية:

1. اضعاف الميل الى ارتكاب المخالفة.
2. اضطراب المعاقب والى كبت أستجابة المخالفة لفترة معينة أو كبتها في موقف العقاب فقط اثناء وجود الشخص المُعاقِب.
3. محاولة الهروب من الموقف الذي تحصل فيه المخالفة أو تجنبه.
4. العدوان الصريح باتجاه الذي أمر بالعقوبة أو السلطة الضابطة. (سيد عثمان، وأنور الشرقاوي 1977)

ان العقاب من الناحية القانونية يقترن بفكرة الجزاء، الذي لابد وان يوقع على كل من يخالف القاعدة الاجتماعية القانونية أو الاخلاقية أو الدينية، من بني البشر، لكي يستقيم النظام في الجماعة، اذ لولاه وبسبب وجود العدوان والميل الى التدمير في النفس البشرية، لانتشرت المخالفة بشكل لا يمكن السيطرة عليها، ولتحولت المجتمعات البشرية من مجتمعات انسانية عاقلة الى مجتمعات حيوانية محكومة بقوة الغريزة، علما أن القواعد المنظمة لسلوك الافراد التي تبقي المجتمعات انسانية متماسكة،

تتفاوت في مقدار مساهمتها في هذا الابقاء، تبعاً للقواعد القانونية المتبعة، ونوع البيئة التي تعيشها تلك الجماعة:
فالقاعدة القانونية التي تحرم الغياب والهروب في الجيوش مثلا تعد اساسية لحفظ تماسك الوحدة العسكرية، وابقائها قادرة على أداء مهام القتال.
والقواعد المتعلقة بالضبط، وما توقعه القوانين ذات الصلة بالاخلال به، من جزاء على المخالفين، يعد مجالاً للمحافظة على وحدة الجماعة في المؤسسة العسكرية، وعلى احتفاظها بقدرة قتالية مناسبة لاداء مهامها الاساسية. ومن هنا فأن كل مجموعة أو جماعة بينها المؤسسة العسكرية، تنتقي بعض القواعد المنظمة لسلوك منتسبيها، وتعزز ذلك بجزاء مادي توقعه السلطة المختصة "المخولة" على من يخالف من افرادها تلك القواعد، وحيث تجد الجماعة في احترام هذه القواعد اساساً لبقائها واستمرار لديمومتها.
هذا واذا ما كان الجزاء عنصراً مهماً، وجزءاً لا يتجزأ من القاعدة القانونية وخاصية من خصائصها الجوهرية، فأنه أسلوب اتبع في مجرى الحياة وفي كل مجالاتها، وفي عموم المجتمعات البشرية، لغرض تعديل السلوك البشري، فالحاجة اليه عند التعامل مع الاطفال في بداية مراحل حياتهم موجودة، وتبقى قائمة لضبط سلوكهم وهم في مرحلة الشباب، وكذلك الحال حتى نهاية العمر، لان وقع العقاب من الناحية النفسية، يلعب عدة ادوار تسهم في تغيير السلوك المخالف من بينها:

1. يساعد اي العقاب على تحديد المشكلة في صورة لها معنى، وتحديد اتجاه النشاط وذلك في ضوء ما يجب تجنبه. ومعنى هذا ان النواتج غير السارة للنشاط الآتي من العقاب تؤدي الى واحدة أو أكثر من المناحي الآتية:
   آ. تجنب الفعل المعاقب.
   ب. الانسحاب من الموقف.
   ج. تغيير الاستجابة بدلاً من تكرارها.

2. يؤدي العقاب على المدى المستقبلي الى اضعاف الدافع الذي تسبب في تنشيط السلوك المخالف، الذي عوقب عليه الفرد المخالف. (فرين جلبرت 1978).

وبهذا الصدد لابد من التنويه الى أن المهتمين في مجال علم النفس لم يكن جميعهم مقتنعين تماما بأن العقاب هو الوسيلة الفاعلة أو الناجحة في تعديل السلوك غير السوي، وعدم الاقتناع هذا لا يتوقف عند بعض النفسانيين، بل وكذلك عند البعض من العسكريين القادة والآمرين، ولو أن وجودهم يمثل القلة بالمقارنة مع الميالين الى تطبيق العقاب، حيث لا يرون في العقاب سبيلا وحيدا للتقويم والاصلاح والتعديل، ولا يميلون الى توجيهه الا في الحالات الشديدة التي يكونون مجبولين عليها، ويعتقدون ان التوجيه والنصح والارشاد أكثر جدوى.

أن النفسانيين أصحاب هذا الرأي يؤكدون على وجود سلبيات لابد من الاشارة اليها في حالة الاعتماد على العقاب وحده اسلوبا لتأمين تلك الغاية منها:

1. ان العقاب قد يؤدي الى كبت دوافع المخالفة أو قمعه انفعالياً وليس الى محوه او اطفائه نهائيا.
2. انه من الصعوبة التنبؤ تماماً بنتائج العقاب على السلوك فيما بعد، أي لاحقاً.
3. عند انتهاء الحالة الانفعالية المرتبطة بالعقاب، قد تظهر الاستجابات التي قُمعت بالعقاب، بنفس قوتها السابقة مالم تحل محلها استجابات ايجابية جديدة "وهذا يفسر لجوء البعض من المراتب الى تكرار المخالفة بنفس الدرجة بعد انتهاء فترة محكومياتهم".
4. يمكن ان تكون النتائج الجانبية للعقاب سلبية في بعض الحالات، منها ان يلجأ المعاقب الى ممارسة العدوان ضد مصدر العقاب، وكراهية العمل الذي ادى الى حصوله.
5. قد يؤدي العقاب عند الشخص العصابي الى تثبيت السلوك المخالف لا الى اطفائه.

6. ان الاعتياد على استخدام العقاب في التعديل قد تترتب عليه بعض التجاوزات خاصة عندما يكون مصدر العقاب مضطرباً انفعالياً أو ان يستغل سلطته للتنفيس عن عدوان مكبوت. (زهران، حامد عبد السلام 1984).

تصنيف العقاب

يصنف علماء النفس، وأختصاصي التربية والتعليم العقاب الى:

1. التغذية التصحيحية.

أي التغذية الراجعة، ومنها يُعلم المتدرب أن استجابته خاطئة، وبطبيعة الحال فإن معرفته بهذه المعلومة يؤدي إلى الشعور بالتوتر، ومن ثم الشعور بالحاجة إلى تجنب هذه الإستجابة قدر الإمكان لتفادي التوتر الحاصل بسببها.

2. إزالة المكافأة المنتظمة.

الانطفاء، ومنها أن المتدرب حديثا أو المنتسب المستمر في التدريب، وبعد أن يتعرض لبعض الخبرات المتتابعة من حصوله على نوع من أنواع المكافآت قد يُظهر الإهمال، أو قد يقع في بعض الأخطاء، مما يجعله لا يتحصل على القبول من قِبل آمره أو مدربه في ساحة العرضات، أو من قِبل معلمه في قاعة الدرس، ومن ثَم لا يحصل على المكافأة.

3. التلميح بالفشـــل.

إذا ما كان المتدرب قد أظهر إهمالاً إراديا أي متعمدا في الاستمرار بأداءه المنخفض، فإن الأمر قد يصل إلى الحد الذي يجعل الضابط او المدرب أو المعلم يُخبره مباشرة، بأن عمله قد يؤدي به إلى الفشل، وعليه بذل مزيد من الجهد والإجتهاد.

4. الفشـــل الفعلي.

ان المتدرب اذا ما أستمر في الأداء الضعيف أو السيء، فإن المُدرب أو الآمر في ساحة التدريب أو المعلم في قاعة الدرس قد يضطر إلى أن

يطلب منه تكرار العمل أو يحكم عليه بالفشل، وهنا يكتسب "المتدرب" ويتفهم جيداً خبرة الفشل الحقيقية.

5. العقوبة.

ان في موضوع العقاب أو الجزاء، يقتضي التنويه على ضرورة عدم اعتماد العقاب البدني المهين مثل "الضرب"، لاطفاء أو تعديل السلوك المخالف، بل ومنعه بشكل قاطع، ويمكن الاستعاضة عن العقاب البدني المهين بانواع أخرى من العقاب المرهق بدنيا مثل التعليم الاضافي بأنواعه، والتكليف بانجاز أعمال شغل في ساعات الراحة، ومع هذا يبقى المختصون في علم النفس يؤكدون على أن العقوبة يمكن أن تشمل الذم السطحي أو التوبيخ أو التأنيب أو اللوم أو النقد أو الإستهجان أو التقريع أو التصنيف."(فؤاد أبو حطب، 1980). وبهذا الصدد يقتضي القول أن البعض من العسكريين يعتقدون أن فكرة التأديب أو الاصلاح هو بالعقوبة البدنية، وهو أعتقاد يميل إلى الخطأ منه إلى الصواب، لان العقوبة البدنية الشديدة مثل الضرب أو التعذيب البدني تدفع المقاتل أحياناً إلى سلوك يصعب معالجة أي خطأ ينتج عنه، كما أن عقوبة من هذا النوع غالباً ما تفشل في إحداث الأثر المطلوب، وخصوصا اذا ما كان العقاب جماعيا بسبب خطأ أرتكبه أحد المنتسبين، كما هو دارج في مراكز التدريب أو حتى في الوحدات الفعالة.

سوء استخدام العقاب

في قانون العقوبات العسكري مواد، وفقرات شملت معظم السلوك العسكري المخالف، وحددت نوع العقوبة الملائمة لإطفائه، أي لتصحيح السلوك المخالف في حالة حدوثه من ناحية، وللحيلولة دون حدوثه من ناحية أخرى. كما حددت التعليمات طبيعة وشكل فرض العقوبة، وصلاحيات سلطة الضبط، وهذه مسائل تُدَرس للضباط الذين يمثلون تلك السلطة، وبعض منها لضباط الصف والجنود المعنيين في بعض جوانبها بقصد مساعدتهم على تفهم تبعاتها، وبالتالي تجاوزها جهد الإمكان، لكنها، أي العقوبة، لم يفهمها القائد السياسي الذي أدار العسكر مباشرة من قبل، وتدخل في تفاصيل شؤونهم الفنية والمهنية، لأكثر من

عقدين من الزمان، اذ وعندما أرادهم أن ينفذون رغباته دون نقاش، ويمتنعون عن تنفيذ رغبات غيره التي تمس أمنه دون نقاش ايضا، أوجد صيغة العقوبة القصوى، التي تتأسس على الحد الاعلى، أي الاعدام، كأداة لتشكيل سلوك التنفيذ والامتناع، لذا أصبح الإعدام مثلا عقوبة تمتد من المخالفة البسيطة غير المتعمدة في سياقات التنفيذ اللازم لبعض الاوامر، مرورا بالغياب والهروب، صعودا الى أنتقاد الخطط، وذم القيادة... الخ من عقوبات إعدام لم تبق مسافة قانونية معقولة بين مستويات المخالفة تتيح فرصا لتغيير السلوك ايجابيا، وأوجد صيغة التخويل الميداني للقادة والآمرين في تنفيذ عقوبة الاعدام في حالات عديدة دون محاكمة، وبات التنفيذ بالمجني عليهم في الحرب ميدانيا، وأمام الزملاء والآخرين، وكان ذلك ليس بقصد الردع في عمليات تشكيل السلوك المهني العسكري الذي لم يفهمه القائد، صيغة لمعاقبة الفعل بقصد إطفاءه أو تغييره، بل وللتخلص من مسبب الفعل خشية تعميمه على الآخرين، واستشراء المخالفة التي تهدد أمن الحاكم شخصيا.

ان العقوبات التي باتت تفرض على الأشخاص دون الفعل، أخذت تمتد إلى النوايا المفترضة في العقول، وبات التفسير الآني لها من قبل الأشخاص المواجهين ليس منطقيا، وهناك في هذا المجال كثير من الشواهد في مجالها نرى مثلا: عند إخفاق آمر لواء من أهالي مدينة محددة في الدفاع عن مواضع لواءه تجاه هجوم معادي، يفسر قائد فرقته والفيلق وأعضاء القيادة العامة التي لم يكن من بينهم واحدا من أهالي تلك المدينة،إن الإخفاق تقصير، ربما يكون متعمدا بسبب الأصول الطائفية لآمر اللواء، وهذا شك في النوايا يُسَهل جدا إصدار عقوبة الإعدام بحقه، في الوقت الذي يفسر إخفاق آمر اللواء الآخر من منطقة أخرى، وفي ذات الظروف بتفوق العدو بنسب كبيرة، ويجنبه العقاب وإن كان قليلا من العتب.

إن التنفيذ الميداني الانتقائي لعقوبة الإعدام عزز الخوف والتجنب بين العسكريين، وجعل شريحة واسعة من الضباط يعيشون في حالة قلق وتوتر مستمريّن، استنزفت جزءا كبيرا من توازنهم النفسي، ودفعت البعض منهم إلى التنحي عن الطموحات الشرعية لتولي المناصب

القيادية، وكونت مشاعر في داخل نفوس الكثيرين، وكأنهم مخالفين أو مذنبين على طول الخط، يسعون في سلوكهم العام الى الحصول على البراءة من القيادة العليا.
لهذا، يمكن القول ان القيادة السياسية للعسكر في تلك الحقبة الزمنية قد أساءت استخدام العقاب، وبدلا من التقليل من السلوك المخالف، أسهمت في هروب العسكر من حقل المخالفات السياسية والامنية، الى مجال المخالفات الضبطية:
فانتشر الغياب والهروب.
وقل أحترام المادون للمافوق.
وتدنى مستوى الاداء والمعنويات.
وطعنت المهنية العسكرية في خاصرتها، بقدر فتت من عضد العسكر، ووضعهم لفترة زمنية ليست قصيرة في دائرة التخبط واللااتزان.

تقليل الآثار الجانبية للعقاب

ان التحذيرات المذكورة عن استخدام العقاب وسيلة للتقليل أو منع حدوث المخالفة، لا تحول دون استخدامه في مساعي الحد من الانتشار وفي تجنب التكرار المستقبلي، اذا ما تمت الاستفادة من بعض المبادئ التي تقلل من الاثار الجانبية لهذا الاستخدام، جهد الامكان منها:

1. عدم المبالغة بأستخدام العقاب أو اللجوء باستخدامه بأستمرار أو التهديد به لأسباب بسيطة. لانه قد يؤدي الى زيادة مستوى القلق الذي يؤثر على الأداء وامكانية تعلم خبرات جديدة.
2. ان احتمالات تأثير العقاب يعتمد على السمات الشخصية للمعاقب، أذ أنه من المعروف، أن هذا الاسلوب لا يمكن أن يكون نافعا للتعامل مع كل الناس، حتى ان البعض من الشخصيات، يتبين وكأنها تفتش عن العقاب، ولتحقيقه تبقى في حالة من القلق المنتج للمخالفة حتى الحصول على العقاب، الذي يعزز في النفس حاجة غير واضحة المعالم.
3. أن لا يكون للعقاب قيمة، إلا اذا ادى الى تغيير الاستجابة، فميزته الكبرى أن يجبر المعني على التوقف أو الانسحاب عما يفعله من

حال "مخالف" الى آخر طبيعي، لذا فان العقاب الذي لا يؤدي الى هذا النوع من التحول سيكون محدود القيمة أو عديمها.

4. يكون العقاب أكثر فاعلية حينما يستخدم في بداية الاستجابة، أي مع بدء إرتكاب السلوك المخالف، وعلى سبيل المثال عندما يلجأ أحد المراتب إلى عدم تنفيذ أمر آمر الفصيل، أو آمر الحضيرة في ساحة التدريب، يكون من الضروري توجيه العقوبة لهذا السلوك المخالف مباشرة.

5. تتوقف فعالية العقاب على نوع العلاقة القائمة بين المعاقِب "بكسر القاف" والمعاقَب، فإذا كان ثمة علاقة ودية فيها تقدير متبادل فإن العقاب بطبيعته سيردع أي يحول دون التمادي في الخطأ، أما إذا كانت العلاقة غير ودية بينهما، فلن يفيد العقاب، بل قد يؤدي إلى التطابق مع المعاقب "أي التطابق أو التوحيد مع مصدر العدوان، كما مر ذكره" وتمثيل ذلك في ان المعاقب بدوره يصبح معاقباً حين تتاح له الفرصة.

الثواب

يمكن تعريف الاثابة بأنها مثير سار يتبع الاداء، أو الاستجابة الصحيحة، أو المطلوبة، ويؤدي إلى الشعور بالرضا والارتياح، وتتمثل حالة الرضا هذه والارتياح في سعي الفرد الى الحصول على هذا المثير أو الاحتفاظ به.

إن الشائع بين الأوساط العامة بان العقاب هو المجال الوحيد لتعديل السلوك المخالف، الا ان هذا الرأي وبالاضافة الى عدم اتفاق النفسانيين عليه كما ورد سابقا، وكذلك عدم اتفاق المختصين في مجال القانون، اذ يرى البعض منهم أنه لا يجب أن يفهم أن إحترام القواعد القانونية لا يتم، إلا عن طريق الإكراه المادي "الجزاء" وإنما على العكس، فالأصل هو أن يمتثل أفراد الجماعة الى احكام القانون بمحض إرادتهم ورغبتهم لا خوفاً ولا رهبة من جزاء مخالفته، وذلك لشعورهم بمدى لزوم أحكامه العادلة لحفظ النظام داخل الجماعة، لذلك فإن الإلتجاء إلى الإكراه أو الجزاء هو الاستثناء في قاعدتهم.

ان دعاة هذا الاتجاه يؤكدون على أن الإكراه في القاعدة القانونية لايتحرك لإداء وظيفته، إلا إذا وقع إخلال بحكم القانون، فإن لم يقع مثل هذا الإخلال بحكم القانون، يظل الاكراه مستكناً قابعاً، أي انه لا يتدخل إلا اذا دعت الحاجة إلى وجوب تدخله، وهو في هذه الحالة إجراء إحتياطي يتم العمل به عند الاقتضاء، لان الغالبية يراعون القواعد القانونية بمحض إرادتهم بل ولإعتبارات أخرى غير إحتمالات اكراههم على مراعاتها، وبصدده قيل:

أن من أجدى وأنجح أنواع الجزاء في القاعدة القانونية إعتياد الناس على تنفيذها إختياراً، وعدم اللجوء إلى الإكراه إلا أستثناء.

ان ثمة طائفة بأسرها من القواعد القانونية يُنشئها الافراد بأنفسهم عن طريق العرف ثم يحرصون على الاستمرار في الالتزام بها، فالقواعد العرفية تنشأ بين الافراد عن طريق إتباعهم لعادة معينة بطريقة مضطردة دون تدخل السلطة العامة بحيث يقتنع الجميع بأنها أصبحت ملزمة.

لقد ذهب البعض من الفلاسفة إلى ان جزاء القاعدة القانونية لا يشترط أن يكون أثراً يترتب على مخالفتها كالعقوبة أو البطلان، بل يجوز أن يكون أثراً يترتب على إتباعها كالمكافأة، لأن الرغبة في الحصول على المكافأة تكفي إلى حد ما لحمل الناس على إتباع القاعدة، والسير على النظام الذي قصد المشرع تحقيقة. (رمضان أبو السعود، مصدر سابق).
هذا وبغض النظر عن علاقة المكافأة في الجانب القيمي للعقوبة، إلا انها تعتبر ومن الناحية النفسية ركن من أركان التعديل اللازم للسلوك المخالف، وان إستخدامها في هذا المجال يأتي من ناحيتين:

1. اثابة السلوك المرغوب مباشرة.

أن تتم الاثابة بعد حصول السلوك المرغوب، فعلى سبيل المثال هناك رهط مطلوب تعليمه كيفية أداء التحية بالبندقة، فإن قام أحدهم بالحركة كما هو مطلوب، وحصل على إثابة من آمر الرهط، وهي اشادة به أمام الجميع، فيفترض هنا أن تؤدي هذه الاثابة إلى أن يستجيب نفس الشخص بشكل إيجابي في مجال أداء التحية لاحقاً. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، قد يشجع ذلك القريبين منه على أتيان نفس الفعل أو شبيها له، أملاً في الحصول على الاثابه.
مثال آخر أكثر وضوحاً، عندما يسمح الآمر لمنتسبي وحدته التي تعسكر خارج المدينة بالنزول اليها، لمدة ساعتين قبل تحركها الى قاطع آخر، بهدف مساعدة المنتسبين، لاتيان بعض الحوائج الضرورية، والاتصال بعوائلهم، مع تأكيده على ضرورة الالتزام الدقيق بوقت العودة.
فالملاحظ في هذا الجانب بوجه عام، ان عودة المراتب إلى الوحدة التي أعطتهم الاذن بالنزول ستكون غير متسقة، أي تكون بعدة أشكال:
فمنهم من يلتحق بتمام الوقت الذي أكده الآمر.
آخرين يحضرون بعد ذلك الوقت بدقائق معدودات.
ومنهم من يصل متأخرا لما يزيد عن ساعة.
إذا ما قام الآمر هنا، وأمام الجميع بإثابة الملتزمين سواء بمدحهم على الإلتزام بالأوامر، أو بمنحهم مساعدة نزول للمدينة أو الى عوائلهم لمدة يوم يلتحقون بعده إلى المكان المفترض الانتقال اليه، أو ان يعدهم بإضافة يومين على إجازتهم القادمة، فانها اثابة تفيد باتجاهين:

الاول: تشجيع مثل هؤلاء على إستمرار التقيد بالوقت والتعليمات في المواقف اللاحقة.
الثاني: دفع غير مباشر لغيرهم من المنتسبين الذين تأخروا عن الالتحاق بالوقت المحدد أي المخالفين، من أجل تعديل سلوكهم على المدى المستقبلي.

2. شمول الجميع بالاثابة.

ان المقصود هنا هو أن لا استثناء في منح الاثابة، أي أنها قد تشمل المخالفين أنفسهم بعد قضاء فترة عقوبتهم، إذ أنه وكما ذكر من قبل بان العقوبة لا يمكن ان تكون مضمونة تماما بتعديل السلوك غير السوي، وما دامت كذلك فهي بحاجة إذن إلى خطوات لاحقة للدعم أو الاسناد النفسي سواء بالتوجيه والارشاد أو اثابة السلوك الايجابي خلال المسيرة أو العمل اليومي.
فإذا ما قضى أحدهم فترة من الحبس في الوحدة بسبب تركه واجب الحراسة في الباب النظامي مثلا، فأن هذه العقوبة قد لا تكفي وحدها في ردعه من العودة إلى إرتكاب مخالفات أخرى.
أما أذا وضعه آمر الحضيرة أو الفصيل نصب عينيه بعد خروجه من الحبس مباشرة بهدف تعديل سلوكه هذا، فانه سيلمس في سلوك هذا الخارج توا، ان لديه الكثير من التصرفات الايجابية مقابل اخرى سلبية، وباستطاعة ذلك الامر ان يثبّت كل سلوك جيد لغرض تعزيزه، ورفع احتمالات تكراره مستقبلا.
فعندما يكون ذلك المنتسب على سبيل المثال، خفر قاعة، وقد أدى واجبه بشكل دقيق او عندما يسند اليه واجب الدورية على السياج الخارجي للوحدة وقام بتأديته باهتمام وجدية، فبالامكان مكافئته بشكل بسيط مثل:
مقابلته في المقر مقابلة عادية.
الاستفسار بلقاء عابر أو مقنن عن حالته، ومدى حاجته للعون والمساعدة.
الاشادة بأداءه الذي أداه باهتمام.
ابداء نوع من الارتياح عند التكلم معه.

لان مثل هكذا اثابات ستؤدي تدريجيا، وباحتمالات ليست قليلة الى تغيير سلوكه المخالف، والتقرب تدريجيا من حالة السواء.

تأثير الاثابة في تشكيل السلوك

ان للاثابة الدارجة تأثير في تشكيل وتعديل السلوك، من سلوك غير مرغوب الى آخر مطلوب، وتأثيرها يتم في العادة من خلال الآتي:

1. تقوم الاثابة بدور الباعث، وبالتالي تجعل عملية تعليم السلوك المرغوب له معنى، وذلك بالربط بين مجموعة من الاستجابات واهداف معينة، اذ أن المعروف في أن السلوك وبدون الارتباط بهدف ما، يصبح غير موجه. ان الاثابة على هذا الاساس، يمكن ان تؤدي الى التركيز الانتقائي على الاستجابات المرغوبة أو الصحيحة.
2. يؤدي الحصول الفعلي على الاثابة المناسبة إلى مد الفترة الزمنية التي تسعى الدوافع "الحوافز" في الاصل إلى تحقيقها لاستثمار الطاقة، وتوجيه السلوك نحوها "المكافأة" ومعنى هذا، انه حين تؤدي الاثابة إلى إشباع الدافع عند المعني في وقت معين، فانها تساعد على تقوية فاعلية الدوافع التي سبقتها أو إختزلتها مؤقتاً.
3. تساعد الاثابة إلى زيادة الاحتمال النسبي لحدوث الاستجابة المرغوبة "السلوك السوي".

تصنيفات الاثابة

يصنف الكثير من علماء النفس أنواع الثواب أو الاثابة إلى:

1. المكافأة أو المثوبة.

المكافأة التي تتخذ طابعاً مادياً خارجياً صريحاً، وتتمثل في تقديم شيء ملموس عيني ولو كان بسيطاً، وهذا يُسمى المكافأة أو الباعث. وهي أياً كان ثمنها فإنها تُشبع لدى المنتسب أو المتعلم دافعاً قوياً من نوع ما، ومن ذلك المكافأة والجوائز المالية والمادية بصفة عامة، والميدالّيات

والـدرجات والتقـديرات، والترتيـب والمـدح والثنـاء اللفظـي، وغيرهـا الكثير مما يجعل المنتسب يشعر بالرضا والارتياح.

2. إزالة الإستثارة المنفرة.

يشعر المنتسب من خلال تعليقات الآمر في ساحة التدريب أو فـي قاعـة الدرس أن أخطـاؤه تتنـاقص وتـزول جزئيـاً أو كُليّـاً، ممـا يجعلـه أيضـاً يُحس بالرضا والارتياح النفسي عن أدائه.

3. التغذية المُدَعِّمة.

يعلم المنتسب أو المتدرب الاستجابة الصحيحة، ومن فهمه لها يمكـن أن يحصل على قدر من الرضا الـذاتي يسـاعد علـى تـدعيم هـذه الإسـتجابة الصحيحة، إلاَّ أن الرضا فـي هـذه الحالـة قـد لا يكـون لـه نفـس قـوة مـا يحصـل عليـه مـن تعليـق الآمـر/ الضـابط فـي أثنـاء التـدريب أو خـلال الدرس على ما يفعل، وهذا بحد ذاته يعد من أنواع المكافآت.

إساءة استخدام الاثابة

عند تناول مسألة العقاب، وتأثيرات سوء استخدامه على الضبط والالتزام والتخريب القيمي في الجيش العراقي، يتبادر إلى الذهن موضوع الاثابة التي لا تقل آثار سوء استخداماتها في نفس المجالات المذكورة عن العقاب المذكور، بعد أن تجاوزت ذات القيادة السياسية والعسكرية، الحدود المعقولة فيما يتعلق بالاثابة، تجاوزات تمثلت بالآتي:

1. عدم تحديد ضوابط للتكريم.

إن القيادة العامة، آنـذاك وبعجالتهـا المعهـودة لـم تحـدد ضـوابط معينـة للإثابـة أو التكـريم كمـا أسـمته مـن جانبهـا، وأبقـت مجالـه مفتوحـا لاجتهاداتهـا والقـادة الميـدانيين فـي ظـروف غيـر طبيعيـة وخصـائص شخصـية انفعاليـة ، وبـدلا مـن اعتمـاد ضـوابط وأسـس مرجعيـة لنـوع التكريم، والفعل المطلوب تكريمـه، ووقـت التكـريم ، تركـت كثيـرا مـن نهاياته سائبة للتصور الشخصـي والتقـدير الآنـي، حتـى حصـل وبشـكل واضح وملموس:

كُرم ضباط لشجاعتهم في معارك، وهم خلالها يتمتعون في إجازاتهم الدورية، أو يرقدون جرحى في مستشفيات المقر العام.
كرِم ضباط بمنحهم رتبة عسكرية على أدائهم في معركة ، وكرم زملاء لهم بنوط شجاعة في ذات المعركة لأداء تفوق جودته، ونسبة المجازفة فيه أولئك الذين حصلوا على الرتبة العسكرية.
كرم جنود من أقرباء القادة، وهم لم يخرجوا من البيت، وآلاف غيرهم ينزفون دما على الحافات الأمامية، لم يتذكرهم ذلك القائد بكلمة ثناء تخفف معاناتهم.
وهكذا أصبح التكريم:
عامل تخريب للسلوك.
عامل مساعد في أنتاج المخالفة.
مجال لتكوين آراء بالضد من المؤسسة العسكرية.

2. التأكيد على مادية الإثابة.

حولت القيادة معالم التكريم إلى درجات من الكسب المادي، يحصل فيه صاحب نوط الشجاعة مثلا على منحة مالية قدرها خمسة آلاف دينار" تزيد قيمتها عن العشرة ملايين دينار في عام 2013" ويكسب صاحب الأنواط الثلاثة لقب صديق الرئيس، ليحصل بموجبه على سيارة ، وقطعة أرض سكنية، وقبول غير مشروط لأبنائه في المدارس والكليات، ومخصصات شهرية على راتبه، ومنحٍ في الأعياد والمناسبات الرسمية ، تتضاعف مقاديرها مع سيف القادسية وغيرها، حتى أصبح عديد من العسكر وتحت ضغط العوز والظروف الصعبة يقاتل ليس دفاعا عن وطن ، أو سعيا لتحسين السمعة المهنية، ولا عن أهداف وحدته التعبوية، بل وعلى العائد المادي الذي يمكن الحصول عليه من أداء ما، وأيا كان شكله، ونسبة المخاطرة فيه.
هذا أمر تجاوزت تأثيراته الجانبية مسألة المهنية العسكرية، لتعزز بعض أنواع السلوك المخالف قيميا عند البعض من الضباط، إذ أصبح البعض يختلق مواقف وهمية، يذكرها في التقارير المرفوعة للجهات العليا منها مثلا:
آ. يجوب آمر فصيل المشاة الأرض الحرام، وهو لم يدخلها أبدا.

ب. يتسلل آمر سرية قوات خاصة خلف خطوط العدو، وهو جالس في مكانه.
ج. يدمر ضابط المدفعية كل أسلحة العدو وقذائف مدفعيته، واطلاقاته المبعثرة في واقع الأمر، لم تسكت واحدة من تلك الأهداف.
د. يصد قائد فرقة هجوما معاديا لموجات بشرية هائلة، والواقع انه هجوم مهارشة لا يتعدى سرية مشاة.
.....الخ من المبالغات والأوهام التي جاءت أصلا لأغراض الحصول على الاثابة المادية المجدية.

3. ارتباط الإثابة برضا الحاكم.

تجري الإثابة " التكريم " في مستويات القيادة دون الفيلق بموافقة القادة والآمرين، أما على مستوى قادة الفيالق وأعضاء القيادة العامة وأحيانا قادة الفرق في بعض المواقف، فتكون عادة بأمر القائد العام، عليه أصبحت تعكس مديات رضاه عن أولئك القادة، ورضاه هذا يتعمم على رضى الآخرين وأساليب تعاملهم:
تملقا وتقربا لمن كان مرضيا عليه.
إهمالا لمن أهمل من قبل الحاكم.
وهكذا أصبحت طريقة توزيع التكريم عقابا، وإهانة في بعض الأحيان لمن يريد القائد الحط من قدره.

أن معارك استعادة الفاو من القوات الايرانية عام 1986 شهدت قيام القائد العام وفي عرض متلفز بتكريم قائد الحرس الجمهوري، بسبع وعشرين نوط شجاعة مرة واحدة، في حين كرم قائد الفيلق السابع المشارك بفيلقه بنفس الهجوم بنوط شجاعة واحد، تردد بين ضباط حضروا مراسيم التكريم في حينه أن القصد من تكريم الاخير هو اهانته والحد من طموحاته، لانه حشد دعاية خاصة له في البصرة، ادعى فيها أنه بطل تحرير الفاو.
ان الاجراءات المذكورة، وغيرها جعلت التكريم في المؤسسة العسكرية، وطوال فترة زمنية ليست قصيرة:
أسلوبا غير مجدٍ في تحسين الاداء.
غير مفيد "الا لبعض الوقت" في رفع المعنويات.

غير مجدي للحد من المخالفة التي زادت مستوياتها بشكل ملحوظ.
ان كثر المخالفات والتجاوز على المعايير والقيم العسكرية أسهمت مع أخطاء أخرى في البيئة السياسية والعسكرية برسم نهاية سريعة غير طبيعية للجيش العراقي العريق عام 2003.

أسس الإستخدام

إن إستخدام الاثابة أو العقاب بهدف التعامل مع السلوك المخالف في الحياة العسكرية مسألة قائمة، يلجأ إليها الآمرون والسلطات الضابطة بكافة المستويات، إلا ان المغالاة فيها قد تأتي بنتائج عكسية.
لذا يحدد المختصون بعض المبادئ الخاصة باستخدام كلا النوعين بالاتجاه الصحيح منها:

1. ارتياح ودعم ارتياح.

يجب أن تؤدي الاثابة بشكل عام إلى الارتياح، وفي المقابل ان يؤدي العقاب بشكل عام إلى عدم الارتياح. فالإثابة الحقيقية تلك التي تشبع حاجة أو تختزل حافزاً في لحظة معينة.
فتقديم هدية مادية معينة لا تعتبر إثابة يمكن ان تعزز سلوك إيجابي لمقاتل دخله المادي كبير، عندما تفانى في الواجب أو قدم بعض الخدمات لوحده.
والعقوبة بحد ذاتها لا يمكن اعتبارها فاعلة في اطفاء السلوك المخالف أو تقليل من احتمالات حدوثه مستقبلا، اذا لم يكن وقعها كافيا لاثارة عدم الارتياح لدى المعني.
فحرمان الاذن أو تأخير منح الإجازة مثلا قد لا يشكل عقاباً لمقاتل لم ينفذ أمراً ما عندما تكون علاقته بالعائلة والاصدقاء خارج وحدته مضطربة.

2. القيمة الملائمة

يجب ان تكون قيمة الاثابة أو العقاب ملائمة لمقدار الفعل المطلوب تعزيزه إيجاباً أو سلباً "إثابة، عقاب" حيث ان الزيادة المفرطة في كلا الاتجاهين قد لا تحقق الغاية المطلوبة.
فعند عدم إطاعة الاوامر مثلاً، تختلف طبيعة تأثيرها من حالة إلى اخرى، فقد تكون في الحرب عصيان، عقوبتها الاعدام أما في السلم قد تكون نوع من التجاوز ينتهي عقابه بيوم قطع راتب.

3. الاقتراب الزمني.

ينبغي ان يعقب الثواب "السلوك السوي" أو العقاب "السلوك المخالف" جهد الامكان، حيث يزيد ذلك من إحتمالات الارتباط الشرطي بين السلوك غير السوي والالم الناتج عن العقاب، وكذلك بين السلوك السوي والارتياح الآتي من الثواب، رغم ان البعض من أنواع المخالفات لا يمكن القرار على عقوبتها فوراً، إذ يتطلب البت بها بعد الارسال على المتهم كمذنب ومحاسبته بطريق المحاججة، وشرح التهمة الموجهة اليه، أو من خلال تشكيل مجلس تحقيقي وقرار محكمة.
كذلك الحال بالنسبة إلى بعض الاثابات التي يقتضي تنفيذها أخذ موافقة الجهات الأعلى حسب الصلاحية.
إلا أن الواقع يشير إلى الكثير من الحالات البسيطة، سواء في مجال العقوبات أو في الميل إلى الاثابات، داخل الوحدات والمؤسسات العسكرية يمكن ان يأخذ بنظر الاعتبار القائمين عليها أو الذين يأمرون بها، لخلق قوة تأثير فاعلة وسريعة باتجاه التعزيز أو التغيير. هذا واقع يفسر نفسيا سلوك قسم من المقاتلين، عندما يفضلون في العديد من المواقف، الاثابه البسيطة المباشرة لعمل ما، على الإثابة الكبيرة المؤجلة، لو اتيحت لهم الفرص في الاختيار بين النوعين.
تجدر الاشارة هنا، الى أن المخالفة في البيئة العسكرية، وبما أنها لا تتعلق كثيرا بدوافع حدوثها، وكيفية الحدوث، ولان العسكر لا صلة لهم بالمدارس النفسية والاجتماعية التي تناولتها، على أعتبار أن تناول من هذا النوع يهم فقط اهل الاختصاص، وان ما يهمهم هو كيفية التقليل من مستوياتها وآثارها على القدرة القتالية، وبضوء هذا الاهتمام درجوا أي العسكر الى العقاب وسيلة فاعلة من وجهة نظرهم للتقليل، دون اعارة اهتمام الى وسائل أخرى مثل الاثابة، والتوعية والنصح والارشاد، التي أثبتت الدراسات أهمية تأثيرها في التقليل من نسب التكرار، اذا ما أستخدمت بالوقت المناسب وبالشكل الصحيح.
لقد تطور فهم عملية الثواب والعقاب في جوانب التعليم أو التربية العسكرية أي في اكساب العسكر مهنيتهم، بالتركيز على مبدأ التعزيز، الوارد ذكره، وبات من المألوف، على وفق هذا المبدأ أن يقدم الثواب على السلوك الصحيح أو السلوك المرغوب فيه، ويقدم العقاب أيضاً على السلوكيات الخاطئة أو غير المرغوب فيها، وهذا مبدأ أصبح سُنة

الحياة، يلائم هدف التعليم والتدريب في المؤسسة العسكرية الذي يضع المنتسب كهدف يتم التعامل معه داخل أسوار المعسكر أو الثكنة العسكرية، وأحيانا في المجتمع العام، من قبل سلطة الضبط التي يمثلها الآمر الذي عليه أن يتفهم دوره ويُتقنه وأن يؤدي عمله على أكمل وجه، وبكل إخلاص، وتفاني حتى يستطيع أن يؤثر تأثيراً مباشراً على شخصية المتدرب/ المنتسب، لأنه، أي الآمر، الصورة المثلى التي يتأثر بها. ومن هذا المنطلق فإن دوره لم يكن قاصراً على الاهتمام بتعليم الناحية الضبطية فقط وإهمال الجوانب الأخرى، بل يجب عليه أن يهتم بالمتدرب من جميع النواحي المعرفية والتربوية والنفسية والاجتماعية والصحية، فيوجهه الوجهة الصحيحة والسليمة.

فان أحسن يثيبه بكلمة أحسنت.

وان قدم الاحسن يُقدم له ما يتوافق مع فعله من أنواع الثواب المناسب.

أما إذا أساء ولم يُحسن التصرف، فلابد ان يوضح له إساءته ويمنعه بوسيلة من وسائل العقاب المتاحة حسب حجم الخطأ.

لذا فإن دوره هام في اكساب المنتسب مهنيته وصفته العسكرية، وعليه مسؤولية عظيمة.

وأخيرا فان الثواب والعقاب مؤثران مرتبطان ارتباطاً وثيقاً ببعضهما البعض، وكثيراً ما ينتج عنهما النجاح والالتزام بالضوابط والتقاليد، أو الفشل في الاكتساب وحصول المخالفة، فاصبحوا من مبادئ التعلم المهمة والحساسة التي لابد أن تؤخذ سياقات التعامل مع موضوعها بالاعتبار.

الفصل السابع
اجراءات الحد من المخالفة

الأهداف الخاصة
تطويع السلوك المخالف
الوقاية
التقليل من وقع الاجهاد

الاهداف الخاصة

ان النظرة الفاحصة الى مجتمع الوحدة الذي تحدث فيه المخالفة، تبين أنه محكوم بعلاقات وروابط ذات أبعاد ومستويات متباينة. فهناك مثلاً علاقة بين الضباط من نفس المستوى الرتبي "القدم"، وبينهم من ناحية وبين الاكثر قدماً من ناحية اخرى، ومن ثم بين جميع الضباط في الوحدة والآمر، وعلاقة من نوع آخر بين ضباط الصف والضباط وأخرى بين ضباط الصف والجنود، وعلاقة بين جميع منتسبي الفصيل أو السرية والوحدة من المراتب وضباط الصف وآمريهم المباشرين، حيث تكون هذه الصيغة مجالاً مؤثراً في نوعية المخالفات وشدتها تبعاً لفهم تلك العلاقات وحدودها المقبولة ومقدار النجاح في التوحد امام الهدف العام للوحدة في الاعداد والتهيؤ للمستقبل، لذا اصبح وجود هدف او مجموعة اهداف من مستلزمات العمل الناجح في الوحدات سواء في مجال التدريب أو الضبط أو المعنويات أو في المجالات الفنية الأخرى. وأصبحت الخطوة الأولى في مجال الوجود الحتمي للاهداف هي تحديد طبيعتها وصيغ العمل من اجل الوصول اليها أي تأمينها سعياً وراء الحد من المخالفة وتقليل آثارها الجانبية على القدرة القتالية في حالة حدوث البعض من انواعها، خاصة وان الاعتقاد أو التفكير بوجود وحدات عسكرية، بلا مخالفات مسألة مثالية قد لاتكون موجودة في أي جيش من جيوش العالم قديما وحديثا.

انها حقائق واردة في محيط العمل العسكري على ضوئها، تكون الاهداف الملائمة للبيئة العسكرية أو التي ينبغي أن تسعي الجيوش والقادة العسكريون الى تحقيقها هي:

1. تقليل الاحتمالات.

يرى الكثير من المعنين بالشؤون العسكرية، وعلم النفس العسكري ان تنحية بعض الادوات التي تستخدم في تنفيذ بعض المخالفات جانبا، يحول دون حدوثها، أي أن الذي يخطط للسرقة، ولم يجد شيئاً يسرقه سوف يعدل عن سلوكه هذا، ومن يعمد الى القتل، ولم يعثر على وسيلته التي استعد لاستخدامها، قد يلغي فكرته هذه بعد مرور الوقت وتدخل بعض المتغيرات لصالح الاتجاه الثاني.

إلا ان الوحدات لا تشكو من كثرة الجرائم المختلطة، الوارد ذكرها آنفاً، ولا من تاثيراتها على المسيرة، لأن نسب حدوثها قليلة مقارنة بالجرائم العسكرية البحتة التي تستهدف في معظمها انضباط الوحدة، وعلاقاتها الاجتماعية ومن ثم قدرتها القتالية، وتأتي عملية المنع لهذا النوع من المخالفات من خلال:

آ. تحسين مستويات التحمل.

ان مفردات التدريب الخاص بزيادة التحمل ورفع مستوى الضبط، تسهم في تقليل حصول ونسب المخالفات، اذ ان العمل على زيادة قدرة المقاتل على التحمل نفسيا وبدنيا يمكن ان تبعده عن الانفعال الناجم عن الاجهاد عندما تحتم الضرورة السير خمسة كيلو مترات بالتجهيزات السفرية لاغراض تدريبية، أو لمقتضيات تعبوية خلال القتال، وعند اجراء بعض التدريبات الخاصة أو التدريب الاجمالي في أجواء الصيف الحارة بالصحراء، ستكّون قدرة على تحمل ظروف مشابهة أثناء القتال الفعلي.

ب. تفهم المخاطر.

ان تفهم مخاطر ارتكاب المخالفة من قبل العسكري على ذاته، وعلى مستقبل وحدته يزيد من معلوماته الايجابية التي تضغط بأتجاه الالتزام بالضوابط العسكرية وقت الازمة، ومن ثم تساعد على أزالة بعض الشوائب التي علقت بالذاكرة القريبة للمنتسبين الذين تعرضوا الى تعامل خطأ من الآمر أو الجهة العسكرية العليا.

ج. تصريف فائض الطاقة.

إن الأعمار التي يلتحق خلالها الأفراد إلى الخدمة العسكرية في المعتاد، هي في بداية الشباب، وهذا يعني إمتلاك أصحابها قدر كبير من الطاقة والحيوية، يتسبب الفائض منها بارتكاب بعض التجاوزات وإثارة بعض المشاكل أو المخالفات للوحدة، عند عدم التعامل معها بشكل مدروس ووفق برامج محددة تضع بإعتبارها، إمتصاص الفائض لما يتعلق منها بمشاعر العدوان "العنف" على وجه الخصوص، تتوافق مع ظروف وضغوط الخدمة العسكرية، كما في الامثلة الآتية:

أولا. إجراء مباراة بكرة القدم، وتكرار ركل الكرة قد يعوض عن محاولة الإعتداء على زميل في الحضيرة أو الفصيل.

ثانيا. تشكيل فريقين لكرة الطائرة يكون آمر الفصيل في جانب وآمر السرية في الجانب الآخر يمكن أن يسهم في تنفيس عدوانية بعض المراتب على آمر سريتهم عندما يستطيع فريقهم التفوق على فريقه أو من خلال مايبدونه من إنفعالات في تشجيع الفريق المقابل لفريقه.

د. املاء وقت الفراغ.

إن أكثر الأمور تشجيعاً على تشكيل السلوك المخالف في الوحدات والوحدات الفرعية هو وقت الفراغ، وكيفية إستغلاله، أي طرق الاستغلال. إذ أن الدلائل تشير إلى أن الفرد العسكري وبعد قضاء ساعات في التدريب أو العمل سوف يبحث لنفسه عن نشاط مفيد لصحته النفسية في أوقات فراغه، كتعويض للجسم عن متاعب ذلك الحال، والتهيؤ نفسياً لإشغال لاحقه. علما أن أكثر الأنشطة الدارجة فائدة للمنتسبين في التعامل مع الوقت المتاح داخل الوحدة "الفراغ" هي:

أولا. الرياضة. الرياضة وبالاضافة الى اسهامها في بناء الأجسام عضوياً ونفسياً، فانها تعد مجالاً جيداً لتدريب المقاتلين على تقبل الواقع دون إرتباك والسعي لتحقيق النصر كهدف مشترك، كذلك يمكن أن تستغل ممارسة العابها في تنمية العلاقات وخلق روح الجماعة، وتهيئة الأجواء للإسترخاء والإستقرار الأنفعالي، وتصريف مشاعر العدوان.

ثانيا. الترويح. يحتاج العسكري في الظروف الاعتيادية، وفي ظروف القتال الى الابتعاد بين الحين والآخر عن بؤر التوتر، ويحتاج الى تخفيف الضغوط التي يكونها الاحساس بالخطر على النفس، ويتم هذا من خلال اقامة الحفلات الغنائية، والعروض المسرحية، وتقديم افلام سينمائية، تقلل جميعها من أثر الضغوط، وتكون حالة نفسية قادرة على تحمل ضغوط لاحقة.

ثالثا. الاجازات. البيئة العسكرية بيئة ضاغطة، يحتاج فيها العسكري، ضابطا كان أم ضابط صف أم جنديا، أن يعمل قطعا "عزلا مؤقتا" معها بين الحين والآخر، ويحتاج ايضا الى التواصل مع العائلة والزوجة والحبيبة، والاصدقاء والمعارف، يستمد منهم اي التواصل معهم طاقة مضافة للاستمرار والتحمل.

2. الحماية من التأثيرات.

تحوي الوحدة العسكرية، وربما كل وحدة من وحدات الجيش، عددا من المخالفين يكون قسم منهم معروفاً على مستوى العام للوحدة وحتى التشكيل، وقد يدفعهم ميلهم الى المخالفة أو اعتيادهم عليها الى استقطاب آخرين سواء لاشباع حاجاتهم الى الزعامة، ولو بشكل غير منظم او

لابعاد التركيز عليهم من خلال كثرة المخالفين. وفيما اذا جرت متابعة غير مباشرة لمثل هؤلاء نرى انهم يميلون للالتقاء بأنواع معينة من المراتب، كذلك يندفع مقاتلون من نوع خاص للتودد أو التقرب اليهم، وهذه المشاعر بطبيعتها تتسبب بزيادة نسب المخالفات. هنا يقتضي التنويه، الى وجود نوع من المنتسبين بينهم:

من يسهل الايحاء اليهم، أي أنهم يقعون تحت تأثير غيرهم بسهولة، فان كنت جالسا معهم وطلبت من أحدهم النهوض ومن ثم الانتقال الى مكان آخر، يستجيب دون تردد.

من يصدق المقابل ويقع تحت تأثيره بسهولة، فمثل هؤلاء يصنفون من ذوي الشخصيات التي يسهل ايقاعها تحت تأثير الايحاء.

من لديه استعداد قوي للمخالفة، فيتقبل الايحاء بارتكابها.

ان هكذا شخصيات في الوحدات تكون محل اهتمام المخالفين، اعتقادا منهم، أن شيوع المخالفة سيقلل من التركيز عليهم أو بمعنى آخر انهم سيضيعون وسط الجمع المخالف.

لذا ينبغي ان تكون الخطوة الاولى في السرية او الفصيل/ البطرية أو الرعيل، وحتى الفوج والكتيبة هي جعل هؤلاء تحت المجهر او السيطرة المباشرة أو بالمعنى الدقيق أن لا يكونون بعيدين عن انظار الآمرين.

إلا أن هذا لايعني التعامل معهم بازدراء أو تحقير لان مثل هذه الاساليب تجعلهم يشعرون بالدونية أو الاحباط، ومن ثم تزيد من دافعيتهم الى ارتكاب مخالفات اخرى اكثر جسامة، لان المقصود هنا هو الحد من تأثيراتهم على الاخرين، وعدم فسح المجال لهم بتكوين علاقات اجتماعية واسعة، وقد يكون هذا الأجراء سهلاً عندما يتواجد المخالف، بشكل أعتيادي ضمن الحضيرة والفصيل، ويكون صعبا عند تواجده في السجن، الذي يحتم التقاءه باعداد من المراتب مرتكبي مخالفات بسيطة، يقضون يوماً أو اكثر في نفس السجن كعقوبة، وهنا تكمن الصعوبة في السيطرة خاصة عندما لا يعير آمر الوحدة أو المساعد أجراءات الابعاد اي أهتمام، أو يتناسى في احيان كثيرة ما يدور داخل تلك الغرف المغلقة.

عليه يكون من الامثل السعي الى عزل المحترفين أو المخالفين المعروفين الذين يقضون مدد اكبر في مكان خاص بهم، ويفضل عدم دمجهم مع اولئك الذين يُحجزون لايام معدودة، وفي حالة عدم القدرة على تنفيذ هذا الاجراء لاعتبارات ادارية، فيمكن اجراء لقاء سريع بين آمر الفصيل أو آمر السرية مع من انهى فترة عقوبته في السجن بهدف اعادة تأهيله نفسيا، وتخليصه جهد الامكان من تبعات الايحاء، وهي محاولة في حد ذاتها مقبولة، تسهم بمحو بعض ما علق من مفاهيم او معلومات في الذاكرة أو خبرات تم اكتسابها من آخرين احترفوا المخالفة وتفننوا في تنفيذها.

هذا من جانب ومن جانب أخر، فأن اسناد بعض الأعمال للذين يقضون مثل تلك الفترات خلال مدة محكوميتهم مسألة مهمة لاقلال وقت الفراغ الذي يشكل اساساً جديداً لنقل الخبرات.

3. حصر التأثير.

تختلف نسب المخالفات العسكرية التي تحصل من وحدة الى أخرى ومن ظرف الى آخر، فالغياب كمخالفة مثلا، تزداد نسبته بشكل ملموس في بعض الحالات مثل:

الاستعاد لخوض معركة.

الشروع بالتنقل الى من مكان الى آخر.

أوقات الاستنفار.

ظروف التوتر السياسي وعدم الاستقرار الامني.

كما ان تأثيراته على وضع الوحدة واستعداداتها التدريبية أو الجاهزية هي الأخرى مختلفة بين حالة السلم عنها في حالة الحرب. وبذا أصبحت العقوبات الموجهة لاطفاء هذا السلوك كذلك مختلفة تبعا للظروف، ففي الحرب تصل عقوبة الغياب اثناء المواجهة مثلا الى مستوى الاعدام، بينما قد تكون العقوبة لنفس فترة الغياب أثناء السلم السجن لعدة أيام، وما ينطبق على الغياب يمكن أن يشمل أنواع أخرى من المخالفات، إلا أن المؤكد في أن انتشار الغياب كمخالفة، وتكرار انتشارها سيؤثر على وضع الوحدة المعنوي والقتالي بشكل أو بآخر، عليه لابد من اتخاذ اجراءات لحصر تأثير حصول المخالفة على القدرة القتالية للوحدة، واحسن وسيلة لهذا الهدف هو التقليل من نسب الحصول، والحد من

انقال عدواها، واذا ما حصلت بالفعل ينظر في مسالة العقاب بالطريقة التي لا تخرج المقاتل جهد الامكان من الموجود الذي تتأسس عليه القدرة القتالية.

4. اعادة التأهيل.

ان مناقشة هذا الهدف على مستوى الوحدة أو التشكيل أو أي مستوى تنظيمي آخر تحتم تناوله من عدة جوانب، بدءاً من كيفية اعادة تأهيل المخالف، وتعديل سلوكه ليكون اقرب على السواء، حتى انتهاء خدمته باستخدام:

آ. المد القيمي.

الاستمرار بتزويد المخالف بالمعلومات وأوجه التأثير، وارشاده بشكل مستمر من قبل الآمر المباشر، سواء ضابط الصف تحت توجيهات الضابط، أو من قبل آمر الفصيل والسرية أو ما يعادلهما في مقراتهم الاعتيادية.

ب. اعادة التدريب.

يعاد تدريب المخالف بشكل مكثف بعد خروجه من السجن أو الحجز لتعويض ما فاته من المنهج، حتى يلحق بزملائه في الوحدة. ويفضل اجراء فحص مناسب له بعد انتهاء تلك الفترة، للتأكد من أستيعابه لمفردات التدريب.

ج. التأهيل النفسي.

أن بعض المخالفين، يعودون الى ارتكاب فعل المخالفة، وان عوقبوا عليه، وكأنهم قد أعتادوا المخالفة، أو ان المخالفة بطبيعتها تقدم لهم ارتياحا نفسيا أكثر من الانزعاج، أو انهم يهربون بواسطتها من ضغوط أو مشاكل معينة، ومثل هؤلاء يحتاجون بعد اطلاق صراحهم من الحجز أو السجن الى اعادة تأهيل نفسي خاص، يحاول فيه الضابط أن يعرف الدوافع، وربما الحاجات التي يحاول المخالف اشباعها عن طريق السلوك المخالف، ويقدم محاضرات توجيهية، يراقب من خلالها ردود الافعال، وبضوئها يتصرف لاحقا.

5. الحد من التمادي بارتكاب المخالفة.

ان الاجراءات المذكورة، يتوقف نجاحها في الاساس، وعلى الرغم من مصاعبها العملية، على مدى أيمان الآمر بها، وميله الى تطبيقها بدقة، وبعكسه سيبقى التخطيط لها نظرياً أمرا غير مجديا. ومع هذا تبقى المسألة المهمة التي لابد من الأشارة اليها، هي عملية تقصي دوافع ارتكاب المخالفات في الوحدة، أذ أن وضع اليد على تلك الدوافع يحل نصف مشكلة المعاودة الى ارتكابها أو التمادي بارتكابها.

فأذا كانت علاقة آمر الفصيل باحد المراتب سبباً في غيابه المتكرر، ينبغي أن يعي آمر السرية ذلك، ويحل هذا الاشكال بالطريقة التي تتضمن عدم لجوء الجندي الى الغياب ثانية، وبنفس الوقت لايقلل من قيمة أو سلطة آمر الفصيل.

وأن كانت الحاجة المادية سبباً في قيام أخر بالتأخر عن الألتحاق من الأجازة بصورة شبه دائمية، فأضافة يوم أو يومين الى الأجازة الدورية بين فترة وأخرى "حسب صلاحية الآمر المباشر أو آمر الوحدة" يكون حلاً مقبولاً لتجاوز تكرار تلك المشكلة رغم ما في ذلك الحل من مخاطر، أذ قد يلجأ البعض من ضعاف النفوس الى ذات الحالة عند تعرفهم على انها وسيلة كسب لعدد من الايام الاضافية من الآمر.

ان كل تلك الاجراءات، وغيرها الكثير لابد وأن تعزز الغاية الاساسية في الوحدة، وهي أن يسعى الجميع لقطع الطريق أمام المخالف في أن يتمادي في مخالفته أو يلجأ الى تكرارها، خياراً يستسهله في المواقف الصعبة.

تطويع السلوك المخالف

ان مختلف وجهات النظر التي تناولت المخالفة، اكدت على انها سلوك ظاهري يقوم به الفرد نتيجة لدوافع متعددة. يتعلق قسم منها بالانسان، وأخر بالبيئة والمجتمع، ويزيد على ذلك علم النفس، بتأكيد مختصيه على عدم سواء "اضطراب" هذا النوع من السلوك. وعلى ان التعامل معه يتم على وفق هذا المنظار، لكنه تعامل يتأسس على وجهات نظر المدارس النفسية كما في الآتي:

تلجأ مدرسة التحليل النفسي في التعامل، أي العلاج الى سبيلين أساسيين:

1. محاولة كشف طبيعة الصراع بين مكونات الجهاز النفسي[8] للانسان.
2. تحليل مضمون اللاشعور، الذي يحمل في جوانبه بعض الخبرات المكبوتة والصراعات التي تحل بعد.

اما وجهة النظر المقابلة للتحليل النفسي فهم السلوكيون، الذين يرون أن سلوك المخالفة، عادات متعلمة، وعلاجها يأتي من خلال:

1. اطفاء العادات المخالفة "غير السوية" أو ازالتها.
2. تعلم عادات جديدة، بدلاً عنها، وفق مبادئ ونظريات التعلم وباستخدام معطيات الاثابة والعقاب.

كذلك هناك في المقابل المعرفيون أو أصحاب نظريات علم النفس المعرفي الذين يرون ان الاشياء لا تعمل آليا، وانما نتيجة التفكير فيها، فالانسان لا يغضب الا بعد التفكير بالمثير، عدا بعض الاستجابات الاستثنائية كسحب اليد فجأة، اللذي يتم في الغالب لاسباب فسلجية.

---

[8]. ترى نظرية التحليل النفسي ان الجهاز النفسي للانسان مكون من:

الهي. مصدر الميول الغريزية.

الانا. وتظم مجموعة الافكار والرغبات والمفاهيم والقيم الاجتماعية.

الانا العليا. الضمير ويشمل المثل العليا والقوة الرادعة في داخل الانسان. (فينخل 1969).

ان آليات تعامل السلوكيون واجراءاتهم، هي الأكثر انتشاراً وامكانية في التطبيق بالمؤسسات العسكرية لانها:

آ. سهلة يمكن تعلمها من قبل الآمرين، وتطبيقها دون الحاجة الى الرجوع الى الاختصاصي، في حين لا يمكن تطبيق آليات التحليل النفسي الا من قبل المحللين المتخصصين.

ب. نتائجها سريعة، فالعادة الخطأ قد تطفئ بجلسة واحدة، والسلوك الجديد المرغوب قد يبدأ على الفور، في حين قد يستغرق التخلص من السلوك غير السوي أو المضطرب على وفق آليات التحليل النفسي وقتا طويلا.

ج. ان آليات التعامل السلوكي يمكن تنفيذها بشكل جماعي، وبهذا تكون أكثر عملية، فالتأخر عن الالتحاق الى الوحدة من قبل منتسبي السرية، يمكن أن يدفع آمر السرية الى معاقبة السرية بساعة تعليم اضافي أو بالتأخير عن النزول لاحقا، عقابا جماعيا، كنوع من السعي لاطفاء هذا النوع من السلوك المخالف، وهو نوع من العقاب أسهل وأسرع في حين يحتاج معاقبة كل منتسب من منتسبي السرية على تأخره لما يزيد عن مائة ساعة على عدد موجود السرية.

ان الآراء التي أوردتها النظريات النفسية عن المخالفة وأساليب علاجها، لا تكفي كمرشد للقوات المسلحة في التعامل مع هذا الموضوع الحيوي، لان الآمر المعني وحتى ضابط التوجيه المعنوي المسؤول، هم ليسوا مختصين في علم النفس، ليتسنى لهم الأخذ بأحد وجهات النظر النفسية الدارجة، وعرضها هنا جاء محاولة لاعطاء الموضوع شمولية علمية، يمكن أن يستفاد منها المتخصص، وغير المتخصص الراغب في تنمية وتطوير معرفته في هذا الجانب، وبذا ستكون المادة المطروحة لما يتعلق بالتعامل مع المشكلة تتركز على المعايير والضوابط والاجراءات والممارسات العسكرية، التي يحتاجها الضابط كقائد أو آمر في مساعيه للتقليل من المخالفة كسلوك غير سليم.

ان الواجب الرئيسي للقوات المسلحة هو القتال، كذلك الحيلولة دون حصول القتال "الردع" وبذلك يسعى المعنيون فيها من الضباط والمختصين وبكافة السبل المتاحة إلى تحسين مستوى الأداء لكافة

المقاتلين وزيادة القدرة القتالية لعموم القوات المسلحة، من خلال تقليل نسب المخالفة الى حدود دنيا، تكون نسبها مقبولة.
ان المخالفة وعلى بساطة موضوعها، حالة في المؤسسة العسكرية يؤثر حصولها بشكل واسع على القدرة القتالية، اذ أن الشديد منها مثل الغياب يعني تجاوز من المخالف على قوانينها وضوابطها ومعايرها، تجاوز ولو بشكل مؤقت يبعد المتجاوز أي المخالف عن سياقات عملها، وعن مناهج تدريبها واذا ما كان ارتكاب مخالفة الغياب مثلا اثناء القتال يعني نقص في الموجود الكلي الذي تقدر المهام على أساسه، ثم أن العقوبات اللازمة لبعض المخالفات تصل الى مستوى السجن، وهذا بحد ذاته يبعد العسكري عن الاشتراك في التدريب والتمارين التي تحسن القدرة القتالية جماعيا، وتبعده عن المشاركة بالفعل القتالي أحيانا.
ان تقليل نسب المخالفة يتأسس على عمل متواصل من التدريب، والتحصين والضبط، والتوجيه، بالاضافة الى اجراءات الاثابة والعقاب، التي تسهم جميعها في عملية تطويع السلوك العسكري، ليكون فيه المنتسب قادرا على تنفيذ الأوامر الصادرة في أكثر المواقف صعوبة.

المبادئ العامة للتطويع

ان المستلزمات الخاصة بتطويع السلوك العسكري غير السوي، بالاتجاه الذي يفضي الى تقليل نسب المخالفة من وجهة النظر العلمية النفسية، يعتمد وكما ورد أعلاه على التدريب التخصصي المتواصل والتحصين النفسي المستمر، وعلى الالتزام بسياقات الضبط، والاستخدام الصحيح للاثابة التعزيزية والعقاب الردعي، لكن هذه جميعها لا تحدث في فراغ، بل ويجب الاستناد في تطبيقاتها على مبادئ يجري الالتزام بها لانجاح عملية التطويع بينها:

1. تكرار التنفيذ.

ان الحياة العسكرية تعتمد على أوامر تصدر من الاعلى مطلوب تنفيذها، وعلى استعدادات لدى الادنى لتنفيذها تماما، وتعتمد في ارساء قواعد التنفيذ "الضبط" على ما في الحياة العسكرية من تدريبات وتمارين، وممارسات وحركات مطلوب تأديتها، ومسير وتحية وغيرها من مفردات التدريب الاساسي، مطلوب الالتزام بها، لغاية قوامها اكتساب

السلوك العسكري آلية التنفيذ، وقبول أداءه طوعيا، وهذه جميعها تكتسب وتعزز من خلال التوجيه وتكرار التنفيذ بالحدود التي يتحول فيها الفعل المكتسب الى مستوى العادة.
فالنهوض الصباحي على سبيل المثال، وعندما يكون بتوقيات محددة، تتكرر يوميا "عدا أيام العطل" وباستمرار، سيكتسب بتكراره المنتسب عادة النهوض من النوم حتى في الاوقات العادية، ويكتسب على نفس الاساس عادة أداء التحية الى الاعلى، وغيرها.

2. التعزيز المناسب.

ان تعزيز أي سلوك صحيح يأتي من اثابته، اثابة ملائمة، في الوقت الملائم، بهدف تفادي إرتكاب الخطأ أو بالمعنى الآخر الحيلولة دون وقوع الخطأ مستقبلا، فعندما يخطأ جندي في تنكب السلاح مثلا، ويطلب منه آمر حضيرته اعادة الحركة مرة ثانية وثالثة، وعندما يؤديها في الرابعة بشكل قريب من الصحيح، يمكن أن يثيبه بكلمة "جيد، أو عاشت يداك". وهذه اثابة بسيطة تعزز الحركة الصحيحة لتنكب السلاح عن طريق التشريط.

3. التدريب على الضبط.

ان الملاحظ في المؤسسة العسكرية العراقية، وغالبية المؤسسات والجيوش العربية ومنذ زمن طويل، وبسبب قلة المعرفة النفسية المهنية، هو عدم وضع القادة والآمرين في أعتبارهم التدريب على الضبط، بل ويخلطونه في كثير من الاحيان مع التدريب على السلاح، ومهنة الميدان، والتدريب على التحمل. خليط، لا يفرق به البعض بين قدرات المنتسب على التعلم والاستيعاب، ومدى تأثير الظروف المحيطة على عملية التعلم والاستيعاب، فلا يهمهم مثلا الاستمرار بتعليم التفكيك والتركيب للبندقية الالية، عندما تهب عاصفة رملية على ساحة التدريب، او عندما يحدث المطر، ولا يدركون أن المطر أو الغبار كمتغير ظرفي يؤدي الى التشتت فيقلل الاستيعاب، وبالتالي سوف لن يكتسب المتدرب المهارة المطلوبة، عليه كان ينبغي ان يجري درس التفكيك والتركيب داخل قاعة خاصة، وان يجري نوع آخر من التدريب خلال المطر وهبوب الرياح، بقصد التحمل.

ان المعطيات المذكورة في هذا العرض الموجز تلزم المؤسسة العسكرية بكافة تفرعاتها، والمعنيين في شؤون التدريب فيها على وجه الخصوص، أن يعملوا جميعا على تجاوز هذا الفهم الخاطئ، وأن يأخذ القادة والآمرون في سياقات عملهم، وكذلك تأخذ نشرات التدريب الصادرة في الحسبان، التدريب على الضبط والالتزام، سبيلا الى التقليل من حصول المخالفة الى الحدود الدنيا، المقبولة عسكريا.

4. الرفعة النفسية.

العسكري ضابطا كان أم جنديا، أنسان من نوع خاص، يتسم بخصائص من نوع خاص، وخصوصيته تأتي من كونه جريء، مضحي، مجازف، معطاء، يعيش الخطر ليعطي الامان، يقدم حياته ثمنا لعيش الآخرين. خصائص وظروف عمل صعبة، تسبب جملة ضغوط يقع تحتها العسكري طوال فترة خدمته، على وفقها خصصت كل جيوش العالم دعما خاصا لعسكرييها.

اتجهت لأعارتهم كل الاهتمام.

وضعتهم بمنزلة وطنية رفيعة، يعتزون هم بها، ويعتز المواطن من خلالها بهم.

منحتهم حقوق تفوق أحيانا حقوق المواطن العادي، سواء بالراتب والمخصصات أو بالحقوق التقاعدية وضمان العيش الملائم بعد أنتهاء الخدمة.

انها إجراءات عامة لجميع جيوش العالم، وهي في الوقع ليست حديثة اذ تبين وقائع التاريخ أن حمورابي بالمادة (27) من شريعته، قد وضع نصا مفاده (إذا أُسرَ أحد الجنود من حملة السلاح الخفيف أو الثقيل، وأُعطيت أراضيه أو بساتينه الى شخص آخر لإدارتها، فعندما يعود الجندي ويستقر في بلدته، تعود اليه أراضيه وبساتينه ويتولى إدارتها) (شريعة حمورابي 2007).

ان هذه الالتفاتة القديمة، وعشرات اخرى غيرها في العصر الحديث، كانشاء مساكن للعسكريين رخيصة الثمن، ومنحهم قطع أراضي سكنية وقروض بلا فوائد، وانشاء نوادي اجتماعية خاصة بهم، وتمشية معاملاتهم في الدوائر المدنية بأفضلية خاصة، ومنح أولادهم أفضلية في

القبول بالكليات العسكرية والامنية، وغيرها أخرى تأتي تقديرا الى المحارب أو في الحقيقة الى جهد المحارب الموصوف بالتضحية من أجل الوطن، وهي اجراءات تسهم في:

آ. تسهيل تشكيل شخصية عسكرية متميزة.

ب. تكوين مهنية عسكرية، يعتز بها، وبالجيش الذي يتم الانتماء اليه.

ج. الخجل من الوقوف بالضد من المؤسسة أي الجيش، ومخالفة تعاليمها.

د. دفع المنتسب الى بذل أقصى جهد في القتال، حماية للوطن ورد الجميل الى أهله.

ه. التصرف برفعة نفسية تجاه الوطن، كما تصرف الوطن بذات الرفعة معه.

5. تقوية الالتزام بالمعايير العسكرية.

الالتزام هو مجموعة العمليات النفسية التي تحدد وضع الفرد "المنتسب" نحو مسائل وأمور محددة، سياسية واجتماعية أو مذهبية أو عقائدية (Simpson, Weiner, 1989)، والمسائل في موضوعنا هذا هي الحياة العسكرية.

ان علماء النفس العاملين في المجال العسكري يضيفون لما ورد عن الالتزام بأنه حالة تشير الى ارتباط الفرد أي المنتسب بشكل مؤكد برأي أو فكرة أو معتقد (Flugel, 1966) والرأي والفكرة في موضوعنا هنا يتعلقان بالحياة العسكرية والمهنية العسكرية.

ان الالتزام يؤشر، مقدار تمسك الفرد "المنتسب" بالامور النفسية التي تتضمن مواقفه من الحياة التي يعيشها ومن المهنة التي يعمل بها، وبمستوى يكون، أي الالتزام بمثابة قواعد للسلوك وأحكام قانونية تنظم ارتباطاته بهذه الحياة "العسكرية" (Lippman 1982).

من هذا يعبر الالتزام عن مدى الاعتقاد بالأفكار، وبأساليب الحياة المهنية التي يعيشها المنتسب في بيئته العسكرية داخل الثكنة وخارجها، تلك التي تحدد سلوكه من الاوامر الصادرة، والتقيد بالقوانين والضوابط الموجودة "المعمول بها"، الامر الذي يسمح بالتأشير على أن الالتزام، وكلما زادت درجاته، كلما جرى تنفيذ الاوامر والتقيد بالقوانين والضوابط بشكل جيد.

أي ان المقاتل الذي يقال عنه في بيئته العسكرية أنه شخص ملتزم يعني أنه يعمل ويعيش في وحدته بأقل ما يمكن من المخالفات، والعكس صحيح أيضا.

6. قمع السلوك العدائي.

المخالفة، خاصة تلك التي تتم في حالات التوتر وعدم الاستقرار أثناء العمل الجماعي للمنتسبين في نفس المجموعة، وفي تلك الحالات التي تجمع الادنى والاعلى في موقف عمل مشترك، قد يصاحبها أحيانا أنفعال عدواني من البعض تجاه البعض الآخر، يصعب قمعه، لان المنتسب كانسان بطبيعته يحتاج الى الكثير من الطاقة لتحقيق كبت سليم للعدوان والمشاعر الاخرى، وقد تكون غير ميسورة، وفي حالتها سيتسبب العدوان في احداث ضرر اضافي غير الذي سببته المخالفة. (ا vey , Allen E. and Others : 1987). لكن هذه الحالة المركبة التي تحصل للبعض دون معرفتهم باسبابها وجذورها، تحاول الجيوش تجنب حدوثها من خلال الآتي:

آ. تكوين ضمير عسكري صارم، ينصاع له المنتسب في أوقات المواجهة الصعبة التي تحتوي على بعض علامات وأوجه الصراع، أي أنه وقبل أن يحسم الصراع في داخله "لا شعوريا" بين أن يخالف وأن لا يخالف في موقف ما، يتدخل الضمير العسكري لا شعوريا أيضا، ويحسم الامر الى صالح الكفة الثانية أي عدم المخالفة. علما أن عملية الحسم في داخل الانسان العسكري وتدخل الضمير، تتم بسرعة وبطريقة لا يعيها المعني في الموقف المنوه عنه.

هذا ولكي يجد العسكري لما يحصل مخرجا حتى لا تؤثر نتيجة الحسم على الصحة النفسية، يحاول ضميره المهني صياغة تبريرات منطقية مثل:

ضرورة احترام الاعلى بأي ثمن.

دعنا نمشي الحال.

الحياة العسكرية تتطلب هكذا.

وغيرها تبريرات يحس بعدها المعني أنه قد تصرف بشكل صحيح، لانه عسكري منضبط يحترم الاعلى كقيمة عسكرية.

ب. تكوين ذات عسكرية سليمة، تحترم موقعها ووجودها العسكري بين الجماعة العسكرية، ترضى عن وضعها بين الآخرين، وتعتز بما تقدمه من انجازات للوحدة والآخرين في محيطها.
ان ذات من هذا النوع والمستوى، ستكون قادرة على قمع الانفعالات المصاحبة للمخالفة أو أحيانا التي تسبقها، وتسبب في حدوثها.
ج. تنظيم العلاقة الاتكالية التراتبية مع الآمرين، فالانسان بطبيعته "باستثناء غير الاسوياء" لا يظهرون انفعالهم السلبي أمام الذين يتكلون عليهم خشية الاساء اليهم أصحاب فضل عليهم، كما أن المنتسب "السوي" الخاضع الى سلطة آمر الفصيل، يضبط أنفعالاته في المعتاد لفترة طويلة، بوجود آمر الفصيل التابع له.
د. احكام لعب الدور ضمن المجموعة. اذ أن المنتسب محكوم سلوكه بمجموعة القيم العسكرية التي يلعب هو دور في مسيرتها، وكلما فهم الدور ولعبه بشكل صحيح ضمن اطار الجماعة أي الحضيرة/ الفصيل، سيكون أكثر ضبطا لانفعالاته خشية اللوم من المنتسبين الآخرين.

الوقاية

ان أول اجراء في التعامل مع موضوع مخل مثل المخالفة، هو التفكير باجراءات الوقاية التي تقلل من احتمالات حدوثها، لتكون بمستويات عادية لا تؤثر على القدرة القتالية، وخير وسيلة وقائية هي التحصين النفسي من الوقوع في شرك المخالفة، والمقصود بالتحصين النفسي هنا:

مجموعة إجراءات نفسية، ميدانية مخطط لها، وفق برنامج لحماية المقاتلين من تأثيرات الحرب النفسية المعادية، وتأثيرات السياسة الظرفية غير الملائمة، ومن أخطاء الادارة العامة.

أن المقصود بتأثيرات السياسة الظرفية وأخطاء الادارة العامة التي تنعكس سلبا على وضع العسكر ومعنوياتهم ومديات التزامهم مهنيا، تلك الاخطاء والتجاوزات التي تحصل بحكم الظروف السائدة، وبشكل غير مقصود، اذ يلاحظ على سبيل المثال في السنوات الاخيرة بعد عام 2003 وكنتيجة حتمية لاقامة النظام الديمقراطي وسط مجتمع لم ينضج بعد، صياغة توليفة سلطة الحكم التنفيذية، بصيغة المشاركة، وان أمن الفائزون في الانتخابات أغلبية سياسية، وهذا يعني وجود بعض السياسيين غير المنسجمين مع الفائزين في الانتخاب، وربما معارضين لهم في الهيئة التي تحكم أي الوزارة. مشاركة تحاصصية لجميع مكونات الشعب العراقي، ناتجها أحيانا تصرف البعض "الخصوم المشاركون في الحكم" بطريقة الاعاقة والاثارة العمدية للمشاكل، مما تسبب في حصول أزمات سياسية وخروق أمنية تزداد شدتها وتكراراتها مع ازدياد حدتها، تنعكس سلبا على وضع العسكريين الموجودين في حالة قتال داخلي، مكونة اتجاه لا ارادي بعضه يتمحور حول:

عدم الالتزام بالقيم والمعايير الوطنية والعسكرية.

رغبة بالوقوف بالضد "مخالفة" كنوع من الانعكاس السلبي للموقف السياسي على الاداء والمعنويات العسكرية.

ان اجراءات التحصين هنا، تأتي لاغراض التهدءة، والتنوير والترويح، التي تعزل المنتسب عن مؤثرات البيئة المحيطة، لان حرب العدو النفسية التعبوية تستهدف في الغالب الى:

1. فكر المقاتل، لتدفعه دون أن يعي باتجاه التسرع في الحكم على الاحداث، والرد السريع على بعض المثيرات، والوقوف بالضد من بعض الاتجاهات بطريقة غير عقلانية، ومن ثم الفصل بينه وبين وحدته ووطنه، بغية التفرد به خارج دائرة التأثير المعنوي للمؤسسة العسكرية. وهو استهداف يتم من خلال برامج عزل كثرت في اجهزة الاعلام المتعددة، يسهم بعضها في أثارة الشكوك بالدولة والاحقاد على الحكومة، والتقليل من قيمة المؤسسة العسكرية، يساعد تحقيقها على حصول حالة الاجهاد النفسي، وربما التهيؤ نفسيا للوقوف بالضد أو الاندفاع لا أراديا باتجاه ارتكاب فعل المخالفة حد التمرد أو العصيان في بعض الحالات التي تختلط فيها الاهداف وتتعدد مصادرها.
2. معنويات المقاتل، حيث يؤدي هبوطها الناتج عن اجراءات الحرب النفسية المعادية أو عن أخطاء الادارة، وأعمال القتال، والوضع العام، وغيرها الى:

آ. السماح بظهور أفكار سلبية بالضد من الدولة والوطن والقوات المسلحة، تساعد على حصول المخالفة.

ب. تدني مستوى الاداء العام، الى حد لا يستطيع فيه المنتسب أن يُنفذ الاوامر بالشكل المطلوب، وقد يتجنب أحيانا التنفيذ بالمطلق، من خلال الانحراف الى جانب المخالفة.

ج. ضعف الضمير المهني، أو تعطله في حالات الضعف الشديد للمعنويات، عندها لا يضع المعنيون، المخالفة أو حصولها في موضع النقد الذاتي، أو لوم الذات الذي يحول دون ارتكابها.

كما ان الحرب النفسية عمل يستهدف الولاء الوطني، واذا ما نجحت في الوصول الى أهدافها في هذا الجانب واستطاعت زرع بذور الشك بالوطن، فهذا يعني انها استطاعت بالتوافق، ابعاد العسكري عن معنى

الوطن، عندها ستضعف دفاعاته الذاتية الوطنية، وسيكون عقله مفتوحا لارتكاب المخالفة دون أعارة أي اهتمام الى الوطن كرادع نفسي.
كذلك تسعى الحرب النفسية المعادية وتتسبب الظروف غير المواتية والادارة غير الصحيحة، الى دفع المقاتلين باتجاه حالة الاعياء النفسي، الذي يجدون في حالته أنهم غير قادرين على تنفيذ ما مطلوب منهم من واجبات بالمستوى المهني "مخالفة"، وغير قادرين على تنفيذ الاوامر الصادرة بالشكل الصحيح وبالوقت المناسب "مخالفة" كما انهم سيكونون غير قادرين على تقديم اي نوع من السلوك أو المبادرة لتسهيل تنفيذ الواجبات، وضع نفسي يفتح الباب واسعا أمام حصول المخالفة.

استمرارية التحصين النفسي

ان المؤشرات المذكورة في اعلاه، تحتم أن يكون التحصين النفسي للمقاتلين عمل مستمر في السلم والحرب، يصب بشكل غير مباشر في مساعي التقليل من حصول المخالفة، ويكون في المعتاد على مستويين:

1. التحصين النفسي الدوري الذي يتم بشكل مقنن في أوقات محددة، على وفق نشرات وضوابط تصدر من المقر العام.
2. التحصين النفسي الطارئ أو الإستثنائي، وهي مجموعة اجراءت يمكن أن تسبق القيام بمعركة ما أو عند حدوث أمر طارئ، فحصول اخفاق عسكري في معركة أو واقعة معينة، أو عند أستهداف المؤسسة العسكرية بعمل ارهابي واسع التأثير، يتطلب من الجهات النفسية العسكرية، الشروع بتنفيذ عمليات تحصين، وتوعية نفسية سريعة اي طارئة، لازالة اية شوائب قد تعلق كنتيجة جانبية لهذا الاستهداف، وتهيئهم نفسيا لقبول الاسوأ واستيعابه بنفس الملتزم القادر على تجاوز الازمات.

وسائل التحصين النفسي

ان تنفيذ خطط ومناهج التحصين النفسي، التي تتعلق بمسألة المخالفة في المؤسسة العسكرية، تتم من خلال:

1. اللقاءات الدورية بين الآمرين وبين منتسبيهم بشكل جماعي أو أنتقائي لمجموعات محددة، كأن تكون مع الضباط فقط أو مع ضباط

الصف فحسب أو مع الجنود، وهس لقاءات تركز على موضوع يتعلق بمخالفة حصلت أو أخرى خشية أن تحصل.

2. المحاضرات التي يلقيها ضباط اختصاصيون. "توجيه معنوي" يبينون فيها وبالتأسيس على معطيات علمية وأمثلة دارجة، تلك الآثار المباشرة وغير المباشرة للمخالفات الحاصلة على اداء الوحدة وقدرتها القتالية، وعلى الوضع المعنوي للمنتسبين.
3. الأفلام والأخبار والأحداث المصورة. التي تختار بشكل جيد من قبل جهة مركزية معنية مثل التوجيه المعنوي أو من يقوم بمهامه في المقر العام أو على مستوى القيادة، والهدف من عرضها هو التأثر المحتمل ببعض أحداثها لصالح تعزيز مشاعر المواطنة، وتوثيق الصلة بالدولة والوطن، وأحيانا لعلاج آثار مخالفة حصلت.

ان الوسائل لا تختلف بطبيعتها فيما اذا كان وقع التحصين دوريا أو طارئا، الا ما يتعلق أحيانا بالظرف السائد والحدث الحاصل، فعادة ما تتكرر وتزداد نسب التحصين الطارئ في أوقات الحروب والازمات لتجاوز بعض الثغرات في الجدار النفسي للمقاتلين مثل:

حدوث تسرب لمنتسبي الوحدة من ساحة معركتها أثناء استعداداتها للهجوم على معسكر ارهابي وسط الصحراء مثلا.

ارتفاع نسب الغياب عند الشروع بانتقال وحدة من قاطع في مدينة الى قاطع آخر في مدينة أخرى.

حدوث حالات عصيان أو تمرد استجابة لوضع سياسي متأزم.

وغيرها من حالات غير أعتيادية، يمكن أن يستعين الآمر في حالاتها بالقيادة الاعلى التي تستعين هي كذلك بالمقر العام، في طلب ارسال ضابط مختص في علم النفس أو بالمعنويات، ليناقش الموضوع، ويقدم شرحا، أو محاضرة على المستوى الذي يدرك فيه المنتسبون خطورة هذا العمل.

الاهداف العامة للتحصين النفسي

ان للتحصين النفسي، وكما ورد في أعلاه مهام محددة، وله سبل أيضا محددة تنفذ جميعها من قبل الآمرين أسبقية أولى، ويمكن تنفيذها كذلك

من قبل ضباط التوجيه المعنوي وأحيانا في الظروف الصعبة من قبل مختصين في علم النفس والاجتماع، في حال تيسرهم، مما يعني أنها مساعي متعددة الاتجاهات لتحقيق أهداف بينها:

1. التبصير.

تنوير المنتسبين في الوحدة العسكرية أو الدائرة والمؤسسة، بعناصر الموقف الحاصلة بشكل طارئ، فاذا كان الغياب، أو عدم التنفيذ الصحيح للمهام مثلا، مخالفة باتت تحصل ويتكرر حصولها، بنسب تفوق المعتاد الدارج في الوحدة، وبالمستوى الذي يصبح أحدهما عامل تأثير على القدرة القتالية، ستتمحور أهداف التحصين، على:
ماهية هذه المخالفة، ودوافع حصولها وأسباب الزيادة في نسب حدوثها.
آثارها المباشرة وغير المباشرة على الوحدة المعنية وعلى عموم المؤسسة العسكرية وكذلك على الوطن.

2. تخفيض مستوى القلق.

ترتكب المخالفة في الغالب بظروف غير طبيعية، فيها القلق الذاتي أي الخاص بالمقاتل المعني، أو العام أي الذي يعاني منه غالبية المقاتلين في موقف معين، عندها يكون الهدف في حالتها، تصريف القلق وتخفيض مستوياته، بوسائل متعددة بينها:

أ. الترويح الترفيهي.
ب. التقرب النفسي من المنتسبين، ومشاركتهم وسطهم المقلق.
ج. تأدية بعض الاعمال الخفيفة، والممارسات الرياضية التي تبدد القلق.
د. الحوارات الجماعية.

3. التشجيع والمتابعة.

تشجيع السلوك التعاوني بين المنتسبين . أي العمل على تكوين روح الجماعة وادامة تكوينها، حتى تصبح الجماعة بوجودها الرمزي، عامل اصلاح للسلوك المخالف، أو بمعنى آخر:
قد يتدخل منتسبي الحضيرة أو الفصيل في حال الاحساس باهميتهم كجماعة، لدى أحد افرادها المعتادين على ارتكاب الغياب كمخالفة، عند

اصدار الاوامر لهم بالتحرك ضمن سريتهم الى منطقة أخرى تنفيذا لمهام جديدة كلفوا بها بشكل طارئ.
يمكن أن تشكل الجماعة عامل ردع يحول دون حصول المخالفة، اذا ما كانت على مستوى من التفاهم والتواد فيما بينها، وعلى مستوى عال من الارتباط النفسي بالوطن، لان كل عضو من أعضائها سيتجنب ارتكاب مخالفة تخدش ذاك التواد أو هذا الارتباط.

4. الاطلاع.

التعرف على الموقف القائم، وعلى الامكانات الفعلية المتاحة، لان الجهل بها وبأي موضوع ذا صلة، يثير التوتر، وربما القلق الذي تدفع بعض مستوياته العالية الى ارتكاب المخالفة.
فعند الشروع المفاجئ بتحريك الفوج من موضعه الدفاعي الى آخر مجهول، قد يسبب الجهل بخطواته اللاحقة الى ارتكاب مخالفات، بضوء ما يضعه المقاتل من صور وافكار سلبية لهذه الانتقالة، اما في حال قيام آمري الفصائل والسرايا، بتوضيح الامر، وشرح معطياته العسكرية وأحيانا الوطنية، ستقوم المعرفة بسد الثغرات الموجودة في مجال التفكير، وتحول دون صياغة أفكار سلبية يدفع وجودها الى ارتكاب المخالفة.
ان التعرف آلية عمل مطلوبة، ليس في مجال الاطلاع على الموقف التعبوي، بل ويمتد تحت بند الضرورة الى سبل التعرف على شخصية الآمرين، من حيث الإمكانات العقلية والوجدانية أي الحنو والعطف والذكاء والجرأة والتعاون والرعاية، لان الجندي يبقى نظره شاخصا الى الآمر كقدوة له، وكرمز عسكري من رموزه، يريده:
آ. قويا، فيفتش عن معالم القوة فيه.
ب. عادلا، كذلك يفتش عن معطيات العدالة في تعامله وقراراته.
ج. مضحيا، يتأمله باستمرار ويحسب كل ردود فعله التي تقع بالضد من التضحية.... وهكذا.
ان المنتسب بطبيعته يحاول الحصول على المعرفة ذاتيا، وعندما يكون قلقا وبمعنويات هابطة، تضطرب حواسه الناقلة للمثيرات البيئية " المعلومات/ المعرفة" فتكون الواصلة منها والمنتجة عقليا، في أغلب الاحيان غير صحيحة، ولتجاوز هذه العثرة، لابد والحالة هذه أن يقوم

الآمرين أنفسهم بتقديم المعرفة اللازمة بشكل غير مباشر، أي لا حاجة للامر أن يدخل على منتسبيه مثلا ويدعي الشجاعة والتضحية في مواقف التردد.
ولا حاجة له أن يعلن عن عدالته في مواقف الشك.
ولا يوجد مبرر في التصريح عن نزاهته في فوضى الاتهام.
وبدل من هذا، وغيره من محاولات الدخول المباشر، يمكن الآمر اللجوء الى بعض المبادرات التي تؤدي الغرض بشكل غير مباشر:
فذكر موقف قتالي فيه النتائج الايجابية ملموسة، يسمح للجندي ان يستنتج الشجاعة.
عدم اعطاء اجازة من قبل آمر الفوج لجندي من أقاربه موجود في المقر، خارج الاستحقاق، كاف لاثبات العدالة.
رفض هدية جلبها جندي مقتدر ماديا منقول الى السرية حديثا، كافية لاثبات النزاهة.
امتناع آمر الفصيل عن التمتع باجازته الدورية في ظروف يتعرض لها فصيله، ضمن السرية الى هجمات متكررة من قبل العدو، يثبت بما لا يقبل الشك مقدار الايثار والتضحية.... الخ.

مواد التبصير

ان العسكر اللذين وضعوا العقاب وأقل منه الثواب في تعاملهم مع السلوك المخالف، تجاوزوا على أهمية التبصير بهذا السلوك غير السوي وبمخاطره على الوحدة وقدراتها القتالية، وكذلك على العسكري مرتكب الفعل المخالف، ولم يلتفتوا الى الارتباطات التشريطية الحاصلة بين مواد التبصير والتوعية والسلوك السوي التي أكتسبت أصلا من عيش الانسان في وطن تفرض خدمته قدرا من الاستقامة. على هذا الاساس إتجهت كافة الجيوش في عالمنا الحالي إلى عملية التوعية والتبصير دون التقليل من أهمية التركيز على إجراءات الضبط والتدريب، واختارت مواد للتبصير والتوعية، بعضها غير مباشر، غايتها أعادة فاعلية الارتباطات التشريطية، بينها وبين الخدمة العسكرية، والسلوك السوي في داخلها، ومن هذه المواد:

1. المواطنة والوطن.

ان الشعور بالمواطنة ألتزام أدبي للمواطن في أن يسلك سلوكا لا يؤذي الوطن، والاحساس برفعة الوطن وأهميته تدخل الفرد ضمن اطار الجماعة، فينعكس سلوكها الجماعي الخاص بالدفاع عن الوطن على سلوكه الفردي، ليكون سليما ينسجم وقيمة الهدف الأسمى، وهو الدفاع عن الوطن من قبل المكلفين بالدفاع عنه وطنيا.

2. الاخلاص قيمة ترتبط بالشرف العسكري.

الشرف في سياق الحياة العامة قيمة عليا عند الناس، وان أختلفت طبيعتها من مجتمع الى آخر.

فالكذب عند الغربيين مثلا مخالفة مخلة بالشرف، والعلاقات الجنسية غير الشرعية للمرأة في المجتمع العربي والاسلامي جريمة مخلة بالشرف، وهكذا الحال لانواع عديدة من المخالفات التي أقترنت بالشرف.

أما الشرف العسكري فهو مجموعة قيم يلتزم بها العسكريون سلوكا في بيئتهم العسكرية، وفي أثناء عيشهم في المجتمع، وهم يحملون الصفة العسكرية. بينها الاخلاص بالعمل الذي يعطي من خلاله العسكري الى نفسه، والآخرين من أقرانه وآمريه، ومن ثم المجتمع الاكبر، انطباع عن رفعة العمل العسكري ورقيه، يضعه في اطار التحصين الذاتي من المخالفة. علما أن الاخلاص في كل الثقافات عامل مؤثر في الاداء ودافع الى المحافظة على الوضع النفسي والمعنويات، فأصبح بالتالي أحد معايير الشرف العسكري.

3. المسؤولية المهنية.

ان العمل للصالح العام قاسم مشترك لجميع المواطنين، يتحملون مسؤولية أداءه وتنفيذ المهام ذات الصلة به، والعمل العسكري، عمل خاص، يصنف انجازه للصالح العام، يتحمل أفراده أسمى أنواع المسؤولية، .... مسؤولية مهنية للدفاع عن الوطن وصالحه العام، وهذه خاصية كما في سابقتها، تؤسس لانطباع ايجابي عن الذات العسكرية تسهم في تحصين المنتسبين ضد الوقوع في شرك المخالفة أذا ما توفرت بعض شروط ارتكابها.

ان الغاية من التبصير هو ايجاد رادع داخلي أي ذاتي، يسهم مع غيره من روادع خارجية عقابية أو قيمية للحد من إرتكاب المخالفات بالحدود المقبولة. وبما إن التبصير أو التوعية من العمليات العقلية، فإن المعنيين

بها اي المنتسبين بحاجة إلى قدر ملائم من الفهم والتصور والتحصيل العلمي، وأي ضعف في مستوياتها، يعني الإرتباك في عملية الإدراك للنتائج وعدم القدرة على تقدير المسؤوليات، عندها قد تتسبب في حدوث بعض المخالفات، وهذا ما أيدته أكثر من دراسة أجريت في المؤسسة العسكرية العراقية أبان الثمانينات لبعض المخالفات، بينت بعض نتائجها:

1. كلما اضطربت المشاعر الوطنية، كلما زاد الميل الى المخالفة.
2. عند الشعور بعدم تحمل المسؤولية، يزداد الميل الى المخالفة.
3. نسب حدوث المخالفة بين المستويات الدراسية المنخفضة أكثر منها في المستويات الدراسية المتقدمة.

التقليل من وقع الاجهاد

بضوء ما ورد أعلاه يتبين ان الاجهاد القتالي مسألة واردة، في كل الظروف والاوقات، وفي كل الحروب، وبكافة صفحات القتال، ولكافة منتسبي الجيوش، ويتبين ايضا أن حصوله يسمح أو يمهد الى حصول المخالفات خاصة التعبوية منها وبنسب ملموسة، ومع هذا فان القادة والامرين يتعلمون من خلال مفردات التعامل والتدريب والعلاقات كيفية:

1. تقليل الاحتمالات.

التقليل جهد الامكان من حصول الاجهاد للآمرين، ولمنتسبيهم في ذات الوقت، وأول شيء في سلم التقليل من الاحتمالات، يمر عبر المحافظة على الوضع النفسي والمعنوي العام للمنتسبين، بغية التهيئة المسبقة لتحمل الضغوط، وتقبل التطورات الطارئة التي قد تحصل على الموقف القتالي أو التدريبي، اذ أن عدم التهيئة أو عدم الاستعداد لتقبل التطورات، خاصة السلبية في مثل تلك المواقف يتسبب في حصول قدر من الاجهاد النفسي، يحول دون تنفيذ المهام التعبوية "مخالفة" بالشكل الصحيح، وربما عدم تنفيذها بالمطلق.

تجدر الاشارة هنا، الى أنه وفي الحرب العراقية الايرانية 1980-1988، كثيرا ما حصلت حالات اجهاد قتالي، أفضت الى أرتكاب مخالفة عدم تنفيذ المهام، وهي وعلى الرغم من تدخل القيادة العامة للقوات المسلحة والقيادات الميدانية، تدخلا مباشرا في جميع التفاصيل التعبوية المسببة للاجهاد والمخالفات النتاجة عنه، وفرضها عقوبات شديدة للحيلولة دون حصولها، الا أن المخالفات التعبوية الناتجة عنه، قد أستشرت لمستوى أضحت ظواهر مخالفات تعبوية خطيرة، مثل التسرب أثناء القتال، والذي أبتدعت القيادة العامة للتعامل معه، لجان سميت بلجان التسرب مكونة من ممثلين عن الانضباط العسكري والاستخبارات العسكرية والتوجيه السياسي، والشعبة الحزبية، يقف أعضائها خلف خطوط القتال للحيلولة دون حصول التسرب، وخولتها تنفيذ أحكام الاعدام ميدانيا اذا ما حصل، لكنه وعلى الرغم من مئات

الضحايا الذين أعدموا خطئاً، لم تتوقف هذه المخالفة، وعلى العكس من رغبة القيادة فان تعاملها العقابي القاسي، شكل ضغوطا نفسية أخرى أجهدت نفوس المقاتلين، وكونت أنواع أخرى من المخالفات التعبوية الاقسى على المؤسسة العسكرسة، مثل التمارض والهروب من ساحة المعركة سواء باتجاه الاهل أو الى جانب العدو... اسلوب للتعامل لو أتيح تطبيق فنيات لتقليل الاجهاد، لما حصل كل تلك النتائج الكارثية على الاداء القتالي.

2. تجاوز الحصول.

اذا ما حصل الفعل القتالي المثير الى التوتر النفسي، لابد من المبادرة في التقرب من العسكري المعني، فردا كان أو مجموعة أفراد من قبل الآمر المباشر، والشروع على الفور في اتخاذ إجراءات الطمأنة والتهدئة، التي تقلل من مقدار ذلك التوتر، والطمأنة قد تتم عن طريق الكلام وقليل من الحوار، وفي الحالات الفردية يمكن أن تحصل لمجرد الربت على كتف المتوتر، وتتم أيضا بأعطاء المعلومات التوضيحية، خاصة اذا ما كان الموقف غامضا، اذ أن الغموض لوحده يثير التوتر ومن ثم الاجهاد. وفي بعض الاحيان، وعند التعقيد الذي يحصل في المواقف التعبوية الصعبة، فان الظهور المباشر للقائد أو الآمر، يمكن أن يسهم في الطمأنة، وتخفيف التوتر.

3. التقليل من أثر الحصول.

يحصل أن تهبط المعنويات بين المنتسبين وتسوء الحالة النفسية بسرعة، خاصة في أوقات المعارك الشديدة، وفي حالتها واذا ما أستمر التواجد تحت نفس الظروف القتالية الضاغطة، يعني احتمالات الاصابة السريعة بالاجهاد، الامر الذي يقتضي الى التدخل السريع من قبل الآمر باتجاه:

آ. ابعاد المجهدين "المقاتلين اللذين تظهر عليهم علامات اجهاد" عن الساحة القتالية جهد الامكان، خاصة اذا ما كانوا بأعداد قليلة، حيث لا يؤثر غيابهم عنها على القدرة القتالية.

ب. اذا لم يساعد الموقف العسكري ابعاد المعنيين، فبالامكان دعم وجودهم بآخرين دون أن يحسوا بالسبب الكامن وراء عملية الدعم،

فاذا ما شعر آمر السرية بتخلخل الوضع النفسي لاحد حضائر فصيل من فصائل سريته، فبامكانه ارسال بعض من أفراد حضيرة أخرى ليدعموا حالهم بأفراد تلك الحضيرة، وهنا اذا ما أديرت العملية بشكل صحيح، سيخف الاثر النفسي:
كأن الضغوط التي كان منتسبي الحضيرة يحسونها، قد توزعت بينهم وبين المنتسبين القادمين لدعمهم.
أو ان مجيئهم في الوقت المناسب كون نوعا من الاطئنان في نفوسهم، عندها يخف الضغط عليهم.

4. التهيئة النفسية.

ان المحافظة على الوضع النفسي للمقاتلين، وعلى مقادير طاقتهم النفسية، في كافة الظروف والمواقف أمر ضروري لادامة زخم القتال، بأقل ما يمكن من التجاوز والمخالفة للضوابط التعبوية، وهو واقع حال نفسي معنوي، تتم التهيئة له مسبقا، وتجري ادامته حاضرا من خلال الآتي:

أ. اجراء الممارسات على التعامل مع المواقف القتالية المتوقع حدوثها. وعلى تحمل ضغوط التعب، وأكساب العسكري عادة التصرف الصحيح، مع وجود أعلى درجاته أي التعب.

ب. المحافظة على الحالة المعنوية للمقاتلين، من خلال:

أولا. تقدير وضع العسكري في تقديم خدمة وطنية مميزة، وجعله يحس بقيمة هذه الخدمة حد الافتخار بها أمام الاهل والاقران.

ثانيا. الاشادة الجادة من قبل الآمرين تتابعا، بالجهد الذي يبذل في الموقع القتالي.

ثالثا. منح الاجازات الدورية والاستراحات الآنية للمنتسبين بالتساوي.

رابعا. تقديم بعض التكريمات البسيطة بينها المعنوية، للمتميزين، خاصة في المناسبات الوطنية.

خامسا. الايثار. وذلك بظهور الآمر المباشر، وكأنه يقدم مصالح جماعته على مصلحته هو، فلا يتركهم وحدهم في الموقف الصعب، ويذهب هو للتمتع بالاستراحة على سبيل المثال.

يحاول أن يوفر لهم وهم في وضعهم النفسي الصعب دعما اداريا، يوصله لهم قبل أن يتمتع به هو شخصيا، فاذا ما شعر الجنود أنهم جياع، وقام الآمر بتوفير وجبة غذاء بسيطة لهم وهم في ظروف قتال صعبة، وانه قد تناول الغذاء بعدهم أو أكتفى بالشيء القليل في مقابل اعطاء احدهم حصته أو بعض منها، سيجد أن الضغوط النفسية قد خفت، وان جنوده قد حصلوا على جرعة دعم نفسي تخفف عنهم الاجهاد الحاصل.

سادسا. زيارة الجندي في موقعه من قبل الاعلى بطريقة التفقد والتشجيع، وليس بطريقة الاخافة والتفتيش، التي تخصص لها زيارات خاصة، على أن لا يخلط القائم بالزيارة بين متطلبات الحالتين.

سابعا. ايجاد مصادر ترفيه بسيطة تلائم الموقف العسكري والظروف السائدة، وكلما ساعد الوضع على ذلك.

ج. المحافظة على الصحة العامة، من خلال الآتي:

أولا. توفير قدر من الراحة كلما كان ذلك ممكنا.

ثانيا. تقديم الغذاء المتوازن.

ثالثا. الخضوع الى برامج رياضة، تعيد الى الجسم لياقته مع أية فرصة ممكنة.

رابعا. التدخل في قضية النوم الكافي والمناسب، اذ ان المعروف أن ساعة نوم عالية الجودة، كافية لاعطاء ساعتين نشاط جيد.

د. تنظيم العمل والمهام، أي أن تكون الواجبات والمهام الروتينية منها على وجه الخصوص مبوبة ومثبتة مسبقا، مع الاخذ بالاعتبار، عوامل التغير المفاجئ في المواقف، التي تتطلب مهام جديدة وطارئة، وفي حالتها يفضل التدريب المسبق على مثل هكذا تغييرات، مع ايجاد فرصة أفهام المنفذين عن طبيعتها واسباب اللجوء اليها.

الخـــاتمة

المخالفة سلوك شائع في كافة المجتمعات البشرية، العسكرية منها والمدنية، مما دفع الفلاسفة والمصلحون والفقهاء والمشرعون إلى سن القوانين والتشريعات لضبط هذا السلوك، وحماية المجتمع وتماسكه من آثارها المباشرة وغير المباشرة. وبصددها يمكن القول ان تلك القوانين اذا ما كانت لازمة للضبط الاجتماعي في البيئة المدنية، فإنها أكثر ضرورة في الحياة العسكرية، عندما تنفذ المهام:

1. تحت ضغط التهديدات المستمرة للحياة.
2. في ظروف الاجهاد شبه المستمر.
3. بوجود الاحساس باحتمالات الاصابة بالعوق.
4. في وضع يمثل فيه مستقبل الوطن نتيجة حساسة.

ان المخالفة وعلى الرغم من شيوعها، فلا يمكن النظر اليها نظرة مجردة، أو بمعزل عن الظروف البيئية المحيطة بها، فللبيئة تأثير كبير في أنتاج المخالفة، كذلك لا يمكن النظر اليها بمعزل عن الخصائص الشخصية، والقدرات الذاتية التي لها تأثير لا يقل عن تأثيرات البيئة في انتاج المخالفة، عليه يمكن الاشارة نظريا الى معادلة تفاعلية في أنتاج المخالفة قوامها:

المخالفة = الخصائص الذاتية x الظروف البيئية.

انها معادلة للنسب المئوية، فيها لكل عامل من العوامل المذكورة، أي الخصائص الذاتية "النفسية" أو الظروف البيئية، مقدار غير محدد علميا، لكن الامر الوارد في حالتهما هو انهما عاملان تتفاعل مقاديرهما غير المحددة في أنتاج رقم أو مستوى محدد للمخالفة.

أن مراجعة المادة المذكورة في أعلاه، تبين واقعية النظرة الكلية الى المخالفة، بمعنى أنها مجموعة عوامل في شبكة علاقات، أي عامل بمفرده قد يؤثر إيجاباً أو سلباً في مسألة ارتكابها او الامتناع عن ارتكابها، لكن هذا العامل الواحد موجود مع مجموعة عوامل في سلة واحدة "سبق شرحها"، يؤدي من خلال تفاعله مع باقي العوامل، كجزء من منظومة، إلى حصول الفعل المخالف أو يحول دون حصوله. عليه يعد الفكر المنظومي من أفضل الطرائق التي تعين على فهم وتفسير

حدوث المخالفة، وعلى نفس هذا الاساس يكون التفكير الخطي "سبب ونتيجة" لايفيد كثيراً في فهم أو تفسير الظواهر الإجتماعية أو الإنسانية بعامة، وبينها المخالفة بشكل خاص.
يتضح مماسبق ان مكونات النشاط النفسي بينه السلوك المخالف، محكوم في تشكيله وبنائه ومستواه بالتفاعل بين المعطيات الوراثية "المكونات البيولوجية" والمقومات الداخلية في الكائن الحي "العسكري" من ناحية، وبين مكونات البيئة التي تستثير هذه الامكانات الكامنة، وتجعلها حقيقة واقعة في حياة الفرد المقاتل، وجماعته أي وحدته من ناحية أخرى، ومع هذا اذا كان العسكري الذي التحق الى وحدته حديثا بمعطيات وراثية ذات استعدادات للمخالفة، فان تأثيرها كمقومات داخلية مشروط بالوسط البيئي المحيط بها اي البيئة العسكرية، وما متوفر فيها من عوامل ضغط أو رعاية و اشباع وتوجيه، لذا يمكننا القول أن المخالفة كسلوك عسكري نتاج البيئة العسكرية الى حد كبير.
ان المخالفة سلوك غير توافقي، لا يمكن فصل دوافع حدوثه في البيئة المدنية، عنه في البيئة العسكرية، الا بالقدر الذي يتناول عوامل التأثير التي تكون في البيئة العسكرية مختلفة عنها في البيئة المدنية، لذا فانها محكومة بجملة قوانين تمتد أحيانا من البيئة العامة للمجتمع الى البيئة الخاصة بالمؤسسة العسكرية.
ان العيش في ظروف الضغوط النفسية المذكورة، ومعها البدنية حيث التعب والارهاق، يحتم وجود قوانين ضابطة للسلوك، يسهم وجودها بتقليل نسب الانحراف عن السواء "المخالفة"، كما ان القوانين الضابطة وتطبيقاتها العملية لا تعني الاقتصار على العقوبات، لانها ليست كافية لإدامة الضبط والروح المعنوية وزيادة القدرة القتالية، رغم أهميتها في الردع وتجنب السلوك المخالف، خاصة وان المزيد منها يعني تعطيل أو اعاقة لجهود البعض في المشاركة نفسيا أو عضويا في وقت تكون خلاله الحاجة كبيرة اليهم في مواجهة المواقف غير المستقرة، لذا كان من بين الاهداف المهمة في الجيوش العصرية ليس العقاب وحده كسبيل للمنع والتعديل بل:
كيف يمكن تجنيب المقاتلين، السلوك غير السوي "المخالف" والذي لايتوافق والمستلزمات أو القيم والضوبط لعسكرية ؟.

انه مجال حيوي فيه لعلم النفس آراء وممارسات عديدة، سواء في تحديد طبيعة السلوك المخالف، وماهية الدوافع التي تقف وراءه أو في السبل التي لابد من الاخذ بها لإطفاء ذلك السلوك أو تغييره بإعتماد العديد من الاساليب الوارد ذكرها.

إن عدم الاشارة بالتفصيل لأنواع الجرائم في هذا المؤلف، وتكييفها القانوني وظروف حصول كل نوع من أنواعها أو طبيعة الاحكام الصادرة بحقها مسألة لاتهم كثيراً الضباط القادة والآمرين في الوحدات والصنوف والدوائر أو المؤسسات العسكرية، لان جل أهتمامهم موضوع في هدفين أو سؤالين:

كيف يمكن لهم أن يقللوا من نسب المخالفات، بين منتسبيهم؟.

أي الطرق أكثر ملائمة للحد من تأثيرات المخالفة على القدرة القتالية، لوحداتهم ومؤسساتهم؟.

ان مثل هذه الاهداف تتفق تماما واتجاهات علماء النفس، العاملين في المؤسسات العسكرية، بكافة دول العالم، عندما يحاولون الاستفادة من تطبيقات تخصصهم في أهم البيئات تأثيرا على مستقبل الامة وحياة أبنائها، ومن هذا المنطق كانت مناقشة الموضوع، بكافة جوانبه تحت تسمية المخالفة بعدها "بوصفها" سلوكا غير سويا، يلجأ اليه البعض من المقاتلين، في مواقف معينة. اضافة الى أن التوسع والشرح في مجال المخالفة بالذات، وخاصة البسيطة منها أو تلك التي لا تتطلب أحكاما شديدة وطويلة، يمكن أن تقدم فائدة أكبر الى الضباط بشكل عام والآمرين على وجه الخصوص، اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ان المحكومين بمدد طويلة بسبب جنح وجنايات غالبا ما لا تكون خدمتهم بعد انقضاء مدة محكوميتهم مجدية، وأحيانا تكون الاحكام الطويلة بالذات مصحوبة بالاحالة على التقاعد أو الطرد من الخدمة العسكرية. واذا لم تكن أحكامهم مشمولة بالطرد فان الاعمار بعد انقضاء مدد طويلة في السجن تكون غير صالحة للخدمة، بالاضافة الى أن التعامل

مع المحكومين "التقويم والاصلاح" لمدد طويلة سواء أثناء وجودهم في السجن أو بعد خروجهم منه سيكون خارج اطار أو مسؤولية المؤسسة العسكرية، لان تنفيذ الحكم في مثل هذه الحالات عادة ما يكون في السجون المدنية، لذا كان التركيز على المخالفة بمفهومها النفسي وتطبيقاتها في القوات المسلحة ومؤسساتها أو تشكيلاتها المتعددة، بهذه الصيغة التي ذكرت أعتقادا من أنها ستكون أكثر فائدة للعسكر في حياتهم المهنية.

المصادر العربية

1. عبد المنعم الحفني (1978) موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي، القاهرة.
2. رمضان أبو السعود (1985) الوسيط في شرح مقدمة القانون المدني، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت.
3. عباس الحسني، وعامر جواد علي (1968) قانون العقوبات، القسم العام، مطبعة المعارف، بيروت.
4. باسم فارس جاسم، الامتناع عن السلوك العدواني عند الملتزمين وغير الملتزمين بالقيم، مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة بغداد، العدد 31، 1996.
5. عباس الحسني، وعامر جواد علي، المصدر السابق.
6. جلال ثروت ومحمد زكي عامر(1983) علم الاجرام والعقاب، الدار الجامعية، بيروت.
7. سكنر ب ف ، (ب.ت) تكنولوجيا السلوك الإنساني، ترجمة عبد القادر يوسف، عالم المعرفة، العدد 32، الكويت.
8. فرويد، سيجموند (1966) معالم التحليل النفسي، ترجمة محمد عثمان نجاتي، دار النهضة العربية، مصر.
9. صلاح مخيمر (1975) المدخل الى الصحة النفسية، الانجلو المصرية، القاهرة.
10. ميكاركي، آيدن وهوكانس جاك (1986) التعلم بالملاحظة، نظريات التعلم، الجزء الثاني، عالم المعرفة، الكويت.
11. كولمان جيمس (1978) الآراء المتعارضة في طبيعة الإنسان الأساسية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

12. نوتان جوزيف (1978) اللاشعور والحرية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
13. ترافس هير سجي(1987) اسباب جنوح الاحداث، ترجمة محمد سلامة المكتب الجامعي، الاسكندرية.
14. محمد زكي (1982) دراسة في علم الاجرام والعقاب، الدار الجامعية، بيروت.
15. فؤاد أبو حطب، وآمال صادق (1977) علم النفس التربوي، مكتبة الانجلو المصرية.
16. جورارد سدني، وتيد لندزمن (1988) الشخصية السليمة، ترجمة الكربولي والحمداني، جامعة بغداد ، مطبعة التعليم العالي.
17. فخري الدباغ (1983) أصول الطب النفساني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
18. الخولي، وليم (1976) الموسوعة المختصرة في علم النفس والطب العقلي، دار المعارف، القاهرة .
19. عمر السيد رمضان (ب ت) دروس في علم الاجرام والعقاب، بيروت.
20. مديرية البحوث والخدمات النفسية (ب ت) جريمة الهروب، مديرية التوجيه السياسي، بغداد.
21. طلعت منصور، أنور الشرقاوي، عادل عز الدين، فاروق ابو عوف (1984) علم النفس العام، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
22. عبد العزيز القوصي (1952) علم النفس العام، أسسه وتطبيقاته، دار النهظة المصرية، القاهرة.
23. عبد المجيد كركوتلي (1968) مدخل الى علم النفس العسكري، قيادة الجيش السوري، هيئة التدريب، قسم النشر، دمشق.

24. أما فرويد (1972) الانا وميكانزمات الدفاع، ترجمة صلاح مخيمر، عبدة ميخائيل، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
25. ليدل هارت، باسيل هنري ــ الموسوعة العربية الميسرة، 1965.
26. أحمد عكاشة (1969) الطب النفسي المعاصر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
27. محمد عاطف السيد (ب ت) فصول في علم النفس العسكري، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة.
28. عبد السلام عبد الغفار(1976) مقدمة في الصحة النفسية، دار النهضة العربية، القاهرة.
29. أبو حطب ، فؤاد (1979) العلاقة بين أسلوب المعلم ودرجة التوافق قيمه وقيم تلاميذه.(في) لويس مليكه، قراءات في علم النفس الاجتماعي ، المجلد الثالث، الهيئة العامة للكتاب، مصر.
30. مارتن فان كريفلد (1988) عناصر القوة القتالية، ترجمة يزيد صائغ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
31. مقدمة بن خلدون.
32. سيد عثمان، وأنور الشرقاوي (1977) التعلم وتطبيقاته، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت.
33. فرين جلبرت (1978) علم لنفس والدين والقيم عند المرشد النفسي. (في) سيفرين، علم النفس الإنساني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
34. زهران، حامد عبد السلام (1984) علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، ط5، القاهرة.
35. أبو حطب، فؤاد (1980) علم النفس التربوي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
36. رمضان أبو السعود(1980) ، مصدر سابق.

37. فينخل (1969) نظرية التحليل النفسي في العصاب، ترجمة صلاح مخيمر، عبدة ميخائيل، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
38. شريعة حمورابي (2007) ترجمة محمود الأمين، دار الوراق، لندن.

المصادر الاجنبية

39. Simpson , J.A. and Weiner, E.S : 1989, The oxford Dictionary, Vol 3 Cham, Creeky, Clarendon press, Oxford.
40. Flugel , J .C : 1986, Man Morals and Society penguin, London.
41. Lipman , Thomas : 1982 ,Understanding Islam , American Library , New York 42. I vey , Allen E. and Others : 1987 , Counseling and Psychotherapy, Prentice – Hall International Editions , U.S.A.

نبذة عن حياة المؤلف

1. ولد في قرية الجمجمة من محافظة بابل عام 1946
2. تخرج من الكلية العسكرية العراقية برتبة ملازم عام 1966.
3. حصل على البكلوريوس آداب من الجامعة المستنصرية كلية الآداب قسم اللغة الانجليزية عام 1976.
4. أكمل دراسة الدبلوم العام والخاص في التربية من جامعة عين شمس في القاهرة، عام 1979.
5. حصل على شهادة الطيران التجاري من مؤسسة الطيران المدني العراقية عام 1987.
6. نال شهادة الدكتوراه في علم النفس السريري من جامعة بغداد عام 1991.
7. خدم كضابط في الجيش العراقي تدرج من آمر فصيل وسرية ومساعد آمر فوج، ثم مدير شعبة الإستخبارات النفسية، ومدير البحوث والخدمات النفسية حتى الإحالة على التقاعد عام 1992، ومن ثم الإعادة للخدمة عام 2005 للعمل كمدير عام التخطيط والمتابعة في وزارة الداخلية، ومستشار وزير الدفاع، وملحق عسكري في باريس، ومستشار في مكتب القائد العام للقوات المسلحة، ثم ضابط في مديرية شؤون المحاربين.
8. عمل مدرسا لمادة علم النفس والصحة النفسية في كلية المأمون الجامعة، والجامعة المستنصرية في بغداد، وجامعة طرابلس في ليبيا منذ العام 1992حتى 2000، وباحثا في علم النفس والسياسة.
9. كاتب عمود أسبوعي في الصحافة العراقية.
10. عضو اتحاد الادباء والكتاب العراقيين.

صدر للمؤلف

1. مقدمة في علم النفس العسكري (مع مؤلفين آخرين) مديرية التدريب العسكري، بغداد 1983.
2. المعنويات بعد الحرب، مديرية التوجيه المعنوي، 1989.
3. نوايا وحروب. دار العارف، بيروت 2003.
4. أزمة المجتمع العراقي. دار الكنوز، بيروت 2003.
5. دوامات المحنة. الدار العربية للعلوم، بيروت 2007.
6. المعنويات في الميدان، نظرة في التقويم والقياس. مطبعة الرشيد، بغداد 2011.
7. حصاد العاصفة، الجزء الاول، (ثقافة التضاد في عراق بين زمنين) الشؤون الثقافية، بغداد، 2011.
8. وأد البطل، دار تموز للطباعة والنشر، دمشق، 2013.
9. جراح الغابة، رواية، فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة، عمان 2012.
10. تلك هي، رواية، دار الجواهري، بغداد 2013.

هذا الكتاب

خُلق الانسان، وعرفَ عنه المخالفة سلوكا غير توافقيا، يتنافى والضوابط والقوانين، شاع حدوثه في كافة المجتمعات البشرية، العسكرية منها والمدنية، فوضع له الفلاسفة والمصلحون والفقهاء والمشرعون قوانين لضبطه. ودرسهُ علماء النفس والاجتماع حماية للبشرية. هذا واذا ما كانت تلك القوانين والدراسات لازمة للضبط الاجتماعي في البيئة المدنية، فإنها أكثر ضرورة في الحياة العسكرية، لأن المهام في محيطها، تُنجز تحت الضغوط، في ظروف أجهاد واستنزاف للطاقة النفسية، داخل بيئة عسكرية مركبة فيها الاوامر صارمة، واستخدام دقيق للآلة والسلاح. وفيها عدو دائم وآخر آني قريب. وفيها انسان بعضه ينحرف لتوكيد الذات، وآخر يخالف لتصريف العدوان، وثالث في داخله رغبة لمجرد الاختلاف. متغيرات تنتج توترا، وتنتج سلوكا مخالفا يؤثران على الاداء والقدرة القتالية، التي تسعى الجيوش الى بنائها عاملا للتوازن والاستقرار. مادة وضعت لهذا الكتاب محورها المخالفة في البيئة العسكرية، أسبابها وسبل التعامل معها، وبما يعزز من بناء قدرة قتالية جيدة. ومهنية عسكرية رائدة.

المؤلف